



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الكوفة  
كلية التربية الأساسية  
قسم اللغة العربية

# التَّكْيِيفُ الدَّلَالِيُّ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

رسالة تقدّم بها الطالب  
محمد باسم درهم السعيد  
إلى مجلس كلية التربية الأساسية في جامعة الكوفة  
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية  
وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الحسن جدوع العبودي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿... قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمُ

[الكهف: ٨٣]



# الإهداء

سيدي يا أبا القاسم المهدي . . .

إلى تفحات وجهك المنيرة

وأنفاسك الدافئة

أهدي هذا الجهد المتواضع مُكللاً بالشوق والمحِبِّ

لطلعتك الرشيدة

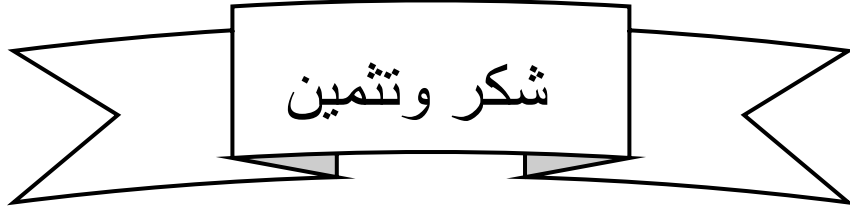
وإلى مروح عصفورة الجنة ووردة بستانها

أختي الصَّغيرة (هاجر)

التي توفيت في مدَّة كتابة الرِّسالة

جمعنا الله بها تحت ظلّه





أتقدم بالشكر الجزيل إلى

أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد الحسن جدوع العبودي  
على كل ما بذله معي وأسداه لي من حرص دقيق وعون وافر ومتابعة وإرشاد  
فجزاه الله خيراً

وأشكر جميع أساتذة الدراسات العليا في كلية التربية الأساسية – قسم اللغة  
العربية – على ما قدموا من مجهود تعليمي و نصيحة حريصة لنا نحن طلبة  
الدراسات العليا

والشكر موصول أيضاً لمن أسدى إليّ إحساناً أو مشورة أو عوناً



## المحتويات

المحتويات	أ- ت
المقدمة	٣-١
التمهيد	٢٥ -٤
التمهيد: التأصيل والتنظير لمصطلح التكتيف	٥
أولاً: التعريف بمصطلح التكتيف:	٥
١- التأصيل لمفردة ( التكتيف ) لغة:	٥
٢- التأصيل لمصطلح ( التكتيف ) اصطلاحاً:	٩
ثانياً: الفرق بين التكتيف وغيره من المصطلحات القريبة منه :	١٧
١- التكتيف والإيجاز:	١٧
٢- التكتيف والانتساع ( التوسع ) :	٢١
٣- التكتيف والاختزال:	٢٣
٤- التكتيف والاقتصاد اللغوي:	٢٤
الفصل الأول	٩٢ -٢٦
الفصل الأول: التكتيف الدلالي في المستوى الصوتي و الصرفي	٩٤
المبحث الأول	٣٠
تكتيف الدلالة بتكرار الأصوات	٣٠
أولاً: تكرار الصوت المنفرد	٩٦
ثانياً: تكرار الألفاظ لجرسها	١٠٣
المبحث الثاني	٤١
محاكاة الدلالة بجرس اللفظ	٦٣
أولاً: ألفاظ تشتمل على صوت أو أكثر	٦٥
ثانياً: ألفاظ متكررة المقطع	٧٧
المبحث الثالث: تكتيف الدلالة بالتلوين الصوتي	٥٣
المبحث الرابع: تكتيف الدلالة باستعمال الصيغة الصرفية	٦٣
أولاً: تكتيف الدلالة بالجمع بين صيغتين تكمل إحداهما الأخرى	٦٥
١- الجمع بين صيغ اسم الفاعل	٦٦
٢- الجمع بين اسم الفاعل و اسم المفعول	٦٩
٣- الجمع بين الفعل واسم الفاعل	٧٠
٤- الجمع بين الفعل و المصدر	٧٢

- ٧٤..... ٥- الجمع بين المصدر الصناعي و الصفة المشبهة
- ٧٦..... ٦- الجمع بين الصفة المشبهة واسم المفعول
- ٧٧..... ثانيا: زيادة المبني تكثف الدلالة
- ٧٨..... ١- باستعمال أبنية الأفعال المزيدة
- ٧٨..... - زيادة الهمزة في ( أفعل )
- ٨٠..... - الزيادة بتضعيف العين في ( فعَل )
- ٨٢..... - زيادة الألف و التاء في ( افتعل )
- ٨٣..... - زيادة الألف والسين و التاء في ( استفعل )
- ٨٥..... ٢- تكثيف الدلالة باستعمال أبنية الصيغ الأسمية المزيدة
- ٨٥..... - صيغة ( فعَّال ) الدالة على المبالغة
- ٨٧..... - صيغة ( مُستَفْعِل و مُتَفَعِّل ) الدالة على اسم الفاعل
- ٨٧..... - صيغتي ( مفعَّل و مفاعِل ) الدالة على اسم الفاعل
- ٨٨..... - صيغة ( مستفعل ) الدالة على اسم المفعول
- ٨٩..... - صيغة ( فعَّال ) الدالة على جمع التفسير
- ٩٠..... - صيغة ( أفاعيل ) لجمع التفسير
- ٩١..... - صيغة ( تفاعل ) الدالة على المصدر
- ٩٣- ١١٦..... **الفصل الثاني**
- ٩٣..... التكتيف الدلالي في ظواهر معجمية ( باستعمال المشترك اللفظي )
- ٩٦..... المبحث الأول: الجناس
- ١٠٣..... المبحث الثاني: التورية
- ١١٢..... المبحث الثالث: الأضداد
- ١١٧- ١٦٩..... **الفصل الثالث**
- ١١٧..... التكتيف الدلالي في المستوى التركيبي
- ١٢١..... المبحث الأول: تعدد الوسائل لتركيز الدلالة في التركيب
- ١٢١..... أولا: تكثيف الدلالة بأسلوبين نحويين :
- ١٢١..... ١- التعظيم بالاستفهام والتكرار
- ١٢٢..... ٢- التجقير بالذم والدعاء :
- ١٢٥..... ٣- التعجب بأكثر من أداة :
- ١٢٨..... ٤- التنكيل بالتوكيد و الوصف :
- ١٢٨..... ٥- التحذير بـ ( إيا ) و ( الواو ) :
- ١٣١..... ٦- الحث بالأمر والنداء

١٣٤	ثانيا: تكثيف الدلالة بالمؤكدات المتعددة:
١٤٦	المبحث الثاني: ضغط الدلالة في التركيب
١٤٦	أولا: تكثيف الدلالة في الأساليب
١٤٧	١- أسلوب النفي:
١٥١	٢- أسلوب الاستفهام:
١٥٤	٣- أسلوب الأمر:
١٥٩	٤- أسلوب النهي:
١٦١	ثانيا: تعدد الدلالة بتعدد تقدير المحذوف
١٦٢	- تعدد تقدير المضاف المحذوف:
١٦٤	- تعدد تقدير المبتدأ أو الخبر المحذوف :
١٦٦	- تعدد تقدير الموصوف المحذوف:
١٦٧	- تعدد تقدير المفعول به المحذوف:
١٦٨	- تعدد تقدير المحذوف بتعدد الأوجه الإعرابية :
١٧١	<b>الخاتمة</b>
١٧٥	<b>المصادر و المراجع</b>
٢٠٣	<b>ملخص البحث ( باللغة الإنكليزية )</b>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَ لَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ ، وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ،  
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ وَسَيِّدِهِمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ، الْمُنْتَجِبِينَ  
الْأَبْرَارِ ، لِاسِيْمَا سَيِّدِ الْبَلْغَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، سَيِّدِي وَ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ( عَلَيْهِ السَّلَام ) .

أما بعد ، فإن دراسة النصوص اللغوية التي تنبؤ الصدارة في مراتب الفصاحة والبلاغة ؛ تتطلب  
مصطلحات تناسبها ، تكشف عن بدائع اللغة و جميل استعمالها ؛ لذا عني الباحثون بدراسة القرآن الكريم ؛  
بوصفه نصا محكما يتربع على قمة الفصاحة و البلاغة ، وهذا الوصف ليس بعيدا عن التعبير العلوي في  
نهج البلاغة لصدوره عن عدل القرآن و ربيب أمين وحيه ؛ لذلك لا يقف نص نهج البلاغة عند دراسة  
معينة أو مصطلح محدد ؛ بل هو نص متجدد ينبض بالحياة كلما جد جديد في الدراسات اللغوية ؛ وهذا  
يعود إلى براعة استعمال اللغة من منشي هذا النص ، و تشرّب التعبير القرآني في كلامه ( عليه السلام ) ؛  
لذا يسعى البحث لإثبات أن نص نهج البلاغة غني بالدلالات ، أنشئ بطريقة يطلق عليها بمصطلح هذا  
العصر ( التكتيف ) .

ولمّا لم يكن مصطلح ( التكتيف ) مطروحا في البحوث التي تناولت نهج البلاغة ؛ فقد كان – من هذه  
الناحية – دافعا آخر للبحث في هذا المجال ، نعم ؛ هناك دراسات بحثت في موضوع ( التكتيف ) ، مثل:  
( التكتيف في النص القرآني ) للباحثة سهاد حسين ، غير أنها اقتصرت على جوانب مما ينطوي عليه  
مفهوم ( التكتيف ) ؛ إذ جاء قول الباحثة في مقدمة الرسالة : (( انبثقت هذه الرسالة ... في اظهار معاني  
جديدة غير المعاني التي اصطلح عليها في المعجمات اللغوية ... بل لإبراز أثرها في تفسير آيات القرآن  
من ناحية ، ومن ناحية أخرى اظهار إعجاز النص القرآني من حيث قدرته على إنتاج أكثر من معنى في  
موضع واحد ))<sup>(1)</sup> ؛ فهي بذلك تقتصر على جانب من جوانب مفهوم ( التكتيف ) ؛ فكما سيتبين أن التكتيف  
ليس في تعدد المعاني فقط ؛ بل يمكن أن يكون تكتيفا لمعنى واحد ، وهذا يبيّن الرؤية المختلفة في البحث  
لمفهوم ( التكتيف ) .

(1) التكتيف في النص القرآني : ٢ .



لذا اقتضت خطة البحث أن تكون في تمهيد و ثلاثة فصول وخاتمة ، مثل التمهيد الأساس النظري و التأصيلي لمصطلح ( التكتيف ) في الدراسة اللغوية وتمييزه عن المصطلحات القريبة منه ؛ فمصطلح ( التكتيف ) مصطلح حديث الاستعمال في الدراسات اللغوية لم يستقر بعد على أصول و أساسات ثابتة ؛ فهو مصطلح أدبي ، غير أن المسوّغ في استعماله في هذا البحث كونه في المنطقة المشتركة بين اللغة و الأدب ، وهي: الدلالة ؛ لذا جاءت الرسالة بعنوان ( التكتيف الدلالي في نهج البلاغة ) ، وعلى هذا الأساس جاءت تطبيقات البحث في فصوله ومباحثه بحسب ما صوّر عن التكتيف للدلالة ونُظّر له في التمهيد .

ثم إن فصول الرسالة رُتبت بحسب مستويات اللغة الثلاثة التي يدخل في جميعها البحث الدلالي ؛ وجاءت المباحث – أيضا – وفق ما وجدنا من مظاهر و صور مستعملة لتكتيف الدلالة بهذه المستويات ؛ فكان الفصل الأول بعنوان: التكتيف الدلالي في المستوى الصوتي والصرفي ، وقد تضمن أربعة مباحث ، الأول: تكتيف الدلالة بتكرار الأصوات ، والثاني: محاكاة الدلالة بجرس اللفظ ، والثالث : تكتيف الدلالة بالتلويح الصوتي ، و الرابع: تكتيف الدلالة باستعمال الصيغة الصرفية ، وكان الفصل الثاني بعنوان: التكتيف الدلالي في ظواهر معجمية ( باستعمال المشترك اللفظي ) وقد تضمن ثلاثة مباحث ، الأول: الجنس ، والثاني: التورية ، والثالث: الأضداد ، وجاء الفصل الثالث بعنوان : التكتيف الدلالي في المستوى التركيبي ؛ لأنه يختص بالجملة والتركيب ، وقد تضمن مبحثين ، الأول: تعدد الوسائل لتركيز الدلالة ، والثاني: ضغط الدلالة في التركيب .

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة ؛ فهو المنهج التحليلي التأويلي ؛ لما تتطلبه طبيعة مصطلح (التكتيف الدلالي) من عمق و تأمل في استجلاء الدلالات المكثفة داخل نص نهج البلاغة ؛ إذ إن إظهار هذه الدلالات يحتاج إلى قراءة جديدة ، و إلى تنقيب و حفر فيما وراء معاني التعابير و الألفاظ .

وقد اعتمدت – بعد الاعتماد على الله تعالى - على مصادر ومراجع متنوعة قديمة وحديثة ، كان في مقدمتها شروح نهج البلاغة ؛ فكانت عوناً في استنتاج النصوص وفهم المراد منها ؛ فمن الشروح القديمة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ) ، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، ومن الحديثة : شرح نهج البلاغة للسيد عباس علي الموسوي ، ونفحات الولاية للشايخ مكارم الشيرازي . كما اعتمدت في توثيق نصوص النهج على تحقيق الدكتور صبحي الصالح ؛ لأنه تحقيق حديث .

فضلا عن الكتب المعجمية و الصرفية والنحوية و البلاغية و الصوتية ، ولاسيما المتعلقة بالدلالة ، منها كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، و كتاب شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الأسترابادي (٦٨٦هـ) ، والجنى الداني في حروف المعاني للمراذي (ت ٧٤٩هـ) ، ومغني اللبيب

لابن هشام (ت ٧٦١هـ) ، و من الكتب الحديثة كتاب معاني النحو ، وكتاب معاني الأبنية في العربية للدكتور فاضل صالح السامرائي ، و كتاب علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ، و كتاب خصائص الحروف العربية ومعانيها للدكتور حسن عباس ... و ما سواها من الكتب .

كما شكّلت الكتب المتعلقة بالتعبير القرآني رافدا مهما للرسالة ؛ وذلك للتقارب الأسلوبي بين التعبير القرآني والتعبير العلويّ ، وفي مقدمتها كتب التفسير ، منها تفسير الكشّاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، وروح المعاني للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، وكتاب في ظلال القرآن للسيد قطب (ت ١٣٨٥هـ) ، وما سواها من الكتب اللغويّة والدلالية .

ولا بد من الاعتراف أن رحلة البحث لم تكن سهلة يسيرة ؛ وذلك يرجع لخطورة التعامل مع النص الصادر عن المعصوم ( عليه السلام ) ، وكذلك لجِدّة استعمال مصطلح ( التكتيف ) في الدراسات اللغوية .

ولا يسعني في الختام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد الحسن جدوع العبودي ؛ لما أولاني والرسالة من عناية ومتابعة ، سائلا المولى أن يطيل بعمره و يعلي شأنه ، كما أشكر أستاذي الدكتور ميثم الحمامي ؛ فله الفضل في تنضيج مصطلح التكتيف في هذه الدراسة اللغوية ؛ إذ قدّم مقترحات و آراء أسهمت في التأميل و التنظير لعنوان هذه الرسالة ، فجزاه الله خير جزاء المحسنين .

أسأل الله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع في ميزان قبوله ، ويجعله ذخرا لي يوم ألقاه إنه سميع الدعاء ، و أهل الجود والمغفرة ، والحمد لله ربّ العالمين .

**الباحث**

# التمهيد

## التأصيل و التنظير لمصطلح التكثيف

أولاً: التعريف بمصطلح التكثيف

ثانياً: الفرق بين التكثيف وغيره من المصطلحات القريبة منه

## التمهيد: التأصيل والتنظير لمصطلح التكثيف

### أولاً: التعريف بمصطلح التكثيف:

#### ١- التأصيل لمفردة ( التكثيف ) لغة:

للتأصيل لمفردة ما لغة ؛ لابد من الرجوع إلى جذرها اللغوي ، ومعرفة أسبق دلالة لها والتدرج مع دلالاتها المرافقة لتطورها اللغوي إذ إن معنى الكلمة يعتره بعض التغير بحسب الاستعمال ؛ فاللغة كائن حي تتغير مع تغير الحياة ، ولتأصيل دلالة مادة ( كنف ) وبالرجوع إلى اللغات التي انحدرت منها العربية نجد أن اللغة العربية تشترك بمادة ( كنف ) مع غيرها من اللغات السامية بحرفين هما: الكاف والثاء<sup>(١)</sup> ، وعند ضمّ الحرفين إلى بعض نحصل على لفظة ( كَثَّ ) والتي لها دلالة مستعملة في المعجمات تشترك - وقد ترادف - مع دلالة ( كنف ) جاء في الصحاح : (( كَثَّ الشيء كثائته، أي كَثَّفَ ))<sup>(٢)</sup> و (( الكث: الكثيف ، كَث الشيء كثائته، أي: كَثف ، ورجل كَث اللحية، وكثيئها ، والجمع كُثَّاث، وفي صفته صلى الله عليه [وآله] وسلم (أنه كان كَثَّ اللحية) أراد كثرة أصولها وشعرها، وأنها ليست بدقيقة ولا طويلة ... لحية كَثَّة : كثيرة النبات ))<sup>(٣)</sup> . ((وَيُقَالُ جَاءَ جَيْشٌ مَا يُكْثُ ، أَي: مَا يُحْصَى ))<sup>(٤)</sup>؛ نظرا لكثرة عدده ؛ فدلالة لفظة ( كَثَّ ) ناظرة للكثرة والتعدد والتي متأنية من تقارب الاشياء وتجمعها مع بعضها .

ومما يمكن احتمالها أنه قد حصل تطور في الأصوات من صوت الثاء إلى الفاء ؛ وذلك ممكن ؛ لأن الصوتين متقاربان ؛ فالثاء صوت أسناني و الفاء صوت شفوي أسناني<sup>(٥)</sup> ، وكذا فإن الفاء أخف على السمع من الثاء<sup>(٦)</sup> ، والعرب تُبدل الفاء بالثاء والثاء بالفاء ومنه قولهم : جدث وجدف<sup>(٧)</sup> ؛ وهذا الأمر وارد في كثير من الألفاظ كما نجد في ( ثلج ) تلفظ عند بعضهم بـ ( فلج ) ، وكذا ( فوم ) تلفظ بـ ( ثوم ) ففي قوله تعالى: { وَفُومَهَا وَعَدْسِهَا } [البقرة: ٦١] جاء (( الفومُ: الثومُ: وفي قراءة عبد الله: (وثومها))<sup>(٨)</sup> .

وبالرجوع إلى المعجمات اللغوية لمعرفة الدلالات اللغوية لمشتقات مادة ( كَنَف ) جاء في العين (( كَنَف كَنَافَةٌ، أي: كَثْر والتف ... وقد استكنف الشيء، أي: اشتد ، وكذلك في الأمور ))<sup>(٩)</sup> . وقال ابن

(١) ينظر: فقه اللغات السامية: ٤٠ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( كنف ) : ٢٩٠ / ١ .

(٣) تاج العروس ( كنف ) : ٣٣٠ / ٥ .

(٤) المخصص: ١١٨ / ٢ .

(٥) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٢٠ .

(٦) ينظر: علم الاصوات (كمال بشر) : ١٢٧ .

(٧) ينظر: مقاييس اللغة ( ج د ث ) : ٦٣ / ٤ .

(٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( فوم ) : ٢٠٠٤ / ٥ .

(٩) العين ( كنف ) : ٣٥١ / ٥ .

فارس : (( كَثَّفَ ) الكَفُّ وَالنَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَرَكَبِ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ وَتَجْمَعُ . يُقَالُ: هَذَا شَيْءٌ كَثِيفٌ . وَسَحَابٌ كَثِيفٌ وَشَجَرٌ كَثِيفٌ ))<sup>(١)</sup> . وهنا يقرر ابن فارس أن دلالة هذا الأصل - كَثَفَ - هي التراكم والتجمع ، وبالبحث عن دلالة هذا الأصل في بقية المعجمات - التي سبقت ابن فارس والتي جاءت بعده - نجد دلالات أخرى تكاد تكون على مستوى واحد من الاستعمال ؛ وهذه الدلالات هي : الغلظ والنخن و الكثرة و التعدد و الالتفاف والشدة ، والعلو والارتفاع ، فضلا عن التراكم والتجمع .

وأضاف صاحب الجمهرة الغلظ والتراكم بقوله: (( كَثَفَ الشَّيْءُ كَثَافَةً إِذَا غَلِظَ ، وَكُلُّ مَتْرَاكِبٍ مَتَكَثَفٍ ، وَمِنْهُ تَكَثَفَ السَّحَابُ ؛ إِذَا تَرَكَبَ وَغَلِظَ ))<sup>(٢)</sup> ، وذهب من جاء بعده إلى هذه المعاني ، ذكر الأزهري ( ت ٣٧٠ هـ ) في التهذيب قال: (( الكثافة: الكثرة والالتفاف، والفعل كَثَفَ يَكْتَفُ كَثَافَةً ))<sup>(٣)</sup> ، و أورد الجوهرى ( ت ٣٩٣ هـ ) معنى ((الكثافةُ: الغِلْظُ ، وقد كَثَفَ الشَّيْءُ فَهُوَ كَثِيفٌ ))<sup>(٤)</sup> أي: صار غليظا .

وجاء الحديث (( فِي صِفَةِ النَّارِ «لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعُ جُدُرٍ كُتْفُ» الكُتْفُ: جَمْعُ كَثِيفٍ، وَهُوَ التُّخَيْنُ الْغَلِيظُ ))<sup>(٥)</sup> ، و (( ثخن الشيء: كَثَفَ وَغَلِظَ ))<sup>(٦)</sup> .

وبعد غربلة هذه الأقوال وما جاءت به من دلالات لمادة ( كَثَفَ ) والتأمل بها يمكننا القول:

١- أن دلالة ( الكثرة الموجبة للتجمع والتراكم ) هي الدلالة الأصل لهذه المادة ؛ إذ تتعلق بها بقية الدلالات ، فالالتفاف عند الخليل هو التراكم ؛ حيث ورد في تفسير قوله تعالى : { وَالنَّفَّاتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ } [القيامة: ٢٩] أن (( الإلتفَافُ هُوَ الإجتِمَاعُ ))<sup>(٧)</sup> ، الموحى باختلاط شيء بشيء يقال : (( وجاءوا في لفّ ولفيف وهم الأخلاط ))<sup>(٨)</sup> ، و عليه فالالتفاف في التكتيف هو التراكم (( والتركيب يدل على تراكم شيء على شيء وتجمُّع ))<sup>(٩)</sup> ، و تراكم شيء على شيء يستلزم تجمعه وعلوه وارتفاعه ، وتجمع الأشياء يستلزم كثرتها فالشيء الكثيف هو ((الكثير المتراكم الملتف من كل شيء ))<sup>(١٠)</sup> ، و كل ذلك يؤدي إلى أن

(١) مقاييس اللغة (ك ث ف) : ١٦١ / ٥ .

(٢) جمهرة اللغة (ث ف ك) : ٤٢٩ / ١ .

(٣) تهذيب اللغة (ك ث ف) : ١٠٥ / ١٠ .

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (كثف) : ١٤٢٠ / ٤ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : ١٥٣ / ٤ .

(٦) أساس البلاغة (ثخن) : ١٠٥ / ١ .

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : ٧٣٥ / ٣٠ .

(٨) أساس البلاغة (لفف) : ١٧٥ / ٢ .

(٩) مقاييس اللغة (رك ب) : ١٦١ / ٥ .

(١٠) لسان العرب (كثف) : ٢٩٦ / ٩ .

يكون الشيء غليظا ؛ فالسحاب الكثيف هو السحاب الكثير الغليظ و (( تُكَائِفُ السحاب: إذا تراكب و غلُظ))<sup>(١)</sup> والجامع بينها دلالة الكثرة<sup>(٢)</sup> .

٢- هناك سبب منتج لهذه الكثرة والتجمع وخطي وصل – إن صح التعبير - يجمع بين كل هذه الدلالات وهو التقارب ؛ فإن دلالة الكثرة والتجمع والتراكم ناتجة من التقارب بين الأشياء التي هي من سنخ واحد حيث يستلزم التقارب تجمعها و كثرتها وتراكبها ، ومنه القول بلطافة بعض الاجسام و كثافة أجسام أخرى ؛ فالهواء جزيئاته متباعدة وغير متقاربة ، أما الاجسام الأكثر تقاربا بالجزيئات فتكون كثيفة مثل الاجسام الصلبة جزيئاتها متقاربة وشدة صلابتها متأية من شدة قرب جزيئاتها ، جاء في الامتاع والمؤانسة : (( القلب ذو لطافة، والجسم ذو كثافة، والكثيف يحفظ اللطيف كضوء المصباح في القنديل ))<sup>(٣)</sup>.

وما يدعم القول بالتقارب وجود مادة ( كَثِيب ) والتي جاءت بمعنى: من تقارب الرمل<sup>(٤)</sup> وتجمعه (( وَمِنْهُ كَثِيبُ الرَّمْلِ لِاجْتِمَاعِهِ وَأَكْتَبَ الشَّيْءُ اجْتَمَعَ ))<sup>(٥)</sup>، والمشابهة بين ( كَثِيف و كَثِيب ) واضحة فالفرق بينهما الفاء والباء وهما متقاربان بالمرحج (( وقال ابن عبّاد: أكثف منك كذا: أي قَرُبَ وأمكن؛ مثل أَكْتَبَ ))<sup>(٦)</sup>.

٣- بعد الدلالة الأصل – الكثرة الموجبة للتجمع والتراكم - والسبب الجامع – التقارب - نستطيع أن نصنف الدلالات الأخرى – الغلظة والثخن و الشدة و العلو والارتفاع - على أنها أثر ناتج ؛ فقولهم ( كث اللحية ) ويقصدون أن أصولها متعددة ومتجمعة ، نفهم منه تقارب هذه الأصول وتجمعها بشكل يجعلها غليظة ثخينة شديدة .

وهنا يتضح أن دلالة ( كثف ) تجمع الدلالات و تتوسع باتجاهين حيث تنصب عموديا وتتمدد أفقيا ؛ فالتراكم والالتفاف والعلو والارتفاع والثخن بالاتجاه العمودي ، و الكثرة والتجمع والتقارب والتعدد والغلظة بالاتجاه الافقي ، ولعل جمع هذه الدلالات كلها في مادة واحدة متأت من صوتي الفاء و الثاء اللذين يوحيان بالاتساع والتمدد<sup>(٧)</sup> والانتشار ؛ فالصوت فيه لا ينقطع مباشرة بل يمتد على العكس من الباء والهمزة مثلا .

(١) جمهرة اللغة ( ث ف ك ): ٤٢٩ / ١ .

(٢) ينظر: معجم تصحيح لغة الإعلام العربي ( كثف ) : ٧٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ١٨٨ .

(٤) ينظر: مقاييس اللغة ( ك ث ف ) : ١٦٣ / ٥ ، و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : ٥٢٦ / ٢ . وأيضا: مجمع

بحار الأنوار ( كثف ) : ٣٧٢ / ٤ .

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : ٥٢٦ / ٢ .

(٦) العباب الزاخر ( كَثَب ) : ٣ / ٢ ، وينظر: أساس البلاغة ( كَثَب ) : ١٢٣ / ٢ .

(٧) ينظر: علم الاصوات ( كمال بشر ) : ١٩٨ .

هذا وعند تتبع تطور دلالة ( تكثيف ) نلاحظ أنها تطورت من الوصف للأشياء المادية ثم تدرجت لوصف الأشياء المعنوية ؛ فالفعل (( كَثَّفَ الشيء كثافة غلظ وثخن وكثر مع الالتفاف والتراكب فهو كثيف ))<sup>(١)</sup> و الكثيف على وزن ( فعيل ) يحمل معنى المبالغة<sup>(٢)</sup> وهذا وارد عندما يوصف به العسكر ، فالعسكر يدل على المبالغة بالعدد والعدة ؛ فالكثيف (( اسم كَثَّرْتَهُ، يُوصَفُ به العسكر والسحابُ والماء ))<sup>(٣)</sup>؛ إذ يوصف به كل شيء مادي كثير ومتراكب ومتجمع في موضع فيقال: جو غائم ، أي: (( كثير السحاب، لأنه يقال: سحاب كثيف ))<sup>(٤)</sup> ، و (( [كثف] الكثافة: الغلظُ ، وقد كَثَّفَ الشيء فهو كثيف ، وتكاثف الشيء ))<sup>(٥)</sup> بمعنى: كثر وغلظ ، ومنه (( جَيْشٌ كَثِيفٌ غَلِيظٌ ))<sup>(٦)</sup> ، و( كَثَّفَ ) – بالفتح - جمع ( كثيف ) ويعني الجماعة<sup>(٧)</sup> ومنه خبر (( ابن عباس: إنه انتهى إلى علي يوم صفين وهو في "كثف"، أي: في حشد وجماعة))<sup>(٨)</sup> ناظرا لكثرتهم والتفافهم حوله ، (( وعن ابن الأعرابي: سيف أجرب ؛ إذا كثف الصداً عليه حتى يحمر ))<sup>(٩)</sup> ، أي: تراكب الصداً عليه وكثر .

والتراكب والتجمع في شيء واحد يؤدي إلى غلظة ذلك الشيء وثخنه ؛ فالثوب الكثيف هو الثوب الغليظ الثخين كثير النسج ، والقوي المحكم<sup>(١٠)</sup> ، والغليظ والثخين الخشن عكس اللطيف والرقيق ، قيل : (( لطف الشيء لظفا ولطافة رق (ضد كثف) ، يقال: الهواء جسم لطيف ورق (ضد خشن) ))<sup>(١١)</sup> ، و – لعله – حصلت لـ ( كثف ) زيادة بالتضعيف فصارت ( كَثَّفَ ) تكثيفا (( وكَثَّفْتُ الشيء تَكْثِيفًا: أي جعلته كَثِيفًا ))<sup>(١٢)</sup> ؛ أي: كَثَّرْتَهُ وغلظته ؛ فيقال : (( استكثف الشيء بعد رقتة ))<sup>(١٣)</sup> أي: صار غليظا ثخيلا ، ومنه امرأة مكثفة أي: غليظة كثيرة اللحم<sup>(١٤)</sup> ، (( وقد استكثف الشيء، أي: اشتد ، وكذلك في الأمور ))<sup>(١٥)</sup> الشديدة والمحكمة ، و (( ادلهم الظلام إذا كثف ))<sup>(١٦)</sup> بمعنى: اشتد .

(١) المعجم الوسيط (كثف) : ٧٧٧ / ٢ .

(٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١١٧ .

(٣) العباب الزاخر (كثف) : ٣ / ٢ .

(٤) تكملة المعاجم العربية (كثف) : ٤٠ / ٩ .

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (كثف) : ١٤٢٠ / ٤ .

(٦) المخصص : ١١٨ / ٢ .

(٧) ينظر: الفائق في غريب الحديث : ١٢٦ / ٢ .

(٨) تاج العروس (كثف) : ٣٠٠ / ٢٤ .

(٩) أساس البلاغة (ج ر ب) : ١٣٠ / ١ .

(١٠) ينظر: المخصص : ٣٨١ / ١ .

(١١) المعجم الوسيط (رقق) : ٨٢٦ / ٢ .

(١٢) العباب الزاخر (كثف) : ٣ / ٢ .

(١٣) المعجم الوسيط (كثف) : ٧٧٧ / ٢ .

(١٤) ينظر: تاج العروس (غلظ) : ٤٩ / ٢٣ .

(١٥) العين (كثف) : ٣٥١ / ٥ .

(١٦) البارع في اللغة : ٢٠٩ .

ومن معنى الغلظة و القوة والشدة المادية للأشياء انتزع معنى الغلظة والقوة و الشدة المعنوية ف قيل :  
رجل كثيف بمعنى: غليظ المعاشرة وغير لطيف<sup>(١)</sup> ، و (( كثافة سُلطانه: تقال عن قوة الأمير وشدة بأسه  
وجبروته ))<sup>(٢)</sup> ، (( ويقال: الهموم الكثيفة أي: الهموم التي تعمّي النفوس وتطمسها ))<sup>(٣)</sup> من شدة كثرتها  
وتراكمها على النفس .

وهكذا أطلقت ( كثيف ) على كل شيء - مادي أو معنوي - كثير ومتجمع ومتراكب وغليظ في  
موضع واحد ؛ فالتكثيف - لغة - للأشياء هو جمعها وتكثيرها و صبها بشكل متراكب وملتف في موضع  
واحد مما يؤدي إلى غلظتها و ثخنها و شدتها .

وعلى ما تقدم نقرر ما يأتي:

- ١- الدلالة الأصل لـ ( التكثيف ) هي الكثرة الموجبة للتجمع والتراكب.
- ٢- دلالة التقارب هي السبب في جمع هذه الدلالات لمادة ( التكثيف ).
- ٣- بقية الدلالات من غلظة و ثخن و شدة .. وما سواها هي آثار ناتجة من الأصل.
- ٤- تطور دلالة ( التكثيف ) من الوصف للأشياء المادية إلى الأشياء المعنوية أو المجردة.

## ٢- التأصيل لمصطلح ( التكثيف ) اصطلاحاً:

يؤخذ غالباً المعنى الاصطلاحي بناء على معطيات المعنى اللغوي ، وما انتهى إليه البحث اللغوي هو  
تطور استعمال هذا المصطلح من الماديات إلى المجردات ؛ فأطلق ( كثيف ) على كل شيء كثير يُجمع  
ويُصب في موضع ويُصبح غليظاً متراكباً ثخيناً ، والتكثيف تفعيل و تقريب جزئيات لتكوين كبريات  
مركزة ممكن تحليلها ، ومنه عملية تكثيف البخار - في الفيزياء - ليتحول من الحالة الغازية بعيدة  
الجزئيات إلى السائلة قريبة الجزئيات والماء أكثر غلظاً و ثخناً من البخار اللطيف .

وبتطور العقل البشري أخذ يطلق العلماء مصطلحات تُنبئ عن أفكار ونظريات في شتى العلوم  
ليميّزوها من غيرها ، فالمصطلح الواحد يختلف في دلالاته من علم لآخر<sup>(٤)</sup> ، غير أنه لا يبتعد عن دلالاته  
اللغوية ، ومن هذه المصطلحات مصطلح التكثيف الذي استعمل في الفيزياء - كما أشرنا في أعلاه - و

(١) ينظر: تكملة المعاجم العربية ( كنف ) : ٤٠ / ٩ .

(٢) تكملة المعاجم العربية ( كنف ) : ٤٠ / ٩ .

(٣) تكملة المعاجم العربية ( كنف ) : ٤٠ / ٩ .

(٤) ينظر: مبادئ اللسانيات ( احمد محمد قدور) : ٣٥٩ .



استعمل في علم النفس عند فرويد وفي كتابه تفسير الأحلام وفي معرض حديثه عن محتوى الحلم وأفكار الحلم والعلاقة بينهما ، إذ يرى أن بينهما عملية تكثيف وأوضح هذه العملية بقوله: (( عند المقارنة بين محتوى الحلم وأفكار الحلم هو أن ثمة عملية تكثيف قد أجريت على نطاق واسع: فالحلم مقتضب هزيل مليء بالشغرات إن هو قورن بسعة أفكار الحلم وغناها ))<sup>(١)</sup> وهنا يقصد أن محتوى الحلم موجز و مركز ؛ لذا قال : (( فهو إذا كتبتة [ محتوى الحلم ] قد يستغرق نصف صفحة فلو سطرت التحليل الذي ينشر أفكار الحلم المتضمنة فيه لمألت ضعف ذلك ست مرات أو ثماني مرات أو اثنتي عشرة مرة ))<sup>(٢)</sup> ، وهذا الاستعمال أقرب إلى أن يؤخذ ويستعمل في المجال الأدبي ؛ لما للبحوث اللغوية الحديثة من علاقة واضحة وتداخل مع البحوث والنظريات النفسية والاجتماعية في العصر الحديث<sup>(٣)</sup> ، ومن هنا فقد شاع هذا المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة - وإن كان له وجود عند القدماء العرب بوصفه مفهوما لا مصطلحا<sup>(٤)</sup> - على أنه مصطلح أدبي معاصر<sup>(٥)</sup> ظهر عند أصحاب القصة القصيرة<sup>(٦)</sup> ونقادها بوصفها جنسا أدبيا حديثا لا يتجاوز عمرها مائة وخمسين عاما<sup>(٧)</sup> .

وعليه فقد انتقل مصطلح التكثيف من ميدان علم النفس إلى ميدان علم الأدب ؛ فإذا ما قورن كلام فرويد بكلام فؤاد قنديل<sup>(٨)</sup> - وهو يضرب مثلا لعملية التكثيف في القصة القصيرة - نلاحظ أن القصد واحد سوى أن المادة مختلفة ؛ فمادة فرويد الحلم ومادة قنديل اللغة ؛ قال : (( إن عملية التكثيف تشبه بالضبط حبة الدواء التي صنعها العلماء من عدة مواد طبيعية وصناعية ، وصبوا فيها ما يمكن صبه من قوة ضاربة لتسقط على الميكروب فتدفعه خارج الجسم أو تضربه ضربة قوية تمهيدا لقتله ، إنها مواد كثيرة لكن الحرفية الصناعية كثفتها وركزتها في هذا الحجم الصغير ))<sup>(٩)</sup> ، وحبّة الدواء هو ( النص المكثف ) والذي عند تحليله يتحلل إلى مواد الطبيعية والصناعية التي تمثل ( الدلالات التي يحيل إليها ) ؛

(١) تفسير الاحلام: ٢٩٢ .

(٢) تفسير الاحلام: ٢٩٢ .

(٣) ترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس إلى طبيعة اللغة بوصفها أحد مظاهر السلوك الانساني ، فإذا كان علم النفس يدرس السلوك الانساني عموما ؛ فإن دراسة السلوك اللغوي أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : د. نعمة رحيم العزاوي: ٥٩ .

(٤) ينظر: التكثيف في النص القرآني: ١٨ - ٢٧ .

(٥) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١٨٧ .

(٦) القصة القصيرة: هي لون من ألوان الأدب الحديث ظهر أواخر القرن التاسع عشر وله خصائص ومميزات شكلية معينة: فن القصة القصيرة (د. رشاد رشدي): ١ .

(٧) ينظر: فن كتابة القصة ( فؤاد قنديل ) : ٢٨ .

(٨) روائي مصري ولد في مصر الجديدة بالقاهرة لأسرة تنتمي إلى مدينة بنها - محافظة القليوبية وحصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة وعلم النفس من جامعة القاهرة. عمل منذ عام ١٩٦٢م في شركة مصر للتمثيل والسينما. كتب ست عشرة رواية، وعشر مجموعات قصصية، وعشر دراسات وتراجم وأربع روايات ومجموعة قصصية للطفل : الحوار المتمدن : موقع الكتروني.

(٩) فن كتابة القصة ( فؤاد قنديل ) : ٥٨ .

لذا يرى قنديل أن : (( التكتيف الشديد مطلوب لتحقيق أعلى قدر ممكن من النجاح للقصة القصيرة ))<sup>(١)</sup>، مما يجعل الألفاظ والعبارات مشحونة بالإحساس ومضغوطة بالشعور والتأثير؛ فالقصة القصيرة (( تبحث عن مكان لها فلا تجده إلا في عفوية الطرح والتكتيف المضغوط بحميمية حس القاص ))<sup>(٢)</sup>.

ولم يتعرض قنديل إلى ماهية التكتيف سوى أنه عدّه من خصائص القصة القصيرة ؛ وضرب له مثالا من القرآن الكريم حيث أورد قصة سليمان ( عليه السلام ) والهدد كاملة وحلها تحليلا يوضح فيه التكتيف الموجود في القصة وما يهمننا تحليله لقوله تعالى: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ } [النمل: ٢٠] قال قنديل: (( تبدأ { القصة } بكلمة ( وتفقد ) كلمة واحدة تعني عن جملة ، لم يقل سبحانه : بحث أو فتش ؛ لأنه يجب أن يوضح أين بحث؟ وكيف بحث؟ لكن ( تفقد ) تعني معنيين : أنه استعرضهم جميعا ولاحظ غياب أحدهم وعرف أن الغائب هو الهدد ))<sup>(٣)</sup> ؛ فلفظة ( تفقد ) فعل أغنت عن غيرها من الأفعال التي تستلزم متعلقاتٍ ، إذ إن ( بحث أو فتش أو غيرهما ) من الأفعال التي تستلزم الإطالة ، والتي تُفقد النص هذا الشحن الدلالي ، و ما نستفيدة – أيضا - من المثال الذي حلله – قنديل - أن التكتيف: هو اختيار مستعمل اللغة لمفردات وتكوين تراكيب يختزل فيها المراد ويستغني بالمفردة عن الجملة وبالجملة عن السرد والإطالة ، ويقرر أن الدال واحد ، ويحيل الى مدلول متعدد.

وعند مراجعة كلام بقية الكتاب والباحثين – فضلا عن إلى ما جاء به قنديل - نجد أن كلامهم ينحصر حول التكتيف بين مصطلحين – مع توسع أو تضيق – هما ( الإيجاز ، و الانزياح ) ؛ فقد عرف الدكتور سعيد علوش<sup>(٤)</sup> التكتيف بأنه: (( إمكانية لغة ما في تكتيف بعض التركيبات ...في معاني معادلة باستعمال تورية أو غيرها ))<sup>(٥)</sup> وإن كان التعريف مضطربا وغير واضح القصد منه ، إذ ذكر – دكتور علوش- لفظة ( التكتيف ) في تعريفه للتكتيف<sup>(٦)</sup> ؛ أي : عرف الشيء بنفسه وهذا غير جائز منطقيا<sup>(٧)</sup> ؛ لكنه – لعله – يقصد بالتكتيف الثانية معنى آخر وهو الضغط ؛ فيكون المعنى ضغط بعض التركيبات في معانٍ معينة ، غير أنه أشار إلى وسيلة من وسائله أو صورة من صورته المستعملة في اللغة وهي التورية ،

(١) فن كتابة القصة ( فؤاد قنديل ) : ٥٧ .

(٢) التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة : ٢٢ .

(٣) فن كتابة القصة ( فؤاد قنديل ) : ١٧٤ .

(٤) ولد الدكتور سعيد علوش سنة ١٩٤٦م في مدينة مكناس ، وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون حول الأدب المقارن ، وقد عمل أستاذا ومحاضرا في كلية الآداب في مدينة الرباط – المغرب ، وله كتب أدبية وروايات عدّة : ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٣٠٤ .

(٥) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة : ١٨٧ .

(٦) ينظر: التكتيف في النص القرآني : ١١ .

(٧) ينظر: المنطق : ١٠٠ / ١ .

والتورية: تتحقق بلفظ له معنيان ، أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد وهو المراد<sup>(١)</sup>؛ فضمن المتكلم الدال ( اللفظ ) الواحد معنيين ، معنى موهم ، ومعنى مراد بانزياحه عن اللغة الصريحة.

وعرفه آخر بقوله: هو (( وسيلة لإذابة العناصر والمكونات المتناقضة والمتباينة والمتشابهة وجعلها في بؤرة واحدة تلمع كالبرق الخاطف ))<sup>(٢)</sup> وهنا يقرر أن التكثيف هو الانزياح والإيجاز ؛ وذلك أن:

١- الإيجاز مرتبط بالمفردة والتركيب في النص؛ فإن ما يتطلبه التكثيف هو رفض للشرح والسببية والتعليل والتركيز على الفكرة والموضوع وعدم تشتت الحدث<sup>(٣)</sup>.

٢- الانزياح عن المعايير والقواعد يعطي متسعا ومطاطية وأفقا واسعا في الاستعمال؛ حيث تظهر مطاطية النص الأدبي عبر التكثيف<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر بعض الباحثين في حديثه عن المجاز وأثره في التعبير ، أن المجاز ليس اقتصاداً لفظياً فحسب، بل يعطي القارئ حرية وحركة قد لا تمنحه الكلمات المجردة ((فالتكثيف- هو أهم أسرار المجاز- ليس اختصاراً فحسب، بل إنه اختصار في سبيل العمق والإطناب- إن صح التعبير- وحرية التصور...))<sup>(٥)</sup> وبهذا يُثبت المجاز والإيجاز للتكثيف.

وهناك إشارة واضحة لمعنى الانزياح عند بعضهم بأنه (( ابتعاد اللغة عن دلالاتها المألوفة ، وما يتفق عليه القاموس ، بل حتى عن مفهوماتها الشائعة في اللغة الأدبية لتصبح رموز مكثفة ، و إلمحات موحية ينفصل ظاهرها وباطنها بعضه عن بعض بمسافات متعظمة ))<sup>(٦)</sup> ، ويمكن أن نفهم من ذلك ما يأتي:

١- أن التكثيف يتحقق بالانزياح في استعمال اللغة إلى الحد الذي يجعل اللغة رموزاً مركزة والمعاني مضغوطة متعددة .

٢- الانزياح الشديد يؤدي إلى الغموض في الدلالة والتعقيد في الفهم وهذا ما أشار إليه في معرض حديثه عن الكثافة : ((من التعابير الدالة على الانزياح وقلة الوضوح وصعوبة فهم اللغة الشعرية ... الكثافة...))<sup>(٧)</sup> .

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع: ٣٠١.

(٢) القصة القصيرة جدا مقارنة تحليلية: ٥٢.

(٣) ينظر: القصة القصيرة جدا مقارنة تحليلية: ٥٢.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ١٨٧.

(٥) الصورة والبناء الشعري: ١٢٨.

(٦) حركية الحدائث في الشعر العربي المعاصر: ١٧٥ ، هامش الصفحة.

(٧) حركية الحدائث في الشعر العربي المعاصر: ١٧٢.

وهذه النظرة المجحفة للتكثيف على أنه الانزياح الشديد المؤدي للغموض الشديد نظرة تنافي أن يكون التكثيف من الإبداع والبلاغة العالية ؛ نعم ، يرتبط التكثيف بالغموض على نحو يستوقف المتلقي لتلمس جمالية المعنى الكامن في اللغة ، لا يجعل من النص غامضا إلى حد صعوبة الفهم ؛ لأن جمالية التكثيف (( تنضح بصورة كبيرة إذا وقعت في منطقة وسطى بين الغموض والوضوح ؛ لأن الغموض الشديد يؤدي الى انطفاء الدلالة عندما يعجز المتلقي عن الفهم ومن ثم التواصل والتأثر بالنص وتلك غاية لا بد ألا ننساها ، والوضوح الشديد كذلك يلقي بالنص في هاوية الابتذال والمباشرة والخطابية الباردة ولهذا يجب أن يكشف الرمز بمقدار ما يغمض ، ويتيسر بمقدار ما يتعقد ((<sup>(١)</sup>).

والتكثيف في نظر عدد من الباحثين هو الإيجاز<sup>(٢)</sup> ، أي : (( قول المعاني الكثيرة في أقل الكلمات ((<sup>(٣)</sup> ، وعرفه آخر بقوله: (( هو الاختصار غير المخل الذي يوحي بالمعاني المقصودة والتي قد لا يأتي بها الاطناب والتطويل ((<sup>(٤)</sup> ، وقد يكون بمعنى: (( الاقتصاد في اللغة ووضع الفكرة المراد توصيلها في حيز قليل من الكلمات ((<sup>(٥)</sup>).

في حين زاد بعض الباحثين عليه شحن الألفاظ والتراكيب بالانفعال المؤثر بالمتلقي مع إثباته للإيجاز ، فذهب إلى القول بأن (( التكثيف هو الميل إلى الاقتصاد في استهلاك الكلمات ، وجعلها حبلى بالتوتر والشحنات الانفعالية والزخم الداخلي ، وكل ذلك نجده في العبارة الشعرية مع عدم الإسراف في استعمال المجاز اللغوي بكافة صوره ((<sup>(٦)</sup> ، وهو يرى بأن الكاتب بركونه إلى التكثيف فإنه (( لا يحتاج إلى الاسهاب والتفصيل بقدر حاجته الى توصيل ما يريد في أقل عدد من الكلمات المنتقاة ((<sup>(٧)</sup> ؛ لأن التكثيف الناجح الذي يثبت في النص توجهه يُبنى على عمق الفكرة بتركيزها ، وبلاغة اللغة من خلال استعمالها بطريقة تدعو إلى عودة الحياة إلى روح الكلمات المقتضبة والتي توحى بفائض المعنى<sup>(٨)</sup>.

بعد هذا العرض لتعريفات بعض النقاد والباحثين لمصطلح التكثيف يمكننا أن نعطي نظرة البحث ، التي تمثل التنظير لهذا المصطلح في الدرس اللغوي :

(١) فن كتابة القصة القصيرة ( علي عبد الجليل ) : ٤٢ .

(٢) ينظر: التكثيف في النص القرآني: ١١ .

(٣) فنون الأدب : ٢٤٣ .

(٤) فن التكثيف بين الأدب العربي والتقنية الحديثة: مقال .

(٥) التكثيف اللغوي أساس بناء هذا الفن وآلة ضوابطه التي تخلصه من الكولسترول: مقال .

(٦) السيناريو الصناعة الخطرة من التحليل للبناء : ٨٦ - ٨٧ .

(٧) السيناريو الصناعة الخطرة من التحليل للبناء : ٨٧ .

(٨) ينظر: القصة القصيرة جدا قراءة نقدية : ٢٢٤ .

١- لعل مصطلح التكتيف متطور من المصطلحات التي سبقته كالإيجاز البلاغي (( ولاسيما في إيجاز القصر الذي لا يتم إلا بحذف أحد أجزاء الكلام أو أحد متمات الجملة ؛ فيؤدي هذا التكتيف إلى استيعاب المعنى والاحساس بالنشوة لدى السامع إلى جانب تحقق التوسع في الدلالة الإيحائية))<sup>(١)</sup>؛ ولأن الإيجاز يتحدد من خلال النظر إلى النسبة بين الألفاظ والمعاني ، إذ إن (( على قدر سعة المعنى مع ضيق اللفظ يتحدد حجم الإيجاز في الجملة أو العبارة فيكون إيجاز قصر إذا كانت العلاقة بينهما قائمة على الطول والقصر ، أي: طول المعنى وقصر اللفظ ، ويكون إيجاز حذف إذا اجتمعت بينهما علاقة الذكر والحذف ))<sup>(٢)</sup>، ومن هنا يتبين أن الإيجاز ناظر إلى قلة الألفاظ بإزاء كثرة المعاني لها ؛ في حين أن التكتيف مع هذه النظرة - للفظ والمعنى - ينظر إلى النسيج العلائقي بين هذه الألفاظ متعددا إلى التراكيب ، ودلالاتها المعجمية والإيحائية ، وهذه النظرة تتمثل بفتح باب التخيل وتعدد الاحتمال والتأويل أمام المتلقي ؛ فيتسع في تصور الدلالة اتساعا لا يمكن أن يحققه المتكلم لو لم يعمد إلى التكتيف في كلامه<sup>(٣)</sup> ؛ فيظهر لنا أن التكتيف نظرة متقدمة للكلام الإبداعي.

٢- إن التكتيف في الكلام يمثل البؤرة المشعة التي تعطي زخما دلاليا للمراد ، وأبرز ما يمثل هذا المعنى للتكتيف هو ( العدول ) من صياغة إلى أخرى أكثر إيحائية في الكلام ؛ لتمثل اللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق، يثير انتباه المتلقي ويدعوه إلى التعرف إلى سبب في ذلك<sup>(٤)</sup> كالعدول من الفعل إلى الاسم ، كما في قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ... } [آل عمران: ٩]، والسياق يفرض أن يقول بالأصل ( تجمع الناس ) ؛ ذلك بأن جمع الناس سيكون في المستقبل وهو غير حادث إلى الآن ؛ لكنه عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل ( جامع ) ؛ لأن الأمر متحقق ثابت لا محالة ، فكثف الدلالة لذلك عن طريق إخباره بصيغة اسم الفاعل الدال على الثبوت<sup>(٥)</sup>، و أنه جاء باسم الفاعل من دون غيره ؛ لأن اسم الفاعل يحمل من الفعل دلالة الحدث ويحمل من الاسم دلالة الثبوت ؛ فكثف الدلالة فيه لحتمية الحدث و ثبوت تحققه .

وكذا فإن المواقع التي تشتمل على التكتيف في الكلام لا بد من أن تستوقف المتلقي ؛ لما تحمله من إشعاع جاذب و بروز لافت ، فمثلا في قول الامام علي ( عليه السلام ) : (( وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ ( عليه السلام ) : أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا ؟ ، فَقَالَ: نَعَمْ ، قَالَ : فَقَدْ شَهِدْنَا ، وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ وَ

(١) الإيجاز في كلام العرب: ٤٣-٤٤ .

(٢) الإيجاز في كلام العرب: ٤٢ .

(٣) ينظر: الإيجاز في كلام العرب: ٤٤ .

(٤) ينظر: معاني النحو: ١٩٣/٣ .

(٥) ينظر: معاني الأنبياء في العربية: ١٤ .

أَرْحَامِ النَّسَاءِ سَيَّرَ عَفُ بِهْمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهْمُ الْإِيمَانُ ))<sup>(١)</sup> ، فلو سألنا المتلقي عن أيّة مفردة تستوقفه؟! والتي مثلت اللافتة في التركيب واعطته زخما من الالتفات؟؛ لأجاب: ( سير عف ) ؛ فهي المفردة الغريبة في الكلام ، التي لو حللنا ما تتطوي عليه هذه المفردة من دلالات أراد الامام إيصالها وتركيزها فيها ؛ لما وجدنا مفردة تنوب عنها في سياقها ولا تحمل الدلالات التي كُنّفت فيها .

٣- مصطلح التكتيف ممكن أن يكون من الأضداد - مثل جون للأبيض والأسود - من عدّة جهات :

أ- فهو يدل على كثرة المعاني وتعددتها ، وبنفس الوقت يدل على الإيجاز بالألفاظ ؛ فهو يجمع مفاهيم عدّة ( الإيجاز ، الاقتصاد اللغوي ، الاتساع ، الانزياح ) وما سواها ، كل هذه يحويها ويتضمنها كما سيتبين في ما بعد بإيجاد الفرق بينها .

ب- يدل على تعدد المدلول لدال واحد ، كقوله تعالى : { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } [ غافر : ٥ ] إن لفظ ( ليأخذه ) أغنى عن ذكر الألفاظ التي تحيل إلى الدلالات المطلوبة ، ومنها: ( ليقتلوه و وليرجموه ، لينفوه ، ليطرده ، ليهلكه ، ليزلوه )<sup>(٢)</sup> كل هذه الدلالات جمعها هذا اللفظ وأغنى عن ذكرها .

وفي الوقت نفسه فإن التكتيف يدل على تعدد الدال و وحدة الدلالة والتركيز عليها ، كقوله تعالى: { الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ } [ الحاقة : ١ ، ٢ ] فإن تكرار المبتدأ ( الحاقة ) هنا للتعظيم و التفضيح إذ جاء في الخصائص : (( إنما يعاد لفظ الأول في مواضع التعظيم والتفضيح ))<sup>(٣)</sup> ، و مجيء ( ما ) الاستفهامية زيادة للدلالة نفسها - التعظيم والتفضيح - ؛ فقد ذكر الرضي أنّ: (( ما ) الاستفهامية تفيد التفضيح ، كما في قوله تعالى: { الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ [ القارعة : ١ - ٢ ] ))<sup>(٤)</sup> .

ج- التكتيف يجمع بين الغموض والإفهام ؛ ذلك أن التكتيف متعلق بالإفهام من جهة أن الدلالات ثمرات الفهم<sup>(٥)</sup> ؛ والغرض بالكلام هو الإفهام ؛ فالتعبيرُ عمّا في الفكر ومشاعر النفس وأحاسيسها يكون بألفاظٍ دالّةٍ على ما يريد المتكلم التعبير عنه ، باستعمال أوضاع لغوية ، وأساليب وحيل كلامية تقوم على توسيع الدلالة<sup>(٦)</sup> ، وتصب بالغموض المنشود حتى لا يكون الكلام عبثاً<sup>(٧)</sup> ، وهذه الحيل والأساليب يمتزج

(١) نهج البلاغة : ٥٥ .

(٢) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ١٩٧ .

(٣) الخصائص : ٥٦ / ٣ .

(٤) شرح الرضي : ٧٣ / ١ .

(٥) ينظر: التأويل الدلالي عند المعتزلة: ٤٠ .

(٦) ينظر: البلاغة العربية : ١ / ١٣ .

(٧) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: ٥٧ .

الغموض معها في كثير من الأحيان ؛ لتكتنف لغة مكثفة موحية تمتاز بالعمق والوضوح في آن واحد<sup>(١)</sup>، وأبرز ما يوضح هذا المعنى للتكثيف الإبهام و التورية للمعنى كما سيأتي لاحقا.

٤- يجمع التكثيف الدلالي بين التركيز على الفكرة وعمق الدلالة ؛ وهذا الجمع يمنح النصوص الطاقة الدلالية التي تتمثل بالديمومة والحيوية في الكشف عن دلالات ومعان للباحثين هي في طور التحقق الدائم<sup>(٢)</sup> ؛ ولتوضيح ما نصبو إليه نبين نظرتين<sup>(٣)</sup> للتكثيف الدلالي:

النظرة الأولى: النظرة السطحية: وتتمثل بالتركيز على الفكرة والموضوع والقصد العام للمتكم ؛ وهذا التركيز ملازم لمستوى النص إن كان عبارة أو مجموعة عبارات كالخطب أو الرسائل ؛ بأنك لو وضعت يدك على أيّ مكان من النص لوجدته يخدم الفكرة و القصد و الغرض والموضوع العام للمتكم ، وفي هذه النظرة تتعدد الوسائل لتكثيف الفكرة والقصد ؛ فيجمع المتكلم هذه الوسائل ويكثرها لتصب في الدلالة العامة ، كما نجد في الخطبة الشقشقية أن الفكرة العامة للخطبة هي بيان أحقيته ( عليه السلام ) للخلافة ؛ فتعددت الوسائل داخل الخطبة ؛ لتركز على هذه الفكرة وتصب في بيانها وإظهارها.

النظرة الثانية: النظرة العميقة: وتتمثل بعمق الدلالة و ضغطها ، والنظر لها بتأمل و تأنٍ للكشف عنها ، وتكون بفك هذا الكلام المكثف إلى أجزاء ، وتحليل كل جزء منه ، ليحيل إلى دلالات متعددة تنكشف عند تحليله والتأمل فيه ؛ للكشف عن مقاصد النص بإزاء مقصد المتكلم<sup>(٤)</sup> ؛ فيستعمل المتكلم – مثلا – المفردة التي تحيل إلى معنيين ، والتركيب الذي يغني عن كثير ويختزل كثيرا ؛ فيأتي بالنص المكثف دلاليا ؛ وعليه فإن التكثيف الدلالي ليس مفهوما مجردا ، بل ملموسا، يتمظهر ويتحقق وجوده من خلال تقنيات معينة<sup>(٥)</sup> ، ووسائل تجري في استعمال اللغة بطريقة تجعلها لغة ابداعية ، بمعنى: أسلوب أو نمط يعمد إليه مستعمل اللغة كما سيأتي من نماذج وأمثلة في البحث إن شاء الله .

٥- إن التركيز على جزئية معينة في الكلام المكثف لا يعني إهمال بقية الأجزاء ؛ بل إن التكثيف يتحقق بهذه الجزئية ببقية الأجزاء أيضا ، و عندما نظهر التكثيف بالنظر إلى البنية للمفردة فهذا لا يعني إهمال المعنى المعجمي لها أو معناها داخل السياق الذي وردت فيه أو موقعها الإعرابي من التركيب وهكذا.

(١) ينظر: التكثيف في النص القرآني: ١٥ .

(٢) ينظر: التأويل الدلالي عند المعتزلة: ٥٧ .

(٣) ينظر: التشاكل الصوتي القرآني و أثره في تكثيف الدلالات : ١٦٣ .

(٤) مقصد المؤلف هو المراد العام من الكلام للمتكم ومقاصد النص هو ما يحيل إليه النص من دلالات لا تدرك إلا بالقراءة

التحليلية: ينظر: التأويل الدلالي عند المعتزلة: ٧١ .

(٥) ينظر: التكثيف وتجلياته في دوائر الدهشة للفاصل حسن بواريق: مقال.

ومن هنا يمكننا تعريف التكتيف الدلالي : بأنه عملية استعمال المبدع للغة على نحو يركز فيه على المراد بصهر جميع قدرات اللغة و استعمالها بطريقة تكون المفردات مشعة حبلى والتراكيب موجزة واضحة ؛ فناتج ذلك أن تكون الدلالات عميقة و مضغوطة و مركزة ، وكل هذا يجعل من المفردة والتركيب والنص قابلا للتأويل والتحليل ، أو هو : شحن النصوص بالدلالات العميقة ؛ لثراء المعنى ، بتوظيف التقنيات اللغوية .

### ثانيا: الفرق بين التكتيف وغيره من المصطلحات القريبة منه :

مصطلح التكتيف – كما يراه الباحث - يحمل دلالات لا تتوفر في غيره من المصطلحات القريبة منه وإن كانت هذه المصطلحات تحمل جزءا مما يدل عليه ، وهو ما يصبو إليه الباحث لئبتعد عن التكرار في البحث ؛ لاسيما أن النصوص العالية - كنص نهج البلاغة – كُتبت فيها كثير ، وعلى هذا الأساس سنبيّن الفرق بين مصطلح التكتيف والمصطلحات الأخرى كالإيجاز والانتساع و الاقتصاد اللغوي و الاختزال ، وهذا ما سنبيّنه في هذا المطلب :

#### ١- التكتيف و الإيجاز:

حاولت إحدى الباحثات التفريق بين التكتيف والإيجاز بقولها (( ذهب بعضهم في تعريفه للتكتيف بأنه ) محاولة قول الكثير بأقل عدد من الكلمات ) ، وهذا التعريف للتكتيف ... في مفهومه يتطابق مع تعريف الإيجاز إن لم يكن نفسه ، إلا أن للبحث رؤية أخرى في هذا الجانب ، إذ يرى أن العلاقة بين التكتيف والإيجاز هي علاقة عموم وخصوص كما قسمهما أهل المنطق فالعموم ما تناول لفظه شيئين فصاعدا ، والخصوص ما تناول شيئا واحدا ، فكل إيجاز تكتيف وليس كل تكتيف إيجازا ))<sup>(١)</sup> . ونجدها هنا أظهرت النسبة بين التكتيف والإيجاز وهي : أن التكتيف أعم و أشمل من الإيجاز ، ثم عادت و في معرض كلامها عن إثبات التكتيف عند القدماء على أنه إيجاز لتثبت هذه النسبة بقولها (( وللفرق بين التكتيف وغيره من المصطلحات الدالة عليه يرى البحث أن التكتيف ... يشمل فضلا عن الحذف والإيجاز وما سواها من أنواع الاقتصاد اللغوي ؛ ( معرفة في أسرار اللغة من حيث التقديم والتأخير وإمكانيات الفعل والاسم والأسلوب الإنشائي والخبري ، مع تسخير إمكانيات الروابط والبحث في دقتها وخصوصيتها ) ... ))<sup>(٢)</sup> . واستدلّت بكلام بعض البلاغيين لدعم كلامها حيث أوردت قولهم : (( المرتبة الأولى في الكثافة هي : مرتبة الكلام الموجز المختصر ، ولهذه المرتبة عدة درجات ما بين شديد الكثافة ، أي شديد الإيجاز

(١) التكتيف في النص القرآني: ١٦ .

(٢) التكتيف في النص القرآني: ٢٤ .



والاختصار حتى مستوى الرمزية ، وما بين كثافة يتحمل الإنسان العادي فهمها ولكن بشيء من الممارسة والتدريب والتأمل))<sup>(١)</sup> ، وعَلَّقت الباحثة بقولها : (( وبهذا يمكن اعتبار ( الإيجاز ) عند البلاغيين أولى مراتب التكتيف وليس التكتيف كله ...))<sup>(٢)</sup> ، وهنا إعادة لما قدمته من أن التكتيف أعم ، وسأقت الأمثلة في هذا المعنى التي تتعلق بمصطلح الإيجاز من ثمّ تتعلق بالتكتيف ، وختمت كلامها بالقول: (( ومن خلال ما تقدم يبدو لنا أن القدماء لم يستعينوا بلفظة ( التكتيف ) للتعبير عن المدلولات الكثيرة التي تحملها النصوص المختصرة ، بل استعملوا لذلك مصطلحات من قبيل الإيجاز والحذف والتضمين ... وما سواها من المصطلحات التي تصب في النهاية في خانة التكتيف بمصطلحه المتداول اليوم عند المحدثين))<sup>(٣)</sup> .

إن هذا الكلام كله يوضح فرقا بين الإيجاز والتكتيف على نحو المفهوم لا على نحو التطبيق فإيراد الأمثلة التي هي من الإيجاز بالدرجة الأولى وجعلها من التكتيف بالتبع لا يوضح فرقا جوهريا بين المصطلحين ؛ ولهذا فإن لبحثنا نظرة أخرى في التكتيف .

والنظرة هي:

لقد عرف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الإيجاز بقوله : (( وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة ))<sup>(٤)</sup> ، بمعنى: جمع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة<sup>(٥)</sup> ، وذكر الرماني أن : (( الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز ، والإيجاز على وجهين: حذف ، وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للاجترأ عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام ، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف ، فمن الحذف {واسئل القرية} ... وأما الإيجاز بالقصر ... فمن ذلك: {ولكم في القصاص حياة} ))<sup>(٦)</sup> ، وجاء في تعريف الإيجاز بأنه (( حذف زيادات الكلام ... ))<sup>(٧)</sup> ، وجاء في الطراز (( اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف؛ لأن موضوعه على الاختصار ... ويظهر المحذوف من جهتين؛ إحداها من جهة الإعراب على معنى أن الدال على المحذوف هو من طريق الإعراب، وهذا

(١) البلاغة العربية: ١/ ٣٤ .

(٢) التكتيف في النص القرآني: ٢٧ .

(٣) التكتيف في النص القرآني: ٢٧ .

(٤) الحيوان: ٣/ ١٦٤ .

(٥) الزهرة: ١٤٥ .

(٦) النكت في إعجاز القرآن: ٧٦ .

(٧) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٢٢ .

كقولك: أهلا وسهلا ... وثانيهما لا من جهة الإعراب، وهذا كقولنا: فلان يعطى ويمنع، ويصل ويقطع، فإن تقدير المحذوف لا يظهر من جهة إعرابه، وإنما يكون ظاهرا من جهة المعنى ((<sup>(١)</sup>).

ومن هنا يظهر أن التكتيف يفترق عن الإيجاز من وجوه:

١- الإيجاز بقسميه ناظر بالدرجة الأولى لقلّة الألفاظ فالإيجاز - كما أوردنا تعريفه - هو تقليل الألفاظ للدلالة على معانٍ متعددة بألفاظ قليلة إيجازا بحذف أو قصر ، ومن هنا فإن الإيجاز ينظر إلى الشكل ولا يتحقق شكل الإيجاز من دون التقليل من الألفاظ بالنسبة للمعاني ؛ فالألفاظ إذا لم تكن قليلة خرج من كونه إيجازا وأصبح مساواة أو إطنابا إذا زاد<sup>(٢)</sup> ، في حين أن التكتيف ناظر للمعنى والدلالة و المراد والفكرة مع كون اللغة إبداعية ومركزة فضلا عن تماسك أجزائها<sup>(٣)</sup> ، وكون الكلام كلاما بلاغيا يتطلب أن تكون الألفاظ جامعة لمراد المتكلم (( بحيث لو قدر نقص من لفظه لتطرق الخرم إلى معناه ))<sup>(٤)</sup> ، أما كونها مركزة فالتركيز بزيادة قوة الكلام بضغط ألفاظه مع حصر ذهن المتلقي في أمر معين<sup>(٥)</sup> ، وموطن التركيز في النص المكثف (( يكون في الموضوع، وفي الحادثة، وطريقة سردها، أو في الموقف وطريقة تصويره، أو في لغتها، ويبلغ التركيز حده حين لا يمكن الاستغناء عن أي لفظة مستخدمة، أو يمكن أن يستبدل بها غيرها، إن كل لفظة ... يجب أن تكون موحية ولها دورها، تماما ))<sup>(٦)</sup>، فالتكتيف (( بمعناه الحقيقي هو جعل مفردات النص تنطق لنا حكايته من دون زيادة، لذا إن اجتزاء أي مفردة من النص سوف تؤدي به إلى التشويه و التدمير، و هذا هو المراد من التكتيف و ليس اقتضابا لا روح فيه سوى الاقتصاد العيني! ))<sup>(٧)</sup> .

٢- لا تشكل قلة الألفاظ أو كثرتها مانعا ليكون النص أو العبارة مكثفة ؛ فنجد في قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة: ١٨٦] أن ضمير المتكلم ( الياء ) قد تعدد ست مرات ، و هذا التعدد بإيراد الضمير نفهم منه تكتيفا لفكرة معينة مرادة ، قد يكون مراد (( الآية المذكورة [ أنها ] أتت في ضمن الآيات التي تحدثت عن إيجاب الصيام وعلته ومدته وتوقيته وحكم قضائه ، وكأن في ذلك لفظة مهمة إلى أن المولى هو قريب من العباد

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٥١ / ٢.

(٢) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ٥١٦.

(٣) ينظر: فن القصة القصيرة (رشاد رشدي): ١٤.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٦٥ / ٢.

(٥) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: ٩٧.

(٦) تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية: ٣٨.

(٧) الاختزال و التكتيف في القص إلى أين؟ : مقال .

ولكنه في شهر رمضان وللصائمين أقرب من أي زمن وأي حال<sup>(١)</sup>؛ (( فإضافتهم إليه دلالة على أن من شأن السيد أن يرحم عبده، وإفادة مزيد الشرف وقرب المنزلة، كما يقال في بعض كلمات الله: عبدي من أثر طاعتي على هواه ، وتحت الإضافة أسرار ورموز تختلف أحوالها بحسب اختلاف مواقعها، وعلى الفطن أعمال نظره واستنهاض فكرته ليحصل عليها ))<sup>(٢)</sup> ، وهذا التكرار لضمير المتكلم يخرج من كونه إيجازا لكنه يدخل بكونه نصا مكثفا ومركزا لمعنى معين ؛ فالإيجاز يتطلب التقليل بالشكل والاكتفاء<sup>(٣)</sup> ، وهذا يخرج الإيجاز بقسميه.

٣- الإيجاز بال حذف يكون - كما جاء - بحذف مفردة أو جملة يستدل على المحذوف بقريضة داخلية أو خارجية ، وهذا الحذف يحتمل مفردة أو جملة واحدة وهو من الإيجاز ؛ لكن ما نقصده من حذف في التكتيف و الدراسة اللغوية النحوية من أن هناك ما هو متعدد احتمال المحذوف بمعنى: أن تقدير المحذوف متعدد ، ومع كل واحد يختلف معنى وحينئذ تعدد المعاني بتعدد تقدير المحذوف ، ومنه (( قوله تعالى : {فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة: ٨٢] فهذا يحتمل أن المعنى فليضحكوا ضحكا قليلا وليبكوا بكاء كثيرا فيكون قوله ( قليلا ) و ( كثيرا ) من المفعول المطلق . ويحتمل أن المعنى فليضحكوا زمنا قليلا وليبكوا زمنا كثيرا فيكون ( قليلا ) و ( كثيرا ) من الظروف ))<sup>(٤)</sup>.

ومن جهة أخرى يتعدد المحذوف بتعدد القرينة الدالة عليه ، فالقريضة تستلزم المحذوف ، فإن تعددت القرينة الدالة ؛ تعدد المحذوف ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة [من الخفيف]<sup>(٥)</sup>:

(ثُمَّ قَالُوا تَحْبَهَا قَلْتَ بَهْرًا ... عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْتُرَابِ)

إذا قلنا أن ( بهرا ) هو الجواب ، والمحذوف هو حرف الاستفهام ؛ يكون التقدير: أحبها ؟ وجوابه: أحبها حبا بهرني بهرا ، فذكر ( بهرا ) وحذف البقية<sup>(٦)</sup> ؛ فيكون (( "بهرني بهرا" : في محل نصب صفة أولى للمفعول المطلق المحذوف (أحبها حبا) ، وجملة "أحبها حبا" : المحذوفة مقول القول محلها نصب ))<sup>(٧)</sup> ، أما إذا قيل إنه خبر بمعنى : قالوا: أنت تحبها، أي: قد علمنا ذلك<sup>(٨)</sup> فمعنى: قلت بهرا ، قلت أحبها حبا

(١) مناهل النور في شهر رمضان المبارك : ٦ .

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ١٤٨ / ٣ .

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ٢٥١ / ١ وأيضا: البلاغة العربية : ٤٩ / ٢ .

(٤) الجملة العربية والمعنى : ١٦ .

(٥) ينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٥٠ .

(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب : ٢٠ .

(٧) شرح المفصل لابن يعيش : ٢٩٨ / ١ .

(٨) شرح أبيات مغني اللبيب : ٣٣ / ١ .

بهرني بهرا ، أي: غلبني غَلَبَة<sup>(١)</sup>؛ ، وهنا يكون قوله: ( احبها حبا غلبني ) توكيدا لما تقدم ، وقوله : ( عدد الرمل والحصى ) زيادة في التوكيد.

وهذا يبين رؤية البحث المختلفة للحذف المقصود بمصطلح التكتيف اذ لا نقصد به الحذف بمطلقه – حتى لا يكون من الإيجاز المحض- وإنما الحذف الموجب بتعدد تقديره تعدد معانيه ، أو بتعدد القرائن الدالة عليه .

## ٢- التكتيف والاتساع ( التوسع ) :

الاتساع أو التوسع في الدراسات اللغوية هو (( استباحة الابتعاد عن الأصل والخروج عن القياس لاعتبارات كثيرة تكتنف الموقف اللغوي ))<sup>(٢)</sup> و هو الخروج عن المعنى الأصلي إلى معانٍ مجازية قد يكتسبها اللفظ من السياق مما يؤدي إلى اتساع معناه<sup>(٣)</sup> ، وأيضا هو استعمال الكلام بشكل غير مألوف<sup>(٤)</sup> .

وقد أوضح الدكتور السامرائي معنى الاتساع في المعنى في كتابه ( الجملة العربية والمعنى ) تحت عنوان ( التوسع في المعنى ) قال: (( قد يؤتى بالعبرة محتملة لأكثر من معنى ، وقد يؤتى بها لتجمع أكثر من معنى ، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فبدل أن يطيل في الكلام ليجمع معنيين أو أكثر يأتي بعبرة واحدة تجمعها كلها فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى ))<sup>(٥)</sup>، وهنا يقرر الدكتور السامرائي أن الاتساع هو الإتيان و تحميل الألفاظ القليلة معاني عدّة في سياق واحد .

وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن مصطلح الاتساع و التكتيف يتوافقان – إلى حد كبير - من جهة ويختلفان من جهة أخرى ، فالاتساع في الدلالة يتحقق بتعدد المعاني للدال حصر<sup>(٦)</sup>، أما التكتيف في الدلالة فيتحقق من كثرة المعاني للدال – كما يرى كثير من الباحثين - وهذه جهة الاتفاق ، ويتحقق من تعدد الدال للتركيز على معنى واحد أو فكرة واحدة – كما يرى البحث - ، وهذه جهة الاختلاف بين المصطلحين .

وبالتمعن والبحث أكثر يمكننا أن نحدد بعض الفروق بين الاتساع والتكتيف :

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٠ .

(٢) اتساع الدلالة اللغوية في صحيح البخاري : ١٢. وينظر: الإيضاح في علل النحو : ١٢٢ .

(٣) ينظر: الاتساع في المعنى في تفسير ابن مسعود: ٣٣ .

(٤) ينظر: الاتساع واثره في اللغة: ٢ .

(٥) الجملة العربية والمعنى: ١٤٢ .

(٦) ينظر: الجملة العربية والمعنى : ١٤٢-١٧٥ .

١- ارتبط التكثيف بالإيجاز و المجاز على حد سواء - كما بينا من تعريفات للقدماء والمحدثين - ، وارتبط الاتساع بالانحراف أو الانزياح أكثر (( فقد ورد أن ثمة تواسلاً بين مصطلحي (الانحراف) و (الاتساع) عند القدماء والمحدثين، وثمة تواسلاً بين (الانزياح) و (الاتساع والانحراف) عند المحدثين، وكل هذه الألفاظ تدل على الخروج على المعتاد وهذا يعد عنصراً أساسياً في الاتساع الذي هو عامل من عوامل نمو اللغة))<sup>(١)</sup>.

٢- الاتساع هو العدول عن الأصل والخروج عن القاعدة في التراكيب أو المفردات لاختزال دلالات متعددة ، والحال أن التكثيف ليس في العدول عن القياس والأصل فقط ، وإنما يتحقق في اختزال التركيب الصحيح في كثير من الأحيان دلالات متعددة ، ومنه في النعت ؛ فإنك تستطيع الجمع بين أكثر من صفة لموصوف واحد ؛ فتقول: جاءني رجل كريم شجاع ، و رأيت محمداً العالم الفقيه<sup>(٢)</sup> وهذا هو القياس والأصل ، ومثله في قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٨] ؛ إذ جمع بين خيرين (عزيز حكيم) لمبتدأ واحد ( لفظ الجلالة : الله ) وهذا لا يخرج التركيب عن الأصل والقياس ، ومع ذلك نفهم منه تكثيفاً للدلالة إعطاء معانٍ عدّة يكمل بعضها البعض (( فإنه قد يظن ظان أن عزته قد تدعوه إلى الظلم والتهور ؛ فاحتاط لذلك بوصف نفسه بالحكمة))<sup>(٣)</sup> .

٣- الاتساع أكثر ما يلحظ أنه يكون في الألفاظ والجمل ؛ فهو (( قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمّل أكثر من معنى في سياقٍ واحدٍ كلُّ معنى من هذه المعاني صحيح))<sup>(٤)</sup> . أما التكثيف فيتعدى إلى النص والفكرة والموضوع فضلاً عن المستويين مستوى الألفاظ والجمل<sup>(٥)</sup> .

٤- ارتبط الاتساع في الدراسات النحوية بالحذف وأخذ مسميات عدّة كالإيجاز والاختصار والشاذ<sup>(٦)</sup> و (( أكثر ما يشير النحاة إلى التوسع إلى حالة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وقد يقتصر بعض النحاة ( التوسع ) على هذه الحالة كابن هشام وابن يعيـش والمفصل في صنعة الاعراب))<sup>(٧)</sup> وقد بينا الحذف المقصود في مصطلح التكثيف ؛ فهو ليس الحذف المطلق وإنما ما يتعدد فيه المحذوف ليتعدد بذلك المعنى .

(١) الاتساع في المعنى في تفسير ابن مسعود: ٣٩ .

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٨٢ / ٣ .

(٣) الجملة العربية والمعنى: ١٣٤ ، لعل في وصف الباري عزوجل بـ ( احتاط لذلك ..) من باب المشاكلة كما في قوله تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} [الأنفال: ٣٠] ، ولكن يمكن التعبير بألفاظ لطف فنقول مثلاً : أبرز ذلك بوصف نفسه بالحكمة .

(٤) الاتساع في المعنى في تفسير ابن مسعود: ٣٧ .

(٥) ينظر: التكثيف في النص القرآني: ١٢٣ .

(٦) ينظر: الاتساع وأثره في اللغة : ملخص البحث .

(٧) الاتساع وأثره في اللغة: ١٢ .

٥- النسبة بين الاتساع والتكثيف هي نسبة العموم والخصوص من وجه ، بمعنى: بعض التكثيف اتساع وبعض الاتساع تكثيف ؛ فالاتساع يضم التقديم والتأخير والتضمين ... وما سواها وهذا ما يضمه التكثيف ، لكن مثل التكرار وبعض مظاهر الاحتياط بالمعنى وما سواها لا يضمها الاتساع وتدخل ضمن التكثيف ، وكذا وجود بعض مظاهر الاتساع - كالحذف المطلق - لا تُعد من التكثيف الدلالي .

### ٣- التكثيف والاختزال:

جاء في (البرهان) للزركشي ( ت ٧٩٤ هـ ) أن (( الإختزال، وَهُوَ الإِفْتِعَالُ مِنْ خَزَلَهُ قَطَعَ وَسَطَهُ ثُمَّ نُقِلَ فِي الإِصْطِلَاحِ إِلَى حَذْفِ كَلِمَةٍ أَوْ أَكْثَرَ. وَهِيَ إِمَّا اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ أَوْ حَرْفٌ ))<sup>(١)</sup>. أما السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) صاحب (الاتقان) فقد عرّف الاختزال بوصفه الصنف الرابع من الحذف ؛ اذ يقول: (( النَّوْعُ الرَّابِعُ: مَا يُسَمَّى بِالإِخْتِرَالِ هُوَ مَا لَيْسَ وَاحِدًا مِمَّا سَبَقَ وَهُوَ أَفْسَامٌ لِأَنَّ المَحذُوفَ إِمَّا كَلِمَةٌ أَوْ فِعْلٌ أَوْ حَرْفٌ أَوْ أَكْثَرُ ))<sup>(٢)</sup> ، ونجد عبد الرحمن حبنكة يعرف الاختزال بأنه كلُّ حذف في الكلام<sup>(٣)</sup> ، ثم يستطرد ويوسع من دائرة الحذف ، قال : (( وقد تتبّع البلاغيون والنحويّون والمفسّرون هذا الحذف المسمّى بالاختزال فوجدوا أنه يَشْمَلُ حذف الاسم، والفعل، والحرف، وحذف جملة، أو عدّة جمل، وحذف كلام طويل في قصّة ذات أحداث كثيرة ))<sup>(٤)</sup> ، وعرّفه بعض الباحثين بقوله: (( هو عملية استغناء عن جزء من الكلام بجزء آخر مذكور ))<sup>(٥)</sup>.

وعليه فإن الاختزال في الكلام إما مساوٍ للحذف أو هو صنف من أصنافه ؛ لذا كان الفرق بين التكثيف والاختزال واضحا جليّا ؛ وبكل بساطة إن انحصار الاختزال بالحذف واختصاصه به يبعده عن كونه تكثيفا ؛ نعم يدخل في ضمن التكثيف بكون بعض صور الحذف تكثيفا ، كما أشرنا إلى أن الحذف الموجب بتعدد تقديره تعدد معانيه ، أو بتعدد القرائن الدالة عليه يكون تكثيفا للدلالة ؛ أو الحذف المُبهم للدلالة كما (( فِي المَوَاضِعِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّعْجُبُ وَالتَّهْوِيلُ عَلَى النُّفُوسِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ أَهْلِ الجَنَّةِ: { حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } [الزمر: ٧٣]، فَحَذَفَ الجَوَابُ إِذْ كَانَ وَصْفُ مَا يَجِدُونَهُ وَيَلْقَوْنَهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَتَنَاهَى فَجَعَلَ الحَذْفُ دَلِيلًا عَلَى ضيقِ الكَلَامِ عَن وَصْفِ مَا يُشَاهِدُونَهُ وَتَرَكْتَ النُّفُوسُ تُقَدِّرُ مَا

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٣٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٢٠٦.

(٣) ينظر: البلاغة العربية: ٢ / ٥٧.

(٤) البلاغة العربية: ٢ / ٥٧.

(٥) الاختزال في النص القرآني: ٣٥..

شَاءَتْهُ وَلَا تَبْلُغْ مَعَ ذَلِكَ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ ، وَكَذَا قَوْلُهُ: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} [الأنعام: ٢٧] أي لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيْعًا لَا تَكَادُ تُحِيْطُ بِهِ الْعِبَارَةُ<sup>(١)</sup>.

#### ٤- التكتيف والاقتصاد اللغوي:

هناك من عرّف التكتيف بأنه (( الاقتصاد في اللغة ووضع الفكرة المراد توصيلها في حيز قليل من الكلمات ))<sup>(٢)</sup> ، وقد فرّق بعض الكتاب بين التكتيف والاقتصاد اللغوي عند تعريفه للتكتيف بقوله: (( إن استعمال مصطلح التكتيف بدلا من الاقتصاد اللغوي ؛ لأننا في حومة دراسة تتطلب استعمال مصطلحات غنية ... لأن هذا المصطلح يحمل من الدلالات لا تتوفر في الاقتصاد اللغوي الذي يحيل إلى حقل اللغة في حين أن التكتيف يمتد ويستطيل ليكون تكتيفا في الحدث والموضوع والفكرة فضلا عن اللغة ))<sup>(٣)</sup> ومعنى كلامه : أن الاقتصاد اللغوي مختص بالشكل من مفردة و تركيب وجملة .

والاقتصاد اللغوي هو (( الوصول بالقليل من الوسائل اللغوية إلى الكثير من الغايات والمعاني ))<sup>(٤)</sup> ؛ فهو الوصول بالقليل إلى الكثير.

وحتى لا نتشعب أكثر ونطيل نبين الفرق بين المصطلحين في ضوء ما تقدم:

١- الاقتصاد لغة هو القصد في الأمر مع عدم تجاوز الحد ، وهو التوسط والاعتدال ، وعدم الاسراف والافراط<sup>(٥)</sup>؛ فهو شبيه بالاختصار والاقتصار والإيجاز والحذف<sup>(٦)</sup> ، أما التكتيف فهو التكثر والتجميع مع الضغط والتركيز .

٢- ينفرد الاقتصاد اللغوي بالإيجاز ، أما التكتيف فيجمع بين الإيجاز والاتساع .

٣- اختص الاقتصاد اللغوي بالشكل ( حقل اللغة ) ، وهذا من التكتيف ؛ فالتكتيف يفترض بحضوره عدداً محدداً من العناصر، والتقنيات على مستوى اللغة في التركيب والمفردة والجملة<sup>(٧)</sup> ، لكن من التكتيف اللغوي و المتحقق بالإيجاز والاختصار ، وما نقصده في هذه الدراسة التكتيف الدلالي ، الذي يتعدى الشكل إلى تركيز الدلالة ؛ فإن هناك صوراً ينفرد بها التكتيف عن الاقتصاد و إن اختصت بالحقل اللغوي

(١) الإتيان في علوم القرآن: ٣/ ١٩٠ ، و حتى ( الواو ) في ( وفتحت .. ) تزيد من هذا الإبهام الذي تسرح فيه النفس وتهياً له ؛ إذ يرى الدكتور علي عبد الفتاح أن الواو - هنا - جاءت دلالتها للتهيئة بما يناسب الكرم الإلهي للقادمين إلى الجنة وبما يفوق استحقاقهم ، وقد اطلق عليها ( واو السبق ) : ينظر: واو السبق في القرآن الكريم : ٢٥ .

(٢) التكتيف اللغوي أساس بناء هذا الفن وآلة ضوابطه التي تخلصه من الكولسترو ل : مقال .

(٣) القصة القصيرة جداً مقارنة تحليلية: ٥١ .

(٤) الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره: ٢١ .

(٥) ينظر: تاج العروس ( قصد ) : ٣٦ / ٩ .

(٦) ينظر: الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره: ١١ .

(٧) التكتيف هوية القصة القصيرة جداً (ق. ق. ج) : مقال.

بشكل أوضح ، وذلك كالجمع بين صيغتين تكمل أحدهما الأخرى ، كما في قوله تعالى : { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة: ١] ؛ حيث جمع بين صيغتين - ( الرحمن و الرحيم ) وكلاهما صفة مشبهة - تكمل إحداها الأخرى مُكثفا للدلالة بهذا الجمع ؛ وذلك أن (( ( الرحمن ) على صيغة ( فعلان ) وهي تفيد التجدد والحدوث كغضبان وعطشان ؛ و لئلا يُظن أن رحمته تعالى تزول و أنها ليست دائمة احتاط للمعنى فجاء ب ( الرحيم ) على صيغة ( فعيل ) التي تدل على الثبوت ... فجمع بين الحدوث والثبوت للدلالة على كمال الرحمة واستمرارها ))<sup>(١)</sup>؛ فجمع بين صيغتين من صيغ الصفة المشبهة ؛ لتكثيف دلالة الرحمة أكثر ، وهذا الجمع من جهتين ، من جهة الشكل حيث تعددت الصيغ ( فعلان و فعيل ) ، وبالجمع بين دلالتيهما من حيث المضمون ، وكل هذا لتكثيف وتركيز دلالة معينة .

٤- هناك فروق في التطبيق بين التكثيف اللغوي و الاقتصاد اللغوي مع اختصاصهما بحقل اللغة ؛ وذلك - مثلا - ببعض ظواهر المشترك اللفظي مثل الأضداد ؛ فإن لفظ الأضداد المستعمل لا يدل إلا على معنى واحد أثناء التكلم ، وهذا يندرج تحت الاقتصاد اللغوي ، لكن ما يندرج تحت التكثيف اللغوي أن من الأضداد ما يستعمل ويراد به المعنيين - المعنى وضده - أثناء التكلم ، وهذا لا يعد من الاقتصاد اللغوي ؛ فهو اتساع للمعنى مما يؤدي إلى تكثيف الدلالة كما سيتبين في الفصول القادمة إن شاء الله .

٥- التكثيف ليس فقط الوصول بالقليل إلى الكثير ، وإنما الوصول بالكثير إلى القليل من خلال جمع أكثر من وسيلة لغوية في عبارة ما للتركيز على فكرة محددة - وهذا ما بيناه سابقا - ولا بأس بإيراد مثال على ذلك ومنه الاتيان بالحال المؤكدة كقوله تعالى: { وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا } [النساء: ٧٩] ؛ فإن جملة ( أرسلناك ) تقتضي أنك رسول ، لكن مع هذا المعنى جاء ب ( رسولا ) لتقويته وتثبيته<sup>(٢)</sup> ، وهذا من التكثيف للدلالة بأكثر من وسيلة لغوية ؛ إذ إن مع الجملة التي تعطي المعنى المراد من غير لیس جاء بما يؤكد الدلالة ويقويها ويركزها لنفس المعنى .

وقبل الختام لابد من التنويه إلى اختلاف ( التكثيف ) عن ( المثل ) ؛ فالمثل فن من الفنون الأدبية ، والحال أن هذه المصطلحات كالاتساع و الاقتصاد و التكثيف مفاهيم تُدرس في اللغة ؛ فلا مقارنة بينه وبين التكثيف من هذه الناحية ، نعم ؛ يُعد المثل صورة من صور التكثيف ؛ باختزاله حادثة فيها عبرة وحكمة ؛ فيؤتى به في الاستعمال شاهدا مشابها لمراد المتكلم<sup>(٣)</sup> ، لكنه - استعمال المثل - بهذا يقتصر على دلالة ما وضع له المثل ، ولا يشي بدلالات تجعل النص مفتحا أمام التأويل و التحليل كما نجد في التكثيف .

(١) الجملة العربية والمعنى: ١٣٣ .

(٢) ينظر: الجملة العربية والمعنى: ١٢٩ .

(٣) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٢٠٢ .



# الفصل الأول

## التكثيف الدلالي في المستوى الصوتي والصرفي

**المبحث الأول: تكثيف الدلالة بتكرار الأصوات**

أولاً: تكرار الصوت المنفرد

ثانياً: تكرار الألفاظ لجرسها

**المبحث الثاني: محاكاة الدلالة بجرس اللفظ**

أولاً: ألفاظ تشتمل على صوت أو أكثر

ثانياً: ألفاظ متكررة المقطع

**المبحث الثالث: تكثيف الدلالة بالتلويح الصوتي**

**المبحث الرابع: تكثيف الدلالة باستعمال الصيغة الصرفية**

أولاً: تكثيف الدلالة بالجمع بين صيغتين تكمل إحداها الأخرى

ثانياً: زيادة المبنى تُكثف الدلالة

## الفصل الأول

### تكثيف الدلالة في المستوى الصوتي و الصّرفي

مما تمتاز به اللغة العربية اتساع مفرداتها و وفرتها ؛ فهي غنية بالكلمات و متسعة التعابير و المعاني ، وما يكوّن هذه المفردات و هذه التعابير هي الأصوات ، قال الجاحظ: (( الصوت هو آلة اللفظ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، و به يوجد التآليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظا و لا كلاما موزونا و لا منثورا إلا بظهور الصوت، و لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التآليف ))<sup>(١)</sup> ؛ فاللغة نظام من الرموز الصوتية ، أو بمعنى أدقّ (( معنى موضوع في صوت ))<sup>(٢)</sup> ؛ لذا يكون جمال اللغة من جهة ألفاظها و تعابيرها و كيفية نظمها ، و بما يوحي به جرس مفرداتها و انسجام أصوات تعابيرها من جهة أخرى<sup>(٣)</sup> .

و قد تنبه علماء اللغة العربية من قبل إلى أن للمعاني ارتباطا بأصوات ألفاظها ؛ فهذا ابن جني يقول: (( فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، و نهج مثلث عند عارفيه مأموم ، و ذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها و يحتذونها عليها، و ذلك أكثر مما نقدره ، و أضعاف ما نستشعره ، من ذلك قولهم: خضم و قضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ و القثاء و ما كان نحوهما من المأكول الرطب، و القضم للصلب لليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها و نحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، و القاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ، و من ذلك قولهم: النضح للماء نحوه و النضخ أقوى من النضح، قال الله سبحانه: { فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ } [الرحمن: ٦٦] فجعلوا الحاء - لرقّتها - للماء الضعيف، و الخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه ))<sup>(٤)</sup>؛ فاستعماله تعالى لـ ( نضّاختان ) ، و بتضمنها الصوت الأقوى أدت الدلالة بصورة تناسب السياق و الحديث عن الجنة و تصوير خيراتها ؛ فصوت الخاء صور لنا أن العينين تفيضان بالماء لا تجريان جريا<sup>(٥)</sup> .

و من هنا فإن توظيف الصوت يعتمد على بلاغة المتكلم و طريقة استعماله ؛ فالمتكلم البليغ من يُحسن اختيار اللفظة المناسبة و يلائم بين أصوات التعابير و المفردات في كلامه ؛ ليكون بينها تجانس و

(١) البيان و التبيين : ٨٤ / ١ .

(٢) علم الدلالة: ٥٠.

(٣) ينظر: التكرار مظاهره و أسرارها : ٩٥-٩٦ .

(٤) الخصائص : ١٥٩ / ٢ .

(٥) ينظر: الإتيان في علوم القرآن : ٤٧ / ٢ ، و في ظلال القرآن : ٣٤٥٨ / ٦ .

تناسق تستطيه الأسماع و يؤدي الغرض و يدعم الدلالة ، و إن ما يجعل الدلالة مكثفة باستعمال الأصوات هو اعتماد المتكلم البارح عليها ، كما نجدها في بعض النصوص العالية ؛ إذ يستعين بها المتكلم لتكثيف الدلالة المرادة ؛ فنراه يركز على أصوات من دون أخرى ، يلتزم صوتا أو إيقاعا محددًا ، أو قد يلون من الأصوات ، وكل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق و المقام ، و بحسب حاجة الدلالة للأصوات ؛ فقد تكون الدلالة خفية لا مسموعة ولا مرئية ؛ فيصورها و يظهرها بالأصوات كالخوف أو الوسوسة ، وقد تكون الدلالة صوتية فيكتف من الأصوات التي تناسبها كصوت شدة الريح ، أو قد تكون الدلالة مرئية تحصل بالمشاهدة فيقربها بالأصوات من الأذهان كالحركات مثلا - كما سيأتي - ؛ فدراسة التكثيف في هذا المستوى تعتمد على (( كم الأصوات في الجمل و شيوعها و أنواعها من زاويتين ، نظرة أولية للأصوات مفردة ، و الثانية في حال انتظامها بكلمات أو مفردات متكررة أو متجانسة أو متشابهة ))<sup>(١)</sup> .

ولا مبالغة إذا قلنا إن بعضا من النصوص عالية البلاغة اعتمد فيها المتكلم على الأصوات المستعملة لتأدية المعنى و إيصاله بأبهى صورة ؛ فكثف الدلالة باستعمالها ، كما نلاحظ في قوله تعالى: { فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى } [طه: ٦٧] ، وهنا إخبار منه تعالى بالخوف الذي اعترى موسى ( عليه السلام ) كما أخبر عن غيره من الأنبياء في آيات أخرى ، كقوله تعالى حكاية عن ابراهيم ( عليه السلام ) : { وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } [هود: ٧٠] ، وقال في سورة أخرى : { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } [الذاريات: ٢٨] ؛ وفي الآيات كلها إخبار عن الخوف ، غير أن ما يفرق خوف موسى ( عليه السلام ) من خوف ابراهيم ( عليه السلام ) ، أن موسى ( عليه السلام ) خوفه في نفسه لم يظهر على ملامحه بدلالة قوله: ( في نفسه ) ، أما خوف ابراهيم ( عليه السلام ) ؛ فقد ظهر على ملامحه ؛ لذا جاء قوله تعالى حكاية عن الرسل : { قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ } [هود: ٧٠] ، وقال : { قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ } [الذاريات: ٢٨] .

وما نريد قوله : أنه تعالى في الإخبار عن موسى ( عليه السلام ) نجد أنه تكرر صوت ( الفاء ) ؛ إذ جاء أربع مرات ، و كذا صوت ( السين ) تكرر ثلاث مرات ، ولم يتكرر هذان الصوتان في الإخبار عن ابراهيم ( عليه السلام ) سوى ( الفاء ) مرتين في آية وفي أخرى مرة واحدة ، و ( السين ) مرة واحدة في كلتا الآيتين ، وصوت ( السين ) صوت مهموس يخرج الهواء عند النطق به مصدرا الصفير<sup>(٢)</sup> ، أما ( الفاء ) فهو - أيضا - صوت مهموس ، لكنه رخو و الهواء فيه يتفشى فيكون كحفيف الشجر<sup>(٣)</sup> ، وقد رسم تكثير هذين الصوتين الحالة النفسية و صورة الخوف عند موسى ( عليه السلام ) ، وأظهرها بعد أن أخفتها

(١) البنية الصوتية ( الأمد والكثافة ) في الخطبة العلوية : ٢٦ .

(٢) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٥٣ .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية : ٤٨ .

ملامحه ؛ فالوجس: هو الصوت الخفي ، و الخيفة: الحالة التي عليها الإنسان<sup>(١)</sup> ؛ و حالة موسى ( عليه السلام ) من الخوف خفية ( في نفسه ) غير ظاهرة ؛ فصوت الخوف في نفسه و استشعاره لا يُحس به أحد لما تفاجأ به من سحر عظيم<sup>(٢)</sup> ؛ لذا ما كتّف من دلالة الإخبار عن هذا الخوف و إظهاره ؛ هو التكتثير من صوتي ( الفاء و السين ) ، فضلا عن أن هذا التكتثير- لصوتي ( الفاء و السين ) - كتّف من تصوير المشهد ؛ فكأن الناس المجتمعة و السحرة و فرعون و الملائكة بجانب ، و موسى وخوفه بجانب آخر له مشهد مختلف أصبح متصورا و محسوسا في ذهن المتلقي ؛ إذ إن صوت ( الفاء ) وانتشاره بين هذه ( السينات ) (( قد خفف من حدّة صفيها ؛ فأكسبها رنة لذيذة تأنس إليها النفس فتستشعر معها همسات هذا التوجس الذي حدث به نبي الله موسى ( عليه السلام ) نفسه ))<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٥٩ / ١٦ .

(٢) ينظر: روح البيان : ٤٠٢ / ٥ .

(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة : ٢٣٥ .

## المبحث الأول

### تكثيف الدلالة بتكرار الأصوات

التكرار لغة: هو الرجوع و الإعادة ؛ فهو من ( كرّ ) أي: رجع<sup>(١)</sup> ، و ( كرّر ) الشيء (( وكرره: أعاده مرة بعد أخرى... فعلا كان أو قولاً ))<sup>(٢)</sup>، ويقال (( كررت الشيء تكريرا وتكرارا ))<sup>(٣)</sup>.

أما في الاصطلاح: فهو تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد ؛ وذلك للتوكيد أو التنبيه أو التهويل أو التعظيم<sup>(٤)</sup>، أو للتقرير، أو للتوبيخ، أو على جهة التشويق و الاستعذاب ، أو لشدة القريحة التي تصيب المتفجع، أو الهجاء على سبيل الشهرة<sup>(٥)</sup>... أو غيرها من الانفعالات النفسية و العاطفية و الدلالات التي تناسب المقام والسياق .

غير أن ما نقصده من تكرار - هنا - هو من حيث الأصوات ، الذي يُكسب التعبير نغما صوتيا مكثفا ؛ لأنه يقوم على ترديد الأصوات أو الألفاظ ذات الجرس المناسب للدلالة ؛ فالأديب المبدع يردد الصوت أو الكلمة أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية أو النغم الأساس الذي يعاد ليخلق جوا نغميا ممتعا<sup>(٦)</sup>؛ يستعين به لتكثيف الدلالة .

#### أولاً: تكرار الصوت المنفرد :

قد يركز المتكلم على صوت معين أو مجموعة أصوات فيكررها في النص ؛ ويجعلها المهيمنة على ما معها من أصوات فيضفي نغمة صوتية على النص ؛ إذ (( إنَّ عودَةَ النقر على الوتر ، تحدث التجاوب مع سابقتها فتأنس الأذن بازدواجهما وتآلفهما ، فإنَّ عودَةَ الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأناس لو لم تكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه ))<sup>(٧)</sup> ، وقد تُكثَّف الدلالة بهذا التكرار ؛ (( فإذا كان مما يزيد المعنى شيئاً أفادَ مع الجرس الظاهر جرساً خفياً، لا تدركه الأذن ، وإنما يدركه العقلُ والوجدان وراء

(١) ينظر: تهذيب اللغة (ك ر ر) : ٣٢٨ / ٩ ، و القاموس المحيط : ٤٦٩ .

(٢) تاج العروس ( كرر ) : ٢٧ / ١٤ .

(٣) لسان العرب ( كرر ) : ١٣٥ / ٥ .

(٤) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤٣٣ .

(٥) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ٧٤ / ٢ - ٧٦ .

(٦) ينظر: الدراسات اللغوية في نهج البلاغة : ٣٥ .

(٧) التكرير بين المثير والتأثير: ١٤ .

صورتته<sup>(١)</sup>، و نفهم من التركيز على صوت ما ؛ التركيز على ما يحمله من دلالات تناسب السياق و تكثف من دلالاته<sup>(٢)</sup>.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الناس : بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلِهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ } [الناس: ١ - ٦]؛ فإن الصوت المتكرر كثيرا هو صوت ( السين ) ؛ إذ تكرر عشر مرات ، وهو صوت رخوي مهموس كثف من دلالة الهمس و الوسوسة الخفية ، يقول سيد قطب: (( اقرأها متواليّة تجد صوتك يحدث "وسوسة" كاملة تناسب جو السورة ، جو وسوسة<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن في تكرار صوت ( السين ) دلالة أخرى نستنتجها من غرض السورة وهو الاستعاذة بالله ، و من معنى ( الوسواس الخناس ) وصفته ( الذي يوسوس في صدور الناس ) ؛ فد (( كلمة ( وسواس ) على صيغة فعّال وهي صيغة تفيد التكرار ؛ لأنه لا ينفك عن الوسوسة ... وصيغة فعّال تفيد المبالغة ... إذن كلمة ( وسواس ) تفيد المبالغة والتكرار<sup>(٤)</sup> ، أما ( الخناس ) ؛ فهي - أيضا - صيغة مبالغة ( فعّال ) كثير الخنس و الاختفاء ؛ لأنه عند الغفلة ينهض ويوسوس<sup>(٥)</sup>؛ فما أشد وسوسته و أكثرها ، وما أخطر دسائسه و أخفاها في النفس! ؛ لذا قال تعالى : ( في صدور الناس ) ، ولم يقل: في قلوب الناس ؛ (( لأن الصدور أوسع، وهي كالمداخل للقلب، فمنها تدخل الواردات إلى القلب، والشيطان يملأ الصدر بالوسوسة ومنه تدخل إلى القلب من دون أن تترك خلفها ممرا نظيفا يمكن أن تدخله نفحات الإيمان، بل يملأ الساحة بالوسواس قدر استطاعته مغلقا الطريق إلى القلب<sup>(٦)</sup>)).

ومما تقدّم أن التكتيف من صوت ( السين ) تكتيف لملأ الصدر بالاستعاذة ؛ فصوت ( السين ) في السورة يخلق جوا من الوسوسة الرحمانية - إن صح التعبير - أو جوا رحمانيا مكثفا مقابل الوسوسة الشيطانية المبالغ فيها ؛ فمناسبتها لجو السورة هو خلق جو رحمانى في النفس يقابل هذه الوسوسة الشيطانية ( من الجنة والناس ) .

ومن كلام الإمام علي ( عليه السلام ) ما يجسد هذا التكتيف في خطبة له ، و قد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا ، و فيها يلقي عليهم التبعة لعدم طاعته ؛ إذ

(١) التكرير بين المثير والتأثير: ١٤ .

(٢) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة: ٨١ .

(٣) التصور الفني في القرآن: ٩٤ .

(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٤٤٨ .

(٥) ينظر: بيان المعاني: ١ / ١٨٤ .

(٦) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٤٤٩ .

قال عليه السلام: (( فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَمْهَلْنَا يُسَبِّخُ (١) عَنَّا الْحَرُّ وَ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ (٢) أَمْهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرُّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ تَفْرُونَ فَأَنْتُمْ وَ اللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ )) (٣)؛ إذ إن صوت ( الراء ) في النص تردد أكثر من غيره من الأصوات ؛ فقد تكرر ( ثماني عشرة ) مرّة ، و في ( إحدى عشرة ) منها جاء مضعفاً ، و لا بد لهذا الحشد من صوت ( الراء ) من معانٍ و إحياءات يضيفها على النص ؛ فيما أنه صوت يتسم بصفة ( التكرار ) ؛ إذ يحدث عند ملامسة مقدمة اللسان للثة ، و تطرقها طرقات عدّة تصدر الصوت المتكرر (٤) ، و هذا مناسب لمقام تكرر استنهاضه ( عليه السلام ) لهؤلاء الناس مع تكرر عدم الطاعة منهم في كلّ مرّة ، و تكرر أعمارهم فمرّة بالحر و أخرى بالبرد و ما بين هذا ، و ذلك فرارهم من الحرب .

و لأن صوت ( الراء ) صوت متوسط الشدة و الرخاوة ؛ فقد دلّ على أن الإمام ( عليه السلام ) استعمل أساليب عدّة مع هؤلاء العاصين ، الشديدة منها و اللينة ، و هذا تصوير لحاله ( عليه السلام ) مع تلك الأمة و واقع محكي ، يحكي معاناته و آلامه المتكررة منهم (٥) ، و ما كتّف هذه الدلالات في النص هو تكرر الصوت الدال عليها ، فضلا عن التأكيد المعنى لدى المتلقي بتكراره و تضعيفه .

و من بديع ما حشد فيه الصوت الملائم للدلالة قوله ( عليه السلام ): (( حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ فَلَيْنٌ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَّ وَ لَيْنٌ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ )) (٦) نجد أن صوت ( اللام ) قد تكرر ( سبع عشرة ) مرّة ، و هذا التركيز على صوت اللام و في هذا السياق ليس اعتبارا ؛ فقله : ( فلئن أمر الباطل ) أي بمعنى: كثر ، و قوله : ( فلربما ولعل و لقلما ... ) دلالة على قلة الحق (٧) و اضمحلاله و هيمنة الباطل و سيطرته مع تعدد مستوياته و ألوانه و أساليبه ؛ فمناسبة تكرر جرس ( اللام ) ذي صفة الانحراف و الميل ، واضحة مع دلالة التعبير .

و صوت ( اللام ) صوت مجهور و ذلقي ، و دلالة ذلك أن صوت الباطل و ضجيجه أكثر ما يُسمع ، و بالمقابل فإن صوت الحق و دعواته ضئيل بين هذا الضجيج العالي ، غير أنه – الباطل و أهله – مهما

(١) أي: يخف و يفتر: بهج الصباغة: ١٠ / ٥٠٩ .

(٢) أي: شدة البرد : أعلام نهج البلاغة (السرخسي): ٦٤ .

(٣) نهج البلاغة: ٦٩ .

(٤) ينظر: أسرار الحروف: ٨٣ .

(٥) ينظر: شرح نهج.. (السيدعباس): ١ / ٢٣٠ .

(٦) نهج البلاغة: ٥٧ .

(٧) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ١١٠ .

كثروا و استعلى ضجيجهم فإنهم مقابل الحق منخضون منحطون ، و هذا يناسب توبيخ الباطل وأهله<sup>(١)</sup> ؛  
ف (( كثرة الباطل لا تجعله حقا ))<sup>(٢)</sup>، وفيه تعظيم و عزّة و إكرام للحق وأهله .

نجد أن الصوت المركز في التعبير يؤدي وظيفة دلالية تناسب السياق عموما – كما سبق - ؛ فيكتف من  
الدلالة بدلالة جرسه المتكررة ، ومن ذلك – أيضا - قوله في خطبة له (عليه السلام) و فيها مباحث لطيفة  
من العلم الإلهي: (( بَلْ قَضَاءٌ مُتَّقَنٌ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ الْمَأْمُولُ مَعَ النَّقْمِ الْمَرْهُوبِ مَعَ النَّعْمِ ))<sup>(٣)</sup> ،  
إن الحديث منه ( عليه السلام ) عن علم الله تعالى و حكمته وقضائه واتقانه ، وفي هذا السياق هيمن صوت  
( الميم ) ؛ إذ تكرر ( أربع عشرة ) مرة ، وهو صوت شفوي مجهور ، زاد في دلالة ألفاظ السياق  
المقصودة ( محكم ) و ( متقن ) و ( مبرم ) ؛ (( فانطباق الشفة على الشفة مع حرف الميم يماثل الأحداث  
الطبيعية التي يتم فيها السدّ والانغلاق ))<sup>(٤)</sup> ؛ (( فما قضاه و أوجده في مكانه كان يسير وفق ما رسم له من  
دور و حركة في دقة و نظام و حكمة ؛ بل الأمور لديه منكشفة و هو خالقها في أمر محكم متقن لا نقص  
فيه أو خلل يعتريه ))<sup>(٥)</sup> ؛ فكثفت هذه المعاني بتكراره – الميم - .

و قد كثف تكرار صوت ( الميم ) من الدلالة العامة للسياق ، وهي الحديث عن دقة العلم الإلهي ؛ إذ دلّ  
على العظمة و الإجلال و الرفعة ؛ لأنه أرفع حروف الشفة<sup>(٦)</sup> .

ومن هذا الوادي قوله ( عليه السلام ) في خطبة له يعظ الناس ؛ إذ قال: (( اتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ  
قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ جَلْبِيئُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ ))<sup>(٧)</sup> ، وفي موضع آخر من كتاب له ( عليه السلام ) قال: ((  
فَاخْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ ))<sup>(٨)</sup> ؛ ففي كلا التعبيرين تكرر صوت ( الدال )  
أكثر من غيره ، و ( الدال ) حرف مجهور انفجاري ، يدلّ على الشدة والتصلّب<sup>(٩)</sup> ، وقد وصفه بعض  
المحدثين بأنه صوت (( أصمّ أعمى مغلق على نفسه كالهرم ، لا يوحى إلا بالأحاسيس اللمسية ، وبخاصة  
ما يدل على الصلابة والقساوة ، وكأنه من حجر الصوان ؛ فليس في صوت (الدال) أي إحياء بإحساس  
ذوقي أو شمّي أو بصري أو سمعي أو شعوري ؛ ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة

(١) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ .

(٢) نهج الحياة : ٧٥ .

(٣) نهج البلاغة: ٩٦ .

(٤) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٧١ .

(٥) شرح نهج.. (السيدعباس): ١ / ٣٩٥ .

(٦) ينظر: العين : ١ / ٤٧ .

(٧) نهج البلاغة: ١٧٦ .

(٨) نهج البلاغة: ٣٨٣ .

(٩) ينظر: سر صناعة الإعراب : ١ / ١٩٧ ، و علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٣٠ ، و أسرار الحروف : ٩١ .



((<sup>(١)</sup>)، وهنا - في المثالين - قد عبّر عن هذه الشدة وقربها للأذنان ؛ فكأن جهنم - أجارنا الله - خالية من الشعور و الإحساس ؛ فهي ظلماء مغلقة ليس فيها سوى الشدة و القساوة ، قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى ، نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى} [المعارج: ١٥، ١٦] ، وهذه القساوة و الشدة طويلة الأمد ؛ فصوت المد ( الياء ) المتوسط بين الدالات - في : شديد و بعيد و صديد و جديد - يوحي بذلك ؛ إذ إن زمان النار من زمان الآخرة {كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: ٤٧]! ؛ لذا إن الزخم من هذا الصوت الشديد يطرق الأسماع بشدة لينبه الأذنان ويحذرهما بشدة .

غير أن هناك فرقا بين التعبيرين ؛ فالتعبير الأول كان أكثر تكرارا لصوت ( الدال ) من التعبير الثاني ، وفي ذلك نكتة تخص المتلقي ؛ إذ لما كان المتلقي في التعبير الأول سامعا ، كان الصوت هو المُعبّر أكثر من غيره عن الشدة و التحذير ؛ لذا جاء التحذير بالفعل ( اتَّقُوا ) فالنبرة الشديدة توحى بذلك ، ولما كان المتلقي - في التعبير الثاني - قارئاً كانت الألفاظ وما تحمل من معنى هي المُعبّرة أكثر من الأصوات ؛ لذا جاء التحذير بالفعل الدال عليه ( فاحذروا ) .

وفي سياقات أخرى نلاحظ أن تكرار الصوت يعبّر عن عاطفة المتكلم تجاه المُخاطب ؛ فتظهر الأصوات تلك الدلالات العاطفية و الانفعالية و تُكثّفها بهيمنتها على التعبير ؛ إذ (( إن ترديد الحرف الواحد له قيمة تنغيمية ذات وظيفة عضوية في أداء الفكرة و العاطفة وهي وسيلة شعرية ))<sup>(٢)</sup>، كما نجد جمال التعبير ودقة التنظيم في وصية له لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام ) ، ابتدأها ( عليه السلام ) بالقول : (( مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى وَ الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ ))<sup>(٣)</sup>، إذ تكرر صوتا ( الميم و النون ) بشكل ملحوظ ؛ فالميم تكرر ( اثنتا عشرة ) مرة ، و( النون ) ثمان مرات ، و يشترك الصوتان بخروج الهواء المندفع عند النطق بهما من الخيشوم ، مما يصدر صوت ( الغنة )<sup>(٤)</sup> ، قال ابن جني: (( أدغموا النون في الميم، لاشتراكهما في الغنة والهوي في الفم ))<sup>(٥)</sup> ، وهما - الميم والنون - بذلك - صوت الغنة - (( يليان أصوات المد في الطول و الامتداد وبلغت النون حد الترتم بها... كما يترتم بأصوات المد ))<sup>(٦)</sup> ، قال سيبويه: (( وإنما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترتم، فألحقوا كل حرف الذي حركته منه...وأما ناسٌ

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٦٦ .

(٢) رسائل الإمام علي ( عليه السلام ) دراسة لغوية: ١٣١ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٩١ .

(٤) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١١٣ ، وجاء في كتاب العين: (( الغنة: صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشيم يُغور

من نحو الأنف بعونٍ من نفس الأنف )): العين : ٤ / ٣٤٨ .

(٥) سر صناعة الإعراب : ٦٩ / ١ .

(٦) التغير الصوتي في الفواصل القرآنية ودلالاته : ٥٢ .

كثير من بني تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون ((<sup>(١)</sup>)، وهذا التكرار من صوتي الغنة يضي تكثيفا من الرقة و العذوبة في التعبير ، ويجعل العاطفة الأبوية تشي بما تُكنه من حنان .

وبصوت ( الميم ) الذي يلفظ بضم الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني مما هو أكثر تمثيلاً لواقع شدة حرص الأب على ولده ، وأوحى بمعاني الرقة والإحاطة<sup>(٢)</sup> ، و صوت ( النون ) (( المختص أصلاً بالمشاعر الإنسانية ))<sup>(٣)</sup> ؛ جعل من المشاعر الجياشة مهيمنة على التعبير ، فضلا عن أن لصوت المد ( الألف ) أثرا في ذلك ؛ فإن مدّ الصوت بالألف وتغلغله بين تلك الغنات من صوتي ( الميم و النون ) يعبر عن الحس المرهف و الحنان الأبوي تجاه الولد ؛ فلو قرأها المتلقي بصورة تنغيمية لما وسعه إلا أن يتلفظها بشكل هادئ يلُمس فيه حسا دافئا .

ومما عبّر الصوت المتكرر فيه عن انفعالات النفسية إزاء المخاطب - لكن بشكل مختلف - بشكل مناسب قوله ( عليه السلام ) ما جاء في توبيخ أهل البصرة: (( أَخْلَافُكُمْ دِقَاقٌ <sup>(٤)</sup> وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ <sup>(٥)</sup> ))<sup>(١)</sup> ؛ فلصوت ( القاف ) الهيمنة على التعبير ، والعُلقة في الذهن عند نهاية الجُمْل، وهذا الصوت يمتاز بصفة القوة و الشدّة ، التي تجمع صفات عدّة أهمها: الجهر و الانفجار ، ويشترك في ذلك مع صوت ( الكاف )<sup>(٦)</sup> الذي تكرر ( أربع ) مرات في النص ، ويفضي هذا التجمع من الصفات في الصوت (( إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدّة، وإلى أحاسيس بصرية وسمعية ، من فقاعة تنفجر، أو فخارة تنكسر ))<sup>(٨)</sup> ، وهذا التكرار من صوتي ( القاف ) و ( الكاف ) في سياق التوبيخ ؛ يكشف عن انفعال شديد للإمام ( عليه السلام ) تجاه هؤلاء المخاطبين ؛ فكأن صدره امتلأ غيضا و ألما منهم ومن أفعالهم المشينة ؛ حتى انفجرت قريحته بهذه الأصوات المعيرة ؛ وهذا يكثف من شدة توبيخه وتنكيله ( عليه السلام ) لهم .

(١) الكتاب لسبويه : ٢٠٦ / ٤ .

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٧٦ .

(٣) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٤٣ .

(٤) أي: دنينة : تصنيف نهج البلاغة : ٢٤٥ .

(٥) أي: مالح: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٩٤ .

(٦) نهج البلاغة: ٥٥ .

(٧) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٨٦ .

(٨) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٤٢ .

## ثانياً: تكرار الألفاظ لجرسها:

إن تكرار الألفاظ غالباً لا يأتي لغاية ترتبط بجرس أصواتها ؛ بل لغاية ترتبط بمعناها<sup>(١)</sup>، وقد يحدث هذا تكثيفاً للدلالة لكن من جهة أخرى غير صوتية ؛ لذا إن ما نقصده من تكثيف للدلالة في تكرار اللفظ – هنا – هو تكرار الألفاظ ذات الجرس الذي يوحي للأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه<sup>(٢)</sup> ؛ فتحدث صورة صوتية لا تنفصل عن معنى اللفظ و السياق ، مما يجعله ملمحاً من ملامح التكثيف للدلالة<sup>(٣)</sup> من جهة الأصوات ؛ فما يؤكد هذا التكرار هو الجرس الصوتي في سياق ترتبط دلالاته بالدلالة الصوتية أو قد تعتمد عليها .

وقد يكون هذا التكرار بتكرار اللفظ نفسه من دون اختلاف ، كما في قوله تعالى: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} [الفجر: ٢١] ؛ فإن لفظ ( دَكًّا ) المتكرر كثف من الجرس الصوتي بما يناسب دلالة السياق المرتبطة بالأصوات – كما مرّ في تحليل هذه الآية - ، وقد يكون التكرار باختلاف ؛ فيكرر الجرس الذي ترتبط به الدلالة - كما لو يكون المكرر أحد مشتقاته – ومن ذلك قوله تعالى: {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا} [الواقعة: ٤] ؛ فقد تكرر لفظ ( رَجَّت ) بـ ( رَجًّا ) وما تكرر منه صوت ( الراء ) و صوت ( الجيم ) المضعّف ، أي: ( رَج ) ، و (( رج الشيء يرجه رجا: حركه وزلزه ؛ فارتج واضطرب ))<sup>(٤)</sup> ، ومعنى الآية: أن الأرض تُحرك وتضطرب بحيث ينهدم كلّ بناء عليها حتى الجبال تنفتت<sup>(٥)</sup> ، غير أن تكرر هذين الصوتين كثف من هذا الاضطراب و الحركة وجعل لهما ملمساً حسياً يُسمع في الآية ؛ فالصوتان كلاهما مجهور ، أمّا صوت (الراء) فمكرر مفخم – هنا – ناسبت خصائصه الحركية عند النطق به دلالة الاضطراب و الاهتزاز للأرض ، و أمّا صوت ( الجيم ) فهو صوت شديد انفجاري احتكاكي<sup>(٦)</sup> (( يدل على أصوات مزيجة من الحدّة والانفجار كأحاسيس سمعية ))<sup>(٧)</sup> ، وعند النطق به مضعفاً يعطي إحساساً أكبر بقوة الاضطراب المزعج<sup>(٨)</sup> ؛ لذا تكرر ( رَج ) أعطى الموقف المهول و الصورة المروعة للأرض بعداً صوتياً مكثفاً ؛ فجعل الحس يتوقع أرجحة و رججة مزعجة تحدث لكلّ شيء ثابت ومستقر في الأرض<sup>(٩)</sup> .

(١) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة : ٢٣٧ .

(٢) ينظر: التوجيه الأدبي: ١٣٧ .

(٣) ينظر: الدراسات اللغوية في نهج البلاغة: ٤٩ .

(٤) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن : ١٧٣ / ٢ .

(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط : ٧٣ / ١٠ ، و أوضح التفاسير : ٦٦٠ / ١ .

(٦) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٤٧ .

(٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٠٤ .

(٨) جاء في معنى ( الرج ) هو الاضطراب و التحريك ، ينظر: روح البيان : ٣١٦ / ٩ .

(٩) ينظر: في ظلال القرآن : ٣٤٦٢ / ٦ .

و لنقف عند صورة من بديع صور نهج البلاغة من هذا النحو ، كما في قوله ( عليه السلام ) وهو يتحدث عن بعض الفتن المستقبلية: (( وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لِنُبْلُلَنَّ بِأَبْلَهُ وَ لَنُغْرِبُلَنَّ غَرْبَلَهُ ))<sup>(١)</sup>؛ فقد تكرر لفظ ( بلبل ) ، و لفظ ( غربل ) ، أي: صوت ( الباء ) وهو صوت مجهور شديد ينطق به بانطباق الشفتين انطباقا تاما<sup>(٢)</sup> ، و صوت ( اللام ) المجهور المتوسط الشدة ، و صوت ( الغين ) المجهور الرخو الذي يوحي بالغموض و الخفاء و الامحاء و العدم<sup>(٣)</sup> ، و صوت ( الراء ) المجهور والمتوسط الشدة مع خاصيته التكرارية ، وفي تكرار هذه الأصوات تكثيف لمعاني ألفاظها ؛ إذ يدل اجتماع صوتي ( الباء و اللام ) في ( بلبل ) (( على البعثرة والتبديد بما يحاكي بعثرة النفس بعد خروج صوته ))<sup>(٤)</sup> ، ويدل اجتماع ( الغين ) و ( الراء ) في ( غربل ) (( على الاضطراب والبعثرة والتخليط، بما يماثل الاهتزاز في صوت الغين، وبعثرة النفس عند خروجه ))<sup>(٥)</sup> ؛ فالبليلة : الهم ووسواس الصدر ، و كثرة الأقاويل و الآراء المتفرقة<sup>(٦)</sup> ، و الغريلة : التفريق الواسع ، يقال: غربل الناس: ميّزهم وفرقهم بعد أن كشف حالهم ومحصلهم<sup>(٧)</sup> ، وتكرار هذه الأصوات يكثف من دلالة جرسها .

إلا أنه في تكرار مقطع ( بل ) أكثر من ( غر ) - حيث تكرر ( ست ) مرات و ( غر ) ( أربع ) مرات - لعله لكتابة تخص معنى ( بليلة ) من دون ( غريلة ) ؛ فالبليلة كأنها من الداخل ؛ فهي تختص بالنفس الإنسانية و ووسوسة الناس بعضهم لبعض ، أما الغريلة فهي من شيء آخر ظاهري خارجي كمن يغربل الدقيق من الشوائب<sup>(٨)</sup> ، و دلالة ذلك أن الفتنة بلاء تستجلبه المجتمعات و الأمم المستحقة له قال تعالى: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } [الشورى: ٣٠] ؛ فيمحص الله به الناس و يتميز بها المؤمن من غيره ؛ فأكثر البلاء استحقاق و نتيجة لمقدمات توصل له .

وما أعمق الدلالة في تكرار اللفظ نفسه في قوله ( عليه السلام ) : (( فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ فِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ ))<sup>(٩)</sup> ؛ إذ تكرر لفظ الجلالة ( الله ) أربع مرات ليضفي على التعبير عمقا دلاليا بجرس أصواته المنكررة ، قال الرازي في دلالة أصوات لفظ الجلالة: (( الْأَصْلُ فِي قَوْلِنَا: ( اللَّهُ ) الْإِلَهُ، وَهِيَ سِنَّةٌ حُرُوفٍ، فَلَمَّا أَبْدَلُوهُ بِقَوْلِهِمْ: ( اللَّهُ ) بَقِيَتْ أَرْبَعَةٌ أَحْرَفٍ فِي الْخَطِّ: هَمْزَةٌ، وَ لَامَانٍ، وَهَاءٌ، فَالْهَمْزَةُ مِنْ أَقْصَى

(١) نهج البلاغة: ٥٧ .

(٢) ينظر: أسرار الحروف: ٨٥.

(٣) خصائص الحروف العربية و معانيها: ١٢٤.

(٤) خصائص الحروف العربية ومعنيها: ١٠٠.

(٥) خصائص الحروف العربية ومعنيها: ١٢٥.

(٦) ينظر: لسان العرب ( بلبل ) : ٦٨ / ١١ .

(٧) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : ٢ / ١٦٠٤ .

(٨) ينظر: تاج العروس ( غربل ) : ٨٧ / ٣٠ .

(٩) نهج البلاغة: ٦٦ .

الْحَلْقِ وَاللَّامِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، وَالْهَاءِ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَالَةٍ عَجِيبَةٍ، فَإِنَّ أَقْصَى الْحَلْقِ مَبْدَأُ التَّلْفُظِ بِالْحُرُوفِ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَرَقَّى قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى طَرَفِ اللِّسَانِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْهَاءِ الَّذِي هُوَ فِي دَاخِلِ الْحَلْقِ، وَمَحَلُّ الرُّوحِ، فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ يَبْتَدِئُ مِنْ أَوَّلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ حَالَةُ النُّكْرَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَيَتَرَقَّى قَلِيلًا قَلِيلًا فِي مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى آخِرِ مَرَاتِبِ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ وَدَخَلَ فِي عَالَمِ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْأَنْوَارِ أَخَذَ يَرْجِعُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْفَنَاءِ فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ ((<sup>(١)</sup>) ، وهذا المعنى لجرس لفظ الجلالة مناسب لتكراره في قول الإمام علي ( عليه السلام ) ؛ فكأن التوجه إلى الله والارتباط به هو - أيضا - على مراتب ، بدايتها التقوى وما يتبعها من أمور ، ثم العبودية بعدها تتدرج إلى أن تصل إلى الفناء المطلق بالله و تفر إليه منه ، قال ابن ميثم: ((و اعلم أنّ فرار العبد إلى الله تعالى على مراتب: فأولها: الفرار عن بعض آثاره إلى بعض كما يفرّ من أثر غضبه إلى أثر رحمته... والثانية: أن يفنى العبد عن مشاهدة الأفعال و يترقى في درجات القرب و المعرفة إلى مصادر الأفعال، و هي الصفات فيفرّ من بعضها إلى بعض ... فأصبح طليق عفوك من أسر سخطك ... والثالثة: أن يترقى عن مقام الصفات إلى ملاحظة الذات فيفرّ منها إليها... كمالا للإخلاص و تجريدا للكمال المطلق))<sup>(٢)</sup>؛ فكثف التكرار لجرس لفظ الجلالة ( الله ) جل جلاله من هذا التدرج ؛ فكأن العبد بتقواه يحقق شيئا يقربه من الكمال ، فيتدرج إلى العبودية ويستزيد تقربا ... وهكذا هو بتدرج دائم نحو الكمال المطلق ، كلما وصل إلى شيء أصبح بداية له.

وفي سياق مختلف كثف جرس الألفاظ المتكررة من الدلالة بصورة بديعة ، كما في خطبة له ( عليه السلام ) وفيها يوبّخ من تباطأ عن الحرب ، قال ( عليه السلام ) : (( دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ وَ تَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ ))<sup>(٣)</sup> ؛ إذ كرر لفظ ( جرجر ) ولفظ ( تناقل ) ، وكان يستطيع القول: ( فجرجرتم كالجمل الأسر ، وتناقلتم كالنضو الأدبر ) ؛ إذ إن الجمل الأسر هو الجمل المريض الذي لا يتحرك من ألم في سرتة ، والنضو الأدبر هو البعير البالي الضعيف على السير و حمل الثقل<sup>(٤)</sup> ؛ فلا يخرج المعنى من كونه في تباطئهم و تضجرهم و ضعفهم عن القتال ، لكنه ( عليه السلام ) عندما كرر جرس هذه الألفاظ حققت الزيادة (( في شدة التضجر و الضعف ))<sup>(٥)</sup> ؛ فالجررة صوت

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : ١ / ١٠٤ .

(٢) شرح نهج..(ابن ميثم): ٢ / ١٥ .

(٣) نهج البلاغة: ٨١ .

(٤) ينظر: أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٦٩ .

(٥) اختيار مصباح السالكين : ١٤٧ .

يخرجه البعير عند ألمه ، (( و لما كانت جرجرة الجمل الأسرّ أشدّ من جرجرة غيره لاحظ شبه ما نسبه إليهم من التضجّر بها ، و كذلك تشبيهه تناقلهم بتناقل النضو الأدبر ))<sup>(١)</sup> .

لكن لهذا التكرار بُعدا آخر يرتبط بأجاس أصوات الألفاظ المكررة في السياق ؛ فإن (( أصل الجرجرة الصوت ... وقد جرجر البعير، إذا صاح وصوت ... كما تقول: ثرثر الرجل فهو ثرثار ))<sup>(٢)</sup> ، وتكرار هذا الصوت يدلّ على تعالي أصواتهم في التضجّر وتملأ ، وكأنه ( عليه السلام ) يقنع أحدا فيتبعه آخر غير مقتنع ... وهكذا لا يزال فيهم ، بعضهم يثبط بعضا .

أما تكرار جرس لفظة ( تناقل ) ؛ فإن بطء النطق بصوت ( الثاء ) الضعيف – يخرج النفس برخاوة وبطء عند النطق به<sup>(٣)</sup> – و زيادة هذا البطء بألف المد ، ثم صوت ( القاف ) الشديد و إردافه بـ ( اللام ) بطيء النطق<sup>(٤)</sup> – أيضا - كأن أطنانا من الأوزان الثقيلة تثقلهم وتجرحهم (( إلى الأرض ))<sup>(٥)</sup> فلا يستطيعون النهوض ، ومثل ذلك قوله تعالى في المشركين : { مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ } [التوبة: ٣٨]

وما أروع اختيار اللفظ و تكرر جرسه في قوله ( عليه السلام ) في ( الشقشقية ) عن عثمان: (( وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةً الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ ))<sup>(٦)</sup> ؛ فإن استعمال لفظ ( خضم ) وتكراره يرتبط بجرس صوت ( الخاء ) ؛ ف (( قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ))<sup>(٧)</sup> ، و الخضم (( الأكل بجميع الفم ))<sup>(٨)</sup> ؛ لذا إن قوله ( عليه السلام ) ( يخضمون ) ولم يقل: ( يأكلون ) أو ( يقضمون ) ثم تكرار جرس هذا اللفظ ؛ فيه تركيز لدلالة السهولة التي يحملها جرس ( خضم ) ، وهنا تكتيف إلى أنهم استسهلوا في أنفسهم أكل مال الله المحرم عليهم ؛ بل استسهلوه – أيضا- لعدم وجود من

(١) شرح نهج..(ابن ميثم): ٢ / ١٠٠ .

(٢) تاج العروس ( جرجر ) : ٤٠٢ / ١٠ .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية : ٥٠ .

(٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٧٩ .

(٥) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٦ / ٩١ .

(٦) نهج البلاغة: ٤٨ .

(٧) الخصائص : ١٥٩ / ٢ .

(٨) أعلام نهج البلاغة (السرخسي): ٤٩ .

يمنعهم ويقف بوجههم ، وبالالتفات إلى المعنى اللغوي لـ ( خضم ) ؛ نجد أن بني أمية قد اقتحمت الميدان بكل ثقلها لتنهب بيت المال فتبتلع منه ما شاءت<sup>(١)</sup> ، وهنا يتضح عمق الدلالة لتكرار هذا اللفظ.

وقد جاء التكرار للألفاظ معبراً ومتناغماً مع الشعور النفسي للإمام ( عليه السلام ) ، ونجد هذا في قوله ( عليه السلام ) وهو يذكر أصحابه الخُص: (( أَيَّنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ، أَيَّنَ عَمَّارٌ ، وَ أَيَّنَ ابْنُ التَّيْهَانِ ، وَ أَيَّنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ، وَ أَيَّنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ ))<sup>(٢)</sup> ؛ فلو كان هذا التكرار للفظ الاستفهام ( أين ) يتحدد في معنى الاستفهام من تحسر منه ( عليه السلام ) لبعد أصحابه فقط من دون الارتباط بما يحمله جرس هذا اللفظ من تعبير ؛ لأمكنه القول: ( أين إخواني ... عمار و ابن التيهان .... ) و أتى بلفظ استفهام واحد ، واستغنى عن هذا الإطناب .

لكن يظهر أن لهذا التكرار مزية ترتبط بجرس اللفظ المتكرر ؛ فالهمزة صوت انفجاري يتم النطق به (( بأن تسد فتحة المزمار The glottis الموجودة بين الوترين الصوتيين the vocal chords ، وذلك بانطباق هذين الوترين انطباقاً تاماً وحبس الهواء خلفهما، بحيث لا يمر من الحنجرة إلى الحلق وما بعده، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً ))<sup>(٣)</sup> ، و ( الياء ) صوت جوفي يحدث (( عندما يندفع الهواء من الرئتين في القصبة الهوائية دون حصول عائق في طريقه حتى خروجه من الفم ))<sup>(٤)</sup> ، ولكلا الصوتين – الهمزة و الياء – دلالة ترتبط بمخرج الصوت ؛ فأصوات الحنجرة وأقصى الحلق أكثر تعبيراً عن معاني البواطن والصميمية ؛ لانقباض الصدر عند نطق بها<sup>(٥)</sup> ، أما ( النون ) ؛ فله إيحاءاته الصوتية المستمدة (( أصلاً من كونه صوتاً هيجانياً ، ينبعث من الصميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أن أنيناً) ؛ ولذلك كان الصوت الرنان ذو الطابع النوني (أي ذو المخرج النوني)، الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع ))<sup>(٦)</sup> ؛ لذا يعبر جرس لفظ الاستفهام ( أين ) عن اختناق من توجع وألم في الصدر حتى ينفجر و يندفع بقوة و يطول ليكون أنينا يختزل هذا الألم ؛ ؛ فكان تكرار جرسه حاملاً لصوت هذا الأنين من ألم الفراق و الاشتياق ؛ لذا أعقب هذا التعبير أنه ( عليه السلام ) (ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ (عليه السلام) : أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي )<sup>(٧)</sup> .

(١) ينظر: نفحات الولاية: ٢٣٨ / ١ .

(٢) نهج البلاغة: ٢٦٣ .

(٣) دراسات في علم اللغة : ٥٧ .

(٤) أسرار الحروف : ٨١ .

(٥) ينظر: التغيير الصوتي في الفواصل القرآنية ودلالاته: ٧٩ .

(٦) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٥٨ .

(٧) نهج البلاغة: ٢٦٣ .

## المبحث الثاني

### محاكاة الدلالة بجرس اللفظ

كشفت الدراسات اللغوية الواسعة عن أن اختيار الألفاظ في النصوص عالية البلاغة - كالنص القرآني ، و النص الصادر من المعصوم ( عليه السلام ) - لا يكون اختيارا اعتباطيا ؛ بل عن قصد و غرض يرتبط بالدلالة المرادة ؛ ولذلك فإن استعمال بعض الكلمات ذات الأصوات المعينة يُكسب سياق التعبير لمسة صوتية تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي نفس المعنى ؛ إذ تمتلك بجرس أصواتها إichاءات و إشارات تكثف الدلالة<sup>(١)</sup> ؛ فيكون اللفظ بجرس أصواته يوحي بمعانٍ أخرى تضاف إلى مدلوله الخاص<sup>(٢)</sup> ، و (( على هذا أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث ... فكثيرا ما يرتبط الجرس بالإichاء ، ولا ريب أن العبارة تستمد قوة دلالتها من قوة مفرداتها الصوتية في أداء معانيها ))<sup>(٣)</sup> ، كما نجد هذا المعنى في لفظة ( يصطرخون ) في قوله تعالى: { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } [فاطر: ٣٧] ، و ( يصطرخون ) بمعنى: يتصارخون ، وهو الصياح و الصراخ بجهد ومشقة مبالغ فيها<sup>(٤)</sup> كما في قوله تعالى: { فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ } [مريم: ٦٥] أي: صبرا فوق الحد المعتاد<sup>(٥)</sup> .

إلا أن لصوت ( الصاد ) و ( الطاء ) في ( يصطرخون ) تصويرا يختلف عنه في ( اصطبر ) ؛ وذلك أن الصبر غير الصراخ ؛ فالصراخ صوت ، أي: شيء محسوس مسموع ، و الصبر مفهوم عملي - إن صح التعبير - أي: شيء له صورة ذهنية غير محسوسة ؛ لذا إن ما يضيفه صوتا ( الصاد ) و ( الطاء ) في ( يصطرخون ) يكثف من الدلالة الصوتية ؛ فلا يقف عند حد المبالغة في الصراخ كما في الصبر ؛ بل يلقي جرسها في الحس إichاءات ومعانٍ تمثل الموقف أدق تمثيل<sup>(٦)</sup> ؛ وتوحي به (( فيخيل إليك جرسها الغليظ ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة ؛ كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه ، وتلمح من وراء ذلك كله

(١) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية: ١٨٧ .

(٢) ينظر: الفن والأدب: ٣٦ .

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: ٢٨ .

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٦٠ / ٨ ، و روح البيان: ٣٥٥ / ٧ .

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣٠٠ / ٣ .

(٦) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢٦٣ / ١ ، و في ظلال القرآن: ٢٩٤٥ / ٥ .



صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون ((<sup>(١)</sup>) ، فتوحي اللفظة - هنا - بصوت الاصطراخ وبشاعة الألم و استمراره .

ومن ذلك في سياق مختلف ، قوله تعالى: { وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } [طه: ١٠٨] ؛ فإن لجرس لفظة ( همسا ) وقعا يحاكي هذا الخشوع في الأصوات و يكتف من دلالاته ؛ وذلك أن ( الهمس ) هو (( الصوت الخفي ، وهمس الأقدام أخفى ما يكون من وطء القدم ))<sup>(٢)</sup> ، فمادة ( همس ) لمعناها ارتباط بالصوت ، وقد كتف جرسها من صفة هذا المعنى في السياق ؛ فلا نجد عند النطق بـ ( همسا ) إلا هدوءا في المخارج و همسا في الصفات (( وهل تجد في الميم غير التمتمة المكتومة ، أي: أن هذا اللفظ يشيع بجرسه و صفات حروفه جوا من الصمت المشوب بالحدز و الهدوء الذاهل ، وهذا هو حال الخاشع حين يساق لرب العالمين ))<sup>(٣)</sup> ، ومثل هذه الألفاظ معناها يرتبط بالصوت ، و بجرسها تكتف من دلالاته وتوحي به ؛ فمثل ( همس ) في أصلها وضعت للخفاء ، قال ابن فارس : (( الهاء والميم والسين يدل على خفاء ))<sup>(٤)</sup> ، وارتباطها بالصوت ؛ لأن الصوت مما يمكن إخفاؤه ، جاء في ( المخصص ) (( إذا أخفى الكلام قيل همس يهمس همساً ... والهمس أيضا الوطاء الخفيف ... وكل خفي همس ))<sup>(٥)</sup> ؛ لذا فتوظيفها من دون غيرها في مثل هذا السياق الذي يرتبط بالصوت ومع جرس ألفاظها الموحى بذلك تجعل من الدلالة مكثفة .

غير أنه هناك مفردات وضعت في الأصل لتحاكي بعض الأصوات الطبيعية ؛ فهي تدل على الصوت و تحاكي ذلك الصوت - الموضوع له - بجرسها ، أي: لفظ يطابق الصوت ، ومثل ذلك : (( غاق غاق لصوت الغراب ، وطاق طاق لصوت الضرب ، والطققة حكايته ذلك ))<sup>(٦)</sup> ؛ فأنت تجد أن تكرار المقطع ( طاق ) و ترديده شبيه بالصوت الذي يسمع عند الضرب فهو يحاكي الضرب ، ومثله ( غاق غاق ) للغراب ؛ لذلك فإن استعمال مثل هذه الألفاظ في بعض السياقات من النصوص العالية يكتف الدلالة - أيضا - ؛ بما توحيه من معانٍ تضيفها على السياق ، فمثلا استعمال لفظة ( وعوة ) التي تحاكي في الأصل صوت الكلب وعواء الذئب ، يقال: (( ووعوع الكلب والذئب ووعوعاً وعوعاً: عوى وصوت ))<sup>(٧)</sup> ، كما جاء في قوله ( عليه السلام ) في مقام الذم : (( أظأركم <sup>(١)</sup> على الحق ، و أنتم تنفرون عنه نفور

(١) التصور الفني في القرآن : ٩٢ .

(٢) مقاييس اللغة ( هم س ) : ٦٦ / ٦ .

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: ٢٩ .

(٤) مقاييس اللغة ( هم س ) : ٦٦ / ٦ .

(٥) المخصص : ٢٢٣ / ١ .

(٦) فقه اللغة وسر العربية : ١٥٤ .

(٧) المحكم والمحيط الأعظم ( وع ) : ٢٠٨ / ٢ ، وينظر: العين ( ع و ) : ٢٧٣ / ٢ ، و تاج العروس ( وع وع ) : ٢٢ / ٣٤٧ .

المُعْرَى مِنْ وَعَوَةِ الْأَسَدِ))<sup>(٢)</sup> ، وهي تدل هنا على صوت الأسد<sup>(٣)</sup> ، والسؤال هنا : إن لفظة (وعوة) أكثر ما تستعمل للكلب و الذئب و ابن آوى<sup>(٤)</sup> ، و للأسد أصوات يُعرف بها كالزئير و النهيت و القصااص ... وما سواها<sup>(٥)</sup>؛ فلم استعملت هذه اللفظة من دون غيرها؟! .

ويظهر أن الجواب مرتبط بما يوحيه جرس أصواتها وصفات مخارجها ؛ فيمجرد النطق بها كفيل بمعنى النفور و الاشمزاز ؛ فضلا عن أن عملية ضمّ الفم بشدة – عند نطق ( الواو ) - ثم فتحه فجأة مع انقباض الصدر و حبس الهواء – عند نطق ( العين ) - تزيد من تجسيد هذا الإيحاء المنفّر ، وهذا يكتف من دلالة النفور و الابتعاد ؛ فكأنهم لم يروا الأسد بعد ، فقط سمعوا صوته ؛ ونفروا منه كل هذا النفور .

وبناء على ما تقدّم يمكن القول: إن تكثيف الدلالة وتجسيدها بجرس اللفظ – هنا – يكون بنوعين من الاستعمال ، الأول: استعمال الإمام ( عليه السلام ) لألفاظ لها معنى صوتي أو يرتبط بالصوت ، والثاني: استعماله ( عليه السلام ) لألفاظ موضوعة للصوت في الأصل ؛ و تكثيف الدلالة في كلا النوعين يعتمد على اختيار المفردة و السياق الذي ترد فيه ؛ فيحاكي جرسها الدلالة و يجسدها .

وهذه الألفاظ على مظهرين ، الأول: ألفاظ تشتمل على صوت أو أكثر يحاكي الدلالة ، نحو: يصطرخون ، والثاني: ألفاظ متكررة المقطع تحاكي الدلالة ، نحو: كبكبوا أو وعوة .

### أولا: ألفاظ تشتمل على صوت أو أكثر :

ولنا أن نلمح إشعاع جرس اللفظ و إيحاؤه في قوله ( عليه السلام ) في بيعة أبي بكر: (( فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْتِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحَقِّ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ))<sup>(٦)</sup> ؛ فإن لفظة ( انتيال ) و جرسها المحاكي للموقف آنذاك تكثيفا يناسب الدلالة ؛ قال أحد الباحثين: (( استعمل لفظ ( انتيال ) بدلا من انصباب، وتجمع، وتجمهر، وتكأكؤ... لأن هذه اللفظة وحدها تجسد رأي الإمام في نوعية أولئك الناس الذين بايعوا تلك البيعة وتصور أحوالهم في نظره ))<sup>(٧)</sup>؛ فسرعة مخارج هذه الأصوات تجسد الموقف السريع من بيعة أبي بكر ؛ فلصوت ( الناء ) المتوسط اللفظة إيحاءاته البصرية ، إذ انه في انفراج

(١) أظاركم : أعطفكم واستمليكم للحق : ينظر: الأمثال والحكم: ٥٢٨ .

(٢) نهج البلاغة: ١٨٨ .

(٣) ينظر: مجمع بحار الأنوار (وعوع) : ٨٣ / ٥ ، و اختيار مصباح السالكين: ٢٨٨ .

(٤) ينظر: تكملة المعاجم العربية (وعوع) : ٣٥٧ / ٧ .

(٥) ينظر: المخصص : ٢٨٢ / ٢ .

(٦) نهج البلاغة: ٤٥١ .

(٧) رسائل الإمام علي ( عليه السلام ) دراسة أدبية نقدية: ٣١٧ .

الأسنان السفلى عن العليا و تراجع طرف اللسان إلى الداخل مشابهة مع الأحداث الطبيعية من انفراج و تنح ، وإن لبعثرة النفس عن النطق بصوت ( الثاء ) محاكاة للبعثرة والتخليط<sup>(١)</sup> ؛ إذ كأن اجتماع الناس و انصبابهم على أبي بكر لمبايعته كان بصورة سريعة غير متوقعة ، كما لو أن شخصا يحفر حفرة في التراب فينثال التراب في الحفرة من كل جانب<sup>(٢)</sup> بطريقة يكون التراب المنصب – ما يمثل الناس في تعبير الإمام ( عليه السلام ) – مسلوب الإرادة .

ولقائل أن يقول: إن الإمام ( عليه السلام ) قد استعمل هذا اللفظ في موضع آخر يصف فيه مبايعة الناس له ؛ إذ قال عليه السلام: (( فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانُ ))<sup>(٣)</sup>؛ فهل الكلام في ( انثيال ) ينطبق على ( ينثالون ) ؟ .

والحقيقة أن هناك فرقا بين التعبيرين ؛ فالتعبير بالمصدر ( انثيال ) تركيز على الحدث ، وهو وقوع تجمع الناس بهذه السرعة ؛ فكأن هذا الحدث وقع من مجموعة واحدة وبهذا الشكل من التجمع السريع للمبايعة ثم لم يستمر ، أما ( ينثالون ) فقد جاء بالفعل المضارع الذي يصور استمرارية الحدث وشدة إصرار الناس ، مع قرائن أخرى في التعبير ( كعرف الضبع و وطئ الحسنان ) تثبت ذلك ؛ فكأن مجاميع الناس مستمرة بالورود للمبايعة مجموعة تتصل بمجموعة من دون إرغام وحث لها فلم يبق أحد لم يأت للبيعة و يطالب الامام ( عليه السلام ) بها ؛ وعليه فإن بيعة أبي بكر لم تكتسب الشرعية في انتخاب الأغلبية له مثل بيعة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ؛ بل لم يكن هناك إجماع عليه من الأمة حيث تخلف بنو هاشم و غيرهم ، فضلا عن كبار الصحابة كعمار بن ياسر و أبي ذر والمقداد<sup>(٤)</sup> .

وفي سياق متصل عن خلافة أبي بكر عبّر الامام ( عليه السلام ) بلفظة ( تقمصها ) ؛ إذ قال عليه السلام: (( أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ ))<sup>(٥)</sup> ، وهذه اللفظة فضلا عما تكتنزه من معاني ؛ فإن لجرسها تكتيفا لدلالاتها ؛ إذ إن ضمّ الشفتين عند النطق بصوت ( الميم ) المضعفة وبهذه الشدة و بعد النطق بصوت ( القاف ) ؛ إحياء باستيلائه على السلطة بوسائل القوة والبطش التي تسلب من الأمة إرادتها .

ولضمّ الشفتين عند النطق بصوت ( الباء ) – أيضا – إحياءه المكثف للدلالة ، الذي نلمسه في

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٥٩ .

(٢) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٧ .

(٣) نهج البلاغة: ٤٩ .

(٤) ينظر: النص و الاجتهاد : ٢ / ٨٠ .

(٥) نهج البلاغة: ٤٨ .

جرس لفظة ( تجلبب ) في خطبة له ( عليه السلام ) يذكر فيها صفات المتقين ، قال ( عليه السلام ): (( فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَ تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ ))<sup>(١)</sup>، و ( التجلبب ) هو التلبس ، والمعنى: أن يجعل الخوف من الله جلبابا و ملحفة له<sup>(٢)</sup>؛ فالجلباب هو الثوب الساتر الظاهر الذي يكون فوق جميع الثياب<sup>(٣)</sup> ، وأقرب ما يكون له صوت ( الباء ) من محاكاة هو (( لتمثيل الأشياء والأحداث التي تنطوي معانيها على الاتساع والضخامة والارتفاع ، بما يحاكي واقعه انفتاح الفم على مداه عند خروج صوته من بين الشفتين ))<sup>(٤)</sup>؛ فضمّ الشفتين عد النطق بصوت ( الباء ) مكررا هو محاكاة لجعل الخوف من الله ملازما لهم بشدة كالجلباب الذي يلزم البدن<sup>(٥)</sup> ؛ فالخوف من الله لا يفارق هؤلاء ، بل إن هذه الصفة ظاهرة لهم – للمتقين – ترتفع و تعلو صفاتهم الأخرى ؛ فلو سُئِلَ الناس عن أحدهم ؛ لأول ما يصفونه بهم أنهم عباد يخافون الله ؛ إذ يقولون: هذا رجل يخاف الله ، ونحن نستعمل هذا كثيرا في حياتنا اليومية مع بعض الأشخاص ؛ إذ نصفهم بهذا الوصف غالبا ؛ لذا إن صوت ( الباء ) مثل هذه المحاكاة للظهور و العلو و الارتفاع .

وللتعمق في تلمس إحياءات جرس اللفظ على دلالة التعبير قوله ( عليه السلام ) في وصف حزب الله : (( وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ))<sup>(٦)</sup>؛ فإن للفظة ( تقشّعت ) جرسها التمثيلي – إن صح التعبير – للدلالة ؛ فالتقشّع هو: الانكشاف و الانجلاء و التفرق و الزوال<sup>(٧)</sup> لكنه أغلب ما يكون استعماله مع الأشياء الضّارة ، يقال : (( انقشع الغبار: انجلس، انكشف، زال ... انقشع: استعاد صفوة ... و ... انقشع عن فلان: رفع عنه الحصار ))<sup>(٨)</sup>، ومعنى: (( تقشّعت ذنوبهم : زالت و ذهبت كما يتقشّع السحاب ))<sup>(٩)</sup> و ينجلي ؛ فكان للذنوب هيئات بدنية تُسوّد النفس الإنسانية بتراكمها ؛ فتمنع نور الرحمة أن يصل لها<sup>(١٠)</sup> ؛ فيزيحها الاستغفار .

غير أنه لصوت ( الشين ) المضعّف و المعروف بصفة التفشي والاستطالة<sup>(١١)</sup> ؛ مناسبة لطول

(١) نهج البلاغة: ١١٨ .

(٢) ينظر: بهج الصباغة : ١٢ / ٤٩٧ .

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٢ / ١٢ .

(٤) ينظر: خصائص الحروف العربية و معانيها: ٩٩ .

(٥) ينظر: منهاج البراعة: ٦ / ١٧٠ .

(٦) نهج البلاغة: ٤١٩ .

(٧) ينظر: أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٢٥٨ ، و توضيح نهج البلاغة : ٤ / ١٢٢ ، و بهج الصباغة: ٦ / ٤٠٠ ،

وأيضا: الدرّة النجفية : ٣٢٩ .

(٨) تكلمة المعاجم العربية ( قشع ) : ٨ / ٢٧٩ .

(٩) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٦ / ٢٩٥ .

(١٠) ينظر: الدرّة النجفية : ٣٣١ .

(١١) ينظر: أسرار الحروف: ٩٥ .

استغفارهم عن الذنوب و استمراره ، ولا يقف جرس هذا الصوت عند هذا الحد ؛ بل له لمسة حسيّة يصوّر لنا جفاف شيء ما ، له كيان وحجم ثم انفصاله بعد انقطاع المدد عنه ، وبتعبير أدق : إن صوت ( الشين ) (( يوحى بإحساس لمسي بين الجفاف والتقبض ))<sup>(١)</sup> ، و انقطاع الهواء عند النطق بصوت ( القاف ) قبله ثم اندفاعه بهذا الشكل من الانتشار – عند النطق بصوت ( الشين ) المضغّف – يمثل لنا انقباض الذنوب و انكماشها حتى تنتشر و تزول ولا يبقى لها أثر .

ومن موارد توظيف جرس اللفظ في تكثيف الدلالة قوله ( عليه السلام ) متفخرا : (( وَ إِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَ فِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَ عَلَيْنَا تَهَدَّأَتْ عُصُونُهُ ))<sup>(٢)</sup> ؛ فإن ما يستوقف المتلقي في التعبير هو جرس لفظة ( تنشبت ) المتوسطة فيه ، وتحديدًا صوت ( الشين ) المضغّف المتوسط للفظ ، ولو أنعمنا النظر وقطعنا الكلام للاحظنا أن صوت ( الشين ) يتوسط التعبير - أيضا - ؛ وذلك :

إن ما تقدمه ( و إن نال أم را عل ك لام و في نات نش ) أربعة وعشرون حرفا ، ثم صوت ( الشين ) ، وبعده ( بت ع روق ه و ع لي نات هد د لت غ صون ه ) أربعة وعشرون حرفا ؛ فكأن التعبير ارتكز ونشأ بصوت ( الشين ) ، وقد تفشّت و استطالت ظلاله على جميع الأصوات الأخرى ؛ فالنشب هو الشيء الأصل<sup>(٣)</sup> والثابت<sup>(٤)</sup> ، وتنشبت عروقه ، بمعنى : (( علقت و ثبتت ))<sup>(٥)</sup> كالشجرة التي تثبت أصولها في التربة<sup>(٦)</sup> ، وهذا مناسب للدلالة على أن منبع الفصاحة و البلاغة منهم عليهم السلام ، و إن لهذا الضغط على مخرج صوت ( الشين ) إيحاء بشدة تعلق و احتدام فصاحة الكلام و بلاغته بهم عليهم السلام ؛ فهم أمراء الكلام إذا تكلموا ، يملكون نواصي البيان و يتصرفون فيه تصرف الملوك في أملاكها ؛ ففصاحته و بلاغته لها أصل و منشأ ، و هي طبيعة من طبائعهم ؛ لذا تجدهم يوردون المعنى الذي يريدون بأفصح بيان و أبلغ كلام من دون تكلف و مشقة<sup>(٧)</sup> .

ومن بديع ما حاكى اللفظ فيه الدلالة و كثفها قوله ( عليه السلام ) في وصف حال الموتى : (( وَ تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرَّبُوعُ الصُّمُوت ))<sup>(٨)</sup> ، والمعنى : تهدمت علينا القبور الصامتة الساكنة الخاوية<sup>(٩)</sup> ، ولفظة ( الصّموت ) جرسها المحاكي لهذا الصمت الموحش و السكوت المخيف ؛ فإن لصوت

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١١٣ .

(٢) نهج البلاغة: ٣٥٤ .

(٣) ينظر: العين (ش ن ب) : ٦ / ٢٦٩ .

(٤) ينظر: تاج العروس (نش ب) : ٤ / ٢٦٧ .

(٥) شرح نهج..(السيدعباس) : ٤ / ٨٧ .

(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣ / ٤٠٧ .

(٧) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس): ٤ / ٨٨ .

(٨) نهج البلاغة: ٣٤٠ .

(٩) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس): ٤ / ١٩ ، وحدائق الحقائق: ٢ / ٢٢٦ .

(الصاد) المهموس الرخو صفته الصفيرية الصافية<sup>(١)</sup> التي تُسمعنا صفير الهواء في تلك الديار الخالية ، وإطباق الشفتين عند النطق بـ ( الميم ) ثم استدارتهما واستمرار خروج الهواء في ( الواو )<sup>(٢)</sup> بعدها قطع الهواء بصوت ( التاء ) المهموس ، كل ذلك يحاكي شدة الصّمت فلا تسمع سوى صفير الهواء و امتداده كما لو أنك في خربة وسط الصحراء .

ومثل ذلك قوله (عليه السلام): (( فَأَرَادَ قَوْمًا قَتَلَ نَبِيًّا وَ اجْتِيَا حَ أَصْلَانَا ))<sup>(٣)</sup>، نجد أن لفظة ( اجتياح ) - التي تعني ( الاستئصال )<sup>(٤)</sup> - قد استوقفت الباحثين ، مؤكدين على أن استعمال هذه اللفظة من دون غيرها لمناسبة بين جرس أصواتها و الدلالة المرادة<sup>(٥)</sup> ؛ فقد (( استعملها الإمام مفضلاً إياها على غيرها من المفردات المرادفة لها أو القريبة منها ؛ لأنه أراد التعبير عن معنى محدد لا تؤديه المفردات الأخرى، ذلك أنه أراد بها الدلالة على القوة والقسوة التي يمارسها قومهم من قريش للنبي وآله وصحبه أول البعثة ))<sup>(٦)</sup> ؛ فإن صوتي ( الجيم ) و ( التاء ) صوتان انفجاريان ، و ( الجيم ) صوت شديد مجهور من أصوات القلقلة<sup>(٧)</sup> ، و ( التاء ) صوت انفجاري مهموس<sup>(٨)</sup> ، وهما قد منحا اللفظة صفة الشدة ، فضلاً عما أعقبهما من المد في ( الياء ) و المد بـ ( الألف )<sup>(٩)</sup>؛ لذا إن (( لفظة اجتياح قوية حادة سهلة النطق جزلة في حين أن كلمة استئصال باهتة ثقيلة طويلة متعثرة ))<sup>(١٠)</sup>؛ فلفظة ( اجتياح ) بما تحمله من جرس قوي تثير (( أصواتها في مخيلة المتلقي معاني كثيرة تدفعه لاستحضار صور ذلك الاجتياح المتمثلة في إزالة الشيء عن مكانه بقوة ))<sup>(١١)</sup>، وهي بذلك جعلت الموقف أكثر حسية من دون غيرها من الألفاظ التي تؤدي المعنى فأعطت هذا الاستئصال و تلك العداوة لآل البيت عليهم السلام أبعاداً تتناسب مع اتساعه و تلون أساليبه من قتل بالسيف و السم ... و غيرها ، وتهجير و قمع و ظلم .

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٤٧ .

(٢) ينظر: أسرار الحروف: ٨٥ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٦٨ .

(٤) يقال: (( الجوح الاستئصال من الاجتياح )): لسان العرب ( جوح ): ٤٠٩ / ٢ .

(٥) ينظر: الدراسات اللغوية في نهج البلاغة: ٢٧ .

(٦) رسائل الإمام علي ( عليه السلام ) دراسة لغوية: ٨٦ .

(٧) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٣٤ .

(٨) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٢٩ .

(٩) ينظر: رسائل الإمام علي ( عليه السلام ) دراسة لغوية: ٨٦ - ٨٨ .

(١٠) رسائل الإمام علي ( عليه السلام ) دراسة أدبية نقدية: ٣١٥ .

(١١) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: ٢٨ .

## ثانياً: ألفاظ متكررة المقطع:

إن تكرار المقطع في الألفاظ يكون أبلغ في دلالتها و زيادة في قوة معناها ، يقول ابن جني: (( لمّا كانت الأفعال دليلاً المعاني ؛ كرروا أقواها وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل ، كما جعلوا تقطيعه في نحو: صرصر و حقق، دليلاً على تقطيعه ))<sup>(١)</sup>، وهو بهذا أكثر تأثيراً في السمع من تكرار الحرف ؛ (( لأنه يعيد على أذن السامع مقطعا قد تشكل في مسامعه واستوعبه وأدرك إيقاعاته فإذا به يعاد مرة أخرى وبدون فاصلة أو تغيير ))<sup>(٢)</sup> ؛ فهذا التضام و القرب بين الحروف المترددة هو أكثر فاعلية في إشاعة النغم وتكثيف الدلالة في التعبير ، كما نجده في قوله تعالى: { وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ، وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ، فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } [الشعراء: ٩١ - ٩٤] فقد تكرر المقطع ( كب ) في لفظة ( فككبوا ) ولم يقل: كبوا ؛ وذلك ليضمّن التعبير دلالات مكثفة يشير لها باستعمال هذا الجرس المكرر ؛ فقد أشار (( اللفظ بجرسه إلى أنهم يكبون كبا عنيفا غليظا ، كما يدل تكرار المقطع ( كب ) إلى تكرار هذا الدفع ، كما يدل على الحركة المضطربة وهم يُدفعون وكأن بعضهم يدخل في بعض ))<sup>(٣)</sup> ، كما يدل تكرير فعل الـ ( كب ) على أن من ألقى في جهنم - أجارنا الله - ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها<sup>(٤)</sup> ، ولعل في ذلك تلميحا إلى بعد قعرها .

كما أن التعبير بـ ( ككبوا ) من دون ( كب ) مناسب للمقام ؛ ففي الآية جُمعت أصناف عدّة ؛ فشمّل الفعل الغاوين و الذين أضلوهم ثم جنود إبليس أجمعين ؛ فناسب هذه الكثرة بالعدد تكرار الفعل ( كب )<sup>(٥)</sup> .

وحقيقة فإن ما يمنح مثل هذه الألفاظ هذه الصورة هو وضعها اللغوي مع اختيارها و استعمالها في السياق المناسب لها<sup>(٦)</sup> ؛ فيكون جرسها مصورا لمعناها و مكثفا للدلالة (( فكلما ازدادت العبارة شبيهاً بالمعنى كانت أدلّ عليه وأشهد بالغرض فيه ))<sup>(٧)</sup> .

ومن ذلك لفظة ( حصص ) في قوله تعالى حكاية عن زليخة : { قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ } [يوسف: ٥١] وحصص الحق ، أي: ظهر و انكشف من

(١) الخصائص : ١٥٧ / ٢ .

(٢) المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: ١٦٨ .

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ٣١-٣٢ .

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه : ٩٧ / ٧ ، و إيجاز البيان عن معاني القرآن : ٦٢٤ / ٢ .

(٥) ينظر: في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٠٥ ، و البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ٣٢ .

(٦) ينظر: التصور الفني في القرآن : ٩٣ .

(٧) الخصائص : ١٥٦ / ٢ .

جميع وجوهه فلم يبقَ منه شيء خفي<sup>(١)</sup> ، و لتكرار جرس ( حص ) تكثيف لهذا المعنى ؛ وذلك أن لصوت ( الصاد ) الواضح الصدور من المخرج و صافي الصفير مع تقدّم صوت ( الحاء ) الذي يخرج الهواء بما يشبه الحفيف<sup>(٢)</sup> زيادة في إظهار صفير ( الصاد ) وتنقيته ؛ فكان لجرس هذا التكرار وقع في النفس يحاكي ذلك الانكشاف للحق ، و يوحي باستخلاص شيء من شيء ، بحيث أصبح الشيء المستخلص واضحا جليا لا تشوبه شائبة .

ولنقف عند قوله ( عليه السلام ) وهو يصف صورة خلق الانسان : (( وَ أَوْلَدَهَا حَتَّى صَأْصَأَتْ ))<sup>(٣)</sup>، وصلصلت: (( من قولهم: تصلصل الحلي، إذا صوت ))<sup>(٤)</sup>، أي: تسمع له صوتا إذا هبت الريح كالنفخار<sup>(٥)</sup>، والمعنى: أن صورة الانسان في هذه المرحلة من خلقها جعلها يابسة صلدة يُسمع لها صوت إذا طرقها الريح<sup>(٦)</sup>.

ولتكرار مقطع ( صلّ ) تكثيف يُسمعنا ذلك الصوت المنبعث من صورة الانسان الجامدة الصلدة ؛ وهذا راجع لصفاء صفير صوت ( الصاد ) ، في حين جاء صوت ( اللام ) المنحرف المخرج ؛ لئُسمعنا ذلك التذبذب والترجيع في صوت الصفير من طرق الريح لهذه الصورة الصلدة ؛ فقد (( قيل إذا توهمت في صوته مدّا فهو صليل ، و إذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ))<sup>(٧)</sup>.

ومن هذا النحو وصفه ( عليه السلام ) لخطبته الشقشقية بلفظة ( شقشقة ) عندما طلب منه ابن عباس الاستمرار بها ؛ فقال له عليه السلام: (( هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَّتْ ))<sup>(٨)</sup> ، والشقشقة (( شيء كالمرّة يخرج البعير من فيه إذا هاج، و هدر البعير: إذا ردّد صوته في حنجرته ))<sup>(٩)</sup>، وقرّت ، أي: سكنت<sup>(١٠)</sup> ؛ فشبه ( عليه السلام ) كلامه بما يخرج من البعير عند هياجه<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن : ٤٣٩ / ١ .

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية و معانيها: ١٧٩ .

(٣) نهج البلاغة: ٤٢ .

(٤) بهج الصباغة: ٥٨٠ / ١ .

(٥) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٢٩ / ١ .

(٦) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم): ١٨٦ / ١ .

(٧) شرح نهج..(ابن ميثم): ١٧٠ / ١ .

(٨) نهج البلاغة: ٤٩ .

(٩) أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٥٠ .

(١٠) ينظر: بهج الصباغة: ٢٦٧ / ٥ .

(١١) ينظر: شرح نهج..(السيد عباس): ١١٨ / ١ .



غير أن لوصف كلامه ( عليه السلام ) بـ ( شقشقة ) جانباً آخر يناسب دلالة الخطبة ومضامينها نلتمسه من تكرار مقطع ( شق ) ، جاء في كتاب ( إعراب القرآن وبيانه ) عند بيان معنى لفظة ( الشقاق ) : (( الشقاق ) بكسر الشين: الخلاف ؛ لأن كل واحد من المتشاقين يكون في شق غير شق صاحبه ، وله في اللغة ثلاثة معان لا تخرج عن المفهوم الأول والثاني العداوة وهي وليدة الخلاف ، والثالث الضلال وهو سمة المتنازعين والمتشاقين ؛ لأنهم يذهبون مع أهوائهم ، ومن غريب أمر الشين والقاف أنهما إذا وقعتا فاء للكلمة وعينا لها دلتا على هذا المعنى أو ما يقرب منه ))<sup>(١)</sup>؛ وعليه فإن تكرار ( شق ) في لفظة ( شقشقة ) يلوح بشدة وبشكل مبالغ لمضامين الشقاق و العداوة و الضلال في الأمة جرّاء أمر الخلافة ، وهذه المعاني هي مضامين كلامه ( عليه السلام ) في خطبته الشقشقية .

فضلا عن أن لتكرار صوت ( الشين ) المتفشى وصوت ( القاف ) الشديد محاكاة لامتلاء صدر الامام ( عليه السلام ) بالحرقة و الألم ؛ فكأن هذه الحرقة والأوجاع وصلت حد حنجرته وغص بها ( عليه السلام ) ؛ فظللّ ينفس بهذه الألفاظ عن نفسه لعله يسكن و يستقر منها ؛ لذا جاء جوابه ( عليه السلام ) لابن عباس (( مصدرًا بكلمة هيهات التي تستعمل للبعيد ؛ فهو اشارة إلى أنه من البعيد تفوّهه ( عليه السلام ) بأمثال هذه الكلمات و ابراز تلك الحقائق في قوالب الألفاظ ))<sup>(٢)</sup>.

ومما كان فيه تكرار المقطع مكثفا الدلالة ، نجد في لفظة ( قلقلوا ) في قوله ( عليه السلام ) لأصحابه في صفين (( وَ أَكْمِلُوا الْأُمَّةَ وَ قَلِّفُوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا ))<sup>(٣)</sup>؛ فالقلقلة هي حكاية صوت تحريك الأشياء بقوة<sup>(٤)</sup>؛ فد ( قلقلوا ) بمعنى: (( حرّكوا السيوف في أعمادها، كيلا تنشب فيها عند الحاجة الى سَلِّهَا ))<sup>(٥)</sup>.

إلا أن التعبير بلفظة ( قلقلوا ) من دون ( حرّكوا ) ؛ راجع إلى جرس هذه اللفظة ، الذي يُحاكي ذلك التحريك الشديد مما يوحي بدلالة أن يسمعوا صوت السيوف وهي تتحرك عند تحريكهم لها ، لا فقط الأمر منه ( عليه السلام ) بمجرد التحريك ، فضلا من أن التعبير بـ ( قلقلوا ) مناسب لسياق الوصايا في الحرب وشدتها .

(١) إعراب القرآن وبيانه : ١٩٥ / ١ .

(٢) مفتاح السعادة : ٤٧٦ / ٣ .

(٣) نهج البلاغة: ٩٧ .

(٤) ينظر: تاج العروس ( قلقل ) : ٢٧٩ / ٣٠ .

(٥) أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٧٧ .

ومما كثّف فيه دلالة شدة الحركة و الاضطراب باستعمال ( قلقل ) قوله ( عليه السلام ) : (( ثُمَّ أُخْرِجَ فِي كَتِيبَةٍ أُتْبِعَ أُخْرَى ، أَتَقَلَّقُ تَقَلُّقَ الْقُدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ ))<sup>(١)</sup>، والمعنى: أتحرك تحرك السهم الذي يوضع في الكنانة الواسعة الفارغة يضطرب و يصوت فلا يستقر<sup>(٢)</sup> .

ومن كلام له ( عليه السلام ) وفيه يذكر عظمة علم الله تعالى ، قال: (( فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ... وَ مَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ))<sup>(٣)</sup>، والجلجلة صوت الرعد ، و الجلجل السحاب الذي فيه صوت الرعد<sup>(٤)</sup> ، (( وجلجت الشيء ؛ إذا حركته بيدك ، وَتَجَلَّجَلَ فِي الْأَرْضِ ، أَي: سَاخَ فِيهَا ))<sup>(٥)</sup>، و معنى (مَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ) (( إنه لا يخفى عليه ما يتحرك به الرعد من صوت و حركة مفيدة أو ضارة ))<sup>(٦)</sup>، وكذا فيه إشارة إلى تسبيح الرعد ، قال تعالى: { وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ } [الرعد: ١٣] ؛ ف (( ذلك التسبيح يعود الى شهادته بلسان حاله في ذلك الصّوت على كمال قدرة مسخّر السحاب و مؤلفه ))<sup>(٧)</sup> .

وعليه فمن المناسب التعبير بصوت الرعد ( جلجل ) في هذا السياق ؛ وذلك أن كلا الصوتين ( الجيم و اللام ) يحاكي سياق الجلالة و العظمة ، ف ( اللام ) يتكون من اتصال طرف اللسان بالثنايا العليا ؛ فهو من الأصوات الذلقية التي تُعد من أوضح الأصوات الساكنة في السمع<sup>(٨)</sup> ، و ( الجيم ) يتكون باتصال وسط اللسان بالحنك الأعلى وهو يدل على العظمة مطلقا<sup>(٩)</sup> .

ومن شواهد ذلك - أيضا - في كلام له ( عليه السلام ) وهو يصف حال المتقين ومناجاتهم : (( وَ هَمَّهَمْتُ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ ))<sup>(١٠)</sup>، يقال: همهم الرجل ؛ إذا (( تكلم كلاما خفيا يسمع ولا يفهم محصوله وردد ... في صدره من الهم والحزن ، ويقال: همهم الأسد والرعد سمع له دوي ))<sup>(١١)</sup>، والهمهمة : صوت فيه بحّة<sup>(١٢)</sup> .

(١) نهج البلاغة: ١٧٥ .

(٢) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢٣٧ / ٢ .

(٣) نهج البلاغة: ١٦٢ .

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة : ٣٠٢ .

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (جلجل) : ٤ / ١٦٥٩ .

(٦) شرح نهج..(السيدعباس) : ٣ / ١٨٤ .

(٧) الدرة النجفية: ٢٠٩ .

(٨) ينظر: الأصوات اللغوية : ٥٥ .

(٩) ينظر: خصائص الحروف العربية و معانيها: ١٠٢ .

(١٠) نهج البلاغة: ٤١٩ .

(١١) المعجم الوسيط ( همهم ) : ٢ / ٩٩٦ .

(١٢) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ١٠ / ٦٨٤٩ .

وهنا أعطت لفظة ( همهم ) لمسة مرئية يتصور فيها حال الشفاه التي هي بحركة دائمة من تسبيح وتهليل و تحميد<sup>(١)</sup>، وإن لصوت الغنة في ( الميم ) بعد صوت ( الهاء ) الذي يوحى باهتزازاته العميقة في باطن الحلق بالاضطراب النفسي المعبر عن حالة من الشعور بلوعة و وشجى<sup>(٢)</sup> ؛ بعدا يكتف من ذلك الحنين والذوبان في المناجاة عند هؤلاء الأشخاص .

---

(١) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس) : ٤ / ٤٨٢ .

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٨٩ - ١٩٠ .

## المبحث الثالث

### تكثيف الدلالة بالتلويح الصوتي

ما دام الصوت هو الوحدة الجزئية التي تشترك فيها اللغة مع الموسيقى ؛ فالذي (( يتذوق الأصوات العربية سيجد أنها تحمل في طياتها أنغاما موسيقية قبل أن تفرضها عليها المقاطع العروضية ؛ فالأصوات العربية باختلاف مخارجها وصفاتها هي من تصنع الموسيقى في النص ))<sup>(١)</sup> ؛ فإن لمخارج الحروف و صفاتها في تشكيل الإيقاع الجيد شأناً من الشأن، إذ (( النطق إذا أتى على مخارج حروف اللفظة وهي متباعدة ليجمعها ويؤلفها كان له في ذلك مهلةٌ وأناةٌ ، لأنّ بين المخرج إلى المخرج فسحة وبعداً، فتجيء الحروف عند ذلك متمكنة في موضعها ، غير قلقة ولا مكدودة . و إذا أتى النطق على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة ؛ ليجمعها ويركبها، لم يخلص من مخرجٍ إلا وقد وقع في المخرج الذي يليه ، لقرب ما بينهما ، فيكاد عند ذلك يعتبر أحدهما بالآخر، فتجيء مخارج حروف اللفظة قلقة مكدودة غير مستقرة في أماكنها، ولهذا لم ترد العين مع الحاء ولا الغين مع الخاء ولا الطاء مع التاء ولا القاف مع الكاف ولا الذال مع الثاء ولا مع الظاء؛ وذلك لقرب مخارج هذه الحروف بعضها من بعض ))<sup>(٢)</sup>؛ لذا إن تنظيم هذه الأصوات اللغوية بطريقة معينة يمكن أن يصوّر لنا ما يشبه المعزوفة الموسيقية ، وهذا الأمر نابع من الإحساس بموسيقية اللغة وجرس أصواتها ، وكيفية توزيعها داخل السياق بصورة إيقاعية معينة منسجمة ترسم الدلالة ؛ إذ إن أثر انسجام الأصوات في الكلام المنثور كأثره في الموزون<sup>(٣)</sup> .

ومن هنا فتلويح هذه الأجراس في النصوص ذات الروح الشعرية و بحسب إيقاع معين ؛ يعطي نغمة موسيقية تصوّر دلالة النص وتعبر عنها ؛ وذلك أن مصدر هذه الأصوات و الموسيقى هو الانفعال و العاطفة القائم على الشعور النفس الانسانية ومدى شدة انفعالها بما يحدث حولها في الكون ؛ فيُعبر عن هذا الانفعال بهذه اللغة و الطريقة التي تمثل فيها الأصوات دلالة هذا الانفعال من فرح أو حزن أو ألم أو توجع ...<sup>(٤)</sup> ، ونتلمس هذه الدلالة أو تلك بما تحدثه هذه التغيرات الصوتية من تأثير و استجابة في النفس من دهشة أو احتقار أو غضب أو ارتياح ...<sup>(٥)</sup> .

(١) التكتيف الموسيقي في أشودة المطر : ٤ .

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : ٤٠ .

(٣) ينظر: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ٤٩ .

(٤) ينظر: رسائل الامام علي دراسة أدبية نقدية: ٣٤٠ .

(٥) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٦٠ .

فضلا عن أن تشكيل النص من ألفاظ حروفها ذات صفات معينة تتناغم مع المعنى و الجو الذي تدور فيه دلالة النص يكثف من دلالة النص ، وهذا يعود إلى المتكلم ؛ فكلما كان المتكلم مستوعبا لإحساس اللغة و مستجيبا لصدى أصواتها استطاع استعمالها بالطريقة التي تكثف دلالة كلامه<sup>(١)</sup> ، ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦] نجد أن أصوات هذا النص تنساب إلى الأسماع بسهولة ويسر ، وعلى تعبير أحد الباحثين (( إنها آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن الندوة الحلوة ، والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين ... تصوره ألفاظ رفاقة شفاقة ))<sup>(٢)</sup> ، ؛ فقد تلوّنت أصوات هذه الآية في المخارج والصفات ؛ فهناك الأصوات الشفوية ( الباء ، و الفاء ، والميم ) في ( عبادي ، فإني ، قريب ، أجيب ، فليستجيبوا ، بي ، ليؤمنوا ، لعلمهم ) ، و الأصوات الحنجرية ( الهمزة والهاء ) في ( إذا ، سألك ، فإني ، أجيب لعلمهم ) ، وهناك الأصوات الحلقية ( العين والجيم ) في ( عبادي ، عني ، أجيب ، دعوة ، الداع ، دعان ، فليستجيبوا ، لعلمهم ) ، والأصوات الأسنانة اللثوية ( الدال ، و الراء ، و التاء ، والسين ) في ( سألك ، عبادي ، قريب ، دعوة ، الداع ، دعان ، فليستجيبوا ) ... وما سواها من الأصوات متباينة المخارج في اللفظة والواحدة فضلا عن الجملة ؛ مما جعلها منسجمة متجانسة لا تنفر الأسماع منها ، وهذا الخليط من الأصوات بعضها ذو صفة جهرية شديدة كما هو صوت ( الهمزة ) المتكرر ست مرات و ( الدال ) المتكرر أربع مرات و ( الباء ) المتكرر خمس مرات ، و بعضها الآخر ذو صفة مهموسة رخوة كما هو صوت ( السين ) المتكرر مرتين و ( الفاء ) مرتين و ( الشين ) مرة واحدة ، غير أن الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخوة كانت أكثر كما هو صوت ( الياء ) المتكرر تسع مرات و أصوات ( الواو ، والنون – بلفظ التنوين أيضا - ، العين ) تكرر كل واحد منها ست مرات و صوت ( الألف ) المتكرر خمس مرات .

ومن عجيب هذه الآية أن نسبة المقاطع المفتوحة فيها تمثل ٧٥% ، فضلا عن أن جميع حروفها هي حروف انفتاحية ، أي: التي تتم بخروج النفس ما بين اللسان والحنك الأعلى مع استخدام جزء يسير من مقدمة اللسان عند النطق بها<sup>(٣)</sup> ؛ وفي كل ذلك من اختلاف في مخارج الأصوات و الصفات وتفاوت بين المقاطع ؛ تكثيف و تمثيل لدلالة السهولة والسرعة والقرب في استجابة الدعاء من الله عزوجل لمن دعاه<sup>(٤)</sup> ؛ فكان الآية ترسم صورة أبواب السماء المشرعة و المفتحة بوجه العبد حين يدعو ربه ، و لعله هناك إشارة ترتبط بسياق الحديث عن الصوم الذي تقدم هذه الآية ؛ فقد تقدم قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ

(١) ينظر: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ٥٠ .

(٢) في ظلال القرآن : ١ / ١٧٣ .

(٣) ينظر: أسرار الحروف: ٩٢ .

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ١ / ٢٢٨ .

الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... } [البقرة: ١٨٥] ؛ وهنا إشارة خاصة إلى سهولة استجابة الدعاء وسرعة من الله جل جلاله في هذا الشهر أكثر من غيره ، فضلا عن شدة قرب العبد منه سبحانه في هذا الشهر الفضيل ، ويمكن أن يكون هذا القرب راجعا إلى مقام السؤال بالدعاء<sup>(١)</sup> ؛ ففي (( الآية لفتة أخرى أنه في سياق القرآن كله عندما تأتي الآية فيها ( وإذا سألك أو يسألونك ) ؛ يأتي الردّ من الله تعالى لرسوله (قل) إلا في هذه الآية ؛ فقد جاء الردّ مباشرة من الله تعالى لعباده في خطاب مباشر ليس بين الله تعالى وعباده أي وسيط حتى لو كان الرسول الكريم - صلى الله عليه [ وآله ] وسلم - فما على العبد إلا الدعاء والله تعالى يجيب دعاء عباده فسبحانه وتعالى ))<sup>(٢)</sup> ، وما كثف من هذه الدلالات هو طريقة ترتيب هذه الأصوات و الألفاظ المكونة للتعبير بما تحمله من انسجام وتجانس وطلاوة و عذوبة ؛ إذ عند النطق بها أو سماعها تثير في النفس إحساسا تتصور فيه تلك السهولة مما يدفعها إلى التودد لشيء يغمرها بالطمأنينة و الراحة .

في حين نجد في آية أخرى يصوّر لنا تلوّن أصواتها المنتظمة بطريقة إيقاعية أخرى مشهدا مختلفا يناسب الدلالة ، قال تعالى في نهاية طوفان نوح ( عليه السلام ) : { وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } [هود: ٤٤] ؛ فلو لاحظنا ترتب مخارج الحروف في لفظة ( ابلعي ) ؛ نجدها تبدأ بصوت ( الباء ) الشفوي - فهذه الألف لا تلفظ - بعده صوت ( اللام ) اللثوي ثم صوت ( العين ) الحلقي فصوت ( الياء ) الجوفي ؛ إذ إن هذا التدرج في أماكن النطق من الشفة بعدها طرف اللسان و اللثة ثم وسط الحلق وصولا لتلاشي الصوت في ( الياء ) يلائم مشهد ابتلاع الأرض للماء ؛ فضمّ الشفتين في ( الباء ) و إطباقهما يوحي بذلك الركود لموج الماء العارم من الطوفان ، قال تعالى في وصف السفينة : { وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ } [هود: ٤٢] ، و رجوع اللسان وانحرافه عند النطق بـ ( اللام ) ثم انخفاضه للنطق بـ ( العين ) من وسط الحلق فتساوي اللسان عند النطق بـ ( الياء ) يناسب سرعة انخفاض منسوب المياه من على الأرض وبشكل متساوٍ حتى كأنه لم يكن ! ، وما يصوّر هذا المشهد الخاص بالأرض لفظة ( ابلعي ) ؛ فلم يقل: ابتلعي أو ضمّي أو احتوي ؛ فارتكز المشهد على بداية اللفظة في قوله: ( يا أرض ابلعي ماءك ) ، وتحديدًا على المقطع المنغلق في ( ض \_ ب المتوسط التركيب كما ابتلعت الأرض إلى جوفها وأطبقت عليه فلم يعد موجودا .

ولو انتقلنا مع الآية إلى مشهد السماء في قوله جل و علا : ( يا سماء اقلعي ) ؛ فإن لفظة ( اقلعي ) المبتدئة بصوتي ( الهمزة ) و ( القاف ) تلائم الموقف ؛ إذ كلا الصوتين - الهمزة والقاف - عند النطق به ينحبس

(١) ينظر: التحرير والتنوير : ١٧٩ / ٢ .

(٢) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٦٤٧ .

الهواء و ينقطع انقطاعا تاما ، غير أن ( الهمزة ) يتكون بحبس الهواء من الرئتين<sup>(١)</sup> مما يدل على انقطاع مدد الماء من الأصل ، و ( القاف ) يحبس الهواء فيه من الحنجرة<sup>(٢)</sup> مما يدل على اختفاء نزول الماء ، ثم ( اللام ) و ( العين ) و ( الياء ) ملائمة مشهد الأرض في سرعة تلاشي الماء واختفائه .

بعدها أردف هذين المشهدين جملا معطوفة على ما تقدم ذات إيقاع قصير يلائم سرعة وقوع هذه المشاهد فكأنها مشهد واحد قال تعالى: ( غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي ) وابتدأها بلفظة ( غيض ) من دون نقص أو نصب<sup>(٣)</sup> ؛ وذلك راجع لصوت ( الغين ) ؛ (( فظاهرة الغور والغموض في حرف الغين، إنما هي مستمدة من طبيعة صوته ؛ فهو لا يوحى بالغموض فحسب، وإنما بالإمحاء والعدم أيضاً ))<sup>(٤)</sup> ؛ لذا فمعنى ( غيض الماء ) ، أي: جفَّ<sup>(٥)</sup> ؛ (( فما إن أمرت الأرض بأن تبلع والسماء بأن تطلع، إلا وقد غيض الماء، وكأن قوة هائلة مجهولة اختطفته وابتلغته، فذهب معها في المجهول ))<sup>(٦)</sup>، ثم تهدأ العاصفة ويخيم السكون ( قضي الأمر و استوت على الجودي ) كما يتمشى الاستقرار و السكون كذلك في الألفاظ وفي إيقاعها في النفس والأذن<sup>(٧)</sup>.

وهنا يدرك المتلقي في نفسه عظمة الباري عزوجل و اقتداره ؛ بما كثف لها هذا التلوين الصوتي من جرس الألفاظ و انسجامها داخل النص حتى جاءت الآية (( تصور ما حدث بعد الطوفان، من ابتلاع الأرض ماءها، ونقاء السماء بعد أن كانت تغطي بسحبها، واستواء السفينة على الجودي ، وقد طهرت الأرض من رجس المشركين، فصور الله ذلك تصويرا حسيًا، يؤكد في نفسك استجابة هذه الطبيعة العظيمة وخضوعها لأمر الله ))<sup>(٨)</sup>؛ وعلى ما تقدم فإن التلوين الصوتي في جرس الألفاظ و إيقاع الجمل يصور الدلالة و يكتف من مشهدها للمتلقي ؛ إذ يجعل المسموع محسوسا في ذهنه ؛ فالتلوين الصوتي لا يقتصر على جرس الألفاظ وحسب ؛ بل إيقاع الجمل وأنغام مقاطعها ، و ترتب هذه الأجراس و الإيقاعات داخل النص ، كلها تتضافر بما يناسب دلالة النص وتكتف لها .

وقد زخر النص القرآني بمثل هذا ، كما نجد ذلك في نص نهج البلاغة ، وهذا دليل على أن مُنشئ النص عالم باللغة وجمال جرس أصواتها ؛ فيوظف الألفاظ بدقة متناهية و يركب الجمل بإيقاعات متناغمة ؛ فيأتي النص مكثف الدلالة .

(١) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٣١ .

(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٣١ .

(٣) ينظر: أوضح التفاسير : ٢٦٩ / ١ .

(٤) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٢٤ .

(٥) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٢٨٥ / ٣ .

(٦) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة : ٢٩٩ .

(٧) ينظر: في ظلال القرآن : ١٨٧٩ / ٤ .

(٨) من بلاغة القرآن : ٤٩ .

ومما يجسد هذا المعنى في نهج البلاغة قوله ( عليه السلام ) لابنه محمد يوصيه أثناء الحرب: (( عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ <sup>(١)</sup> أَعْرَ اللَّهُ جُمُجْمَتَكَ تَدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ أَرْمُ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غَضَّ بَصْرَكَ )) <sup>(٢)</sup>؛ إذ إن أصوات النص تُسمعنا موسيقى شديدة عالية النغمة ؛ لعلنا إذا سمعناها من المتكلم يثير نبرها فينا شداً للأعصاب ، وذلك راجع للتلوين بأصوات ألفاظها وطريقة ترتيبها داخل النص بشكل إيقاعي يجانس سياق الدلالة و مقامها ؛ فالسياق مجموعة أوامر من قائد حريص إلى جندي طائع في مقام الحرب ، قال ( عليه السلام ) : ( عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ ) ، و قال : ( أَعْرَ اللَّهُ جُمُجْمَتَكَ ) ، و ( تَدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ) ، و ( أَرْمُ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غَضَّ بَصْرَكَ ) ؛ فلو جئنا إلى بدايات الجمل ( عَضَّ ، أَعْرَ ، تَدُّ ، أَرْمُ ) نلاحظ ذلك الزخم من التنبيه و بقوة ؛ فلفظة فعل الأمر ( عَضَّ ) وانتقال حركة اللسان عند النطق بها من صوت ( العين ) إلى صوت ( الضاد ) المضعف ينسجم مع شد أعصاب الفم و أطباقه ؛ فصوت ( العين ) صوت انفتاحي يكون فيه اللسان مترجعاً ثم فجأة يندفع اللسان إلى الأمام و يلتصق بالثنايا العليا بشدة في تكوين صوت ( الضاد ) المضعف المفخّم ، وهذه الحركة في النطق تشد الفم كأنه يطبق على شيء بقوة كما في صورة إطباقه على اللسان .

أما لفظتا ( أَعْرَ ، و أَرْمُ ) فصوت ( الهمزة ) الشديد أضعف فيهما فوق التنبيه صورة أخرى تناسب المقام ؛ إذ إن (( صوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نثوءاً في الطبيعة.. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع ، فيلفت الانتباه )) <sup>(٣)</sup>؛ فكان الإمام ( عليه السلام ) يحث ابنه محمداً على لفت الانتباه ببروزه كما لو يقف في مقدمة الجيش و يهجم أولاً .

في حين قوة الاحتكاك في لفظة ( تَدُّ ) تُحشد لذلك الثبات و الالتصاق بالأرض كأوتادها <sup>(٤)</sup> ، فإن صوت ( التاء ) (( المتماسك المرن يوحى بلمس بين الطراوة والليونة ... كأنّ القدم الحافية تطأ أرضاً من الرمل الجاف )) <sup>(٥)</sup>، وصوت ( الدال ) المتصلب <sup>(٦)</sup> يرسم تلك الوقفة الثابتة الصلبة .

ولو قارنا بين مقاطع الجمل المتضمنة للأوامر؛ نجد أن عدد المقاطع يتناسب مع جمل الأوامر الثلاثة الأولى متقاربة العدد في المقاطع ؛ إذ جملة ( عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ ) سبعة مقاطع ، و ( أَعْرَ اللَّهُ جُمُجْمَتَكَ ) تسعة مقاطع ، و ( تَدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ) سبعة مقاطع ، و هذه الأوامر الثلاثة غير معطوفة ؛ ليشعر أن

(١) الناجذ : آخر الأضراس : بهج الصباغة : ١٣ / ٤٨١ .

(٢) نهج البلاغة: ٥٥ .

(٣) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٩٣ .

(٤) قال تعالى: { وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا } [النبا: ٧] .

(٥) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٥٥ .

(٦) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٦٦ .



لكل أمر منها خصوصيته ، وكذا يكتف من الانتباه لها بإعطاء بداياتها ذات الأصوات التنبيهية – إن صح التعبير – دفعا نغميا عاليا .

قوله : ( اِرْمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غُضَّ بَصْرَكَ ) ففيه ستة عشر مقطعا ، وقد تضمن جملتين أمريتين لكنهما معطوفتان على بعض ؛ ليدل على أنهما كالأمر الواحد ؛ فأمره بأن يجعل هدفه الوصول إلى آخر القوم ؛ وبذلك لا بد له من أن يشق صف الأعداء ويقتلهم حتى يصل إلى أقصاهم ، وهنا رفع من همته إلى أقصى درجة ممكن أن يفكر فيها ، ومع هذه الهمة العالية أمره أن لا يلتفت أثناء نظره للوصول لهدفه إلى ما يقلل من تلك الهمة كالعدّة والعدد عند الأعداء ؛ فالنظر إلى الأعداء و الوصول إلى الهدف يرافقه غض البصر عما عندهم<sup>(١)</sup> .

ومثله قوله ( عليه السلام ) لأصحابه : (( فَفَدِّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخْرُوا الحَاسِرَ وَ عَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ وَ التُّوَا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلأَسِنَّةِ وَ غُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلجَاشِ وَ أَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ))<sup>(٢)</sup> تجد أن نغمة النص عالية شديدة اللهجة ؛ وذلك نتيجة للضغط على مخارج الأصوات ذات الصفة الشديدة و الارتكاز عليها في النص ، كصوت ( الدال ) المضعف في ( ففدّموا الدّارع ) ، و صوت ( الضاد ) المضعف في ( عضّوا ، و غضّوا ) و غير المضعف في ( الأضراس ) ، فضلا عن الأصوات الشديدة الأخرى المتوزعة في النص كصوت الهمزة كما في ( أخروا ، و الأضراس ) ، و أنبى ، و فإنّه ، و أطراف ، و أمور ، و للأسنة ، و الأبصار ، و أربط ، و للجاش ، و أسكن ) ، و صوت ( التاء ) و ( الطاء ) و ( الباء ) و ( الجيم ) في ( التّووا ، و أطراف ، و الأبصار ، أربط ، و للجاش ) .

وكل هذا الارتكاز على الأصوات الشديدة في النص ؛ يناسب دلالاته ويكتفها ؛ إذ يتطلب النص معاني الجرأة و الحسم و الصلابة و الخفة مع السرعة والشدة في ميدان الحرب<sup>(٣)</sup> ؛ فهو – النص – مجموعة وصايا تخص المحاربين .

ومما يُعد من ذلك قوله ( عليه السلام ) في موضع آخر : (( أَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا وَ وَطَّنُوا لِلجُنُوبِ مَصَارِعَهَا وَ اذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَ الضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ ))<sup>(٤)</sup> ؛ فإن لجرس أصوات ألفاظ هذا النص صبغة تتصف بالجفاف كما في ( و طنّوا ) و ( ذمّروا ) و ( الطّعن ) و ( الدّعسي ) ، و ( الضّرب ) و ( الطّلحفي ) ، فضلا عن قصر إيقاع الجمل و تقاربها مما يكسبها زيادة في التماسك و الشدّة ؛ و (( هذا تحريض شديد لهم على الجد في القتال ، و إن للسيف حقا على صاحبه و هو أن يضرب به الأعداء

(١) ينظر: أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٥٦ ، و شرح نهج.. (السيدعباس): ١ / ١٤٢ .

(٢) نهج البلاغة: ١٨٠ .

(٣) ينظر: نفحات الولاية: ٥ / ١٦٦ .

(٤) نهج البلاغة: ٣٧٤ .

ضربات فتك و قوة في الأعناق و الأطراف... ( و وطنوا للجنوب مصارعها ) هيوأ بضرباتكم الحاسمة لأجدات الأعداء و صرعاها موطننا دائما لا تقوم منها ، و بعبارة أخرى: اجعلوا ضرباتكم تلحق أعداءكم في قبورهم... ( و أدمروا انفسكم على الطعن الدعسي و الضرب الطلحفي ) أمرهم أن يشتدوا في ضرب الأعداء ضربا يظهر أثره في قتلاهم ضربا بالسيوف و طعنا بالرماح من أشد الطعن و الضرب ))<sup>(١)</sup> .

وفي مقام آخر نلاحظ أن التلوين من الأصوات والارتكاز على الشديدة منها كثف الدلالة بما يناسبها ؛ ففي كلام له يذكر فيه فضائله ( عليه السلام ) ، قال: (( نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا ، وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا ، وَ أَعْلَاهُمْ قُوَّةً ، فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَ اسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَزٍ وَ لَا لِقَائِلٍ فِي مَغْمَزٍ ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ ))<sup>(٢)</sup>؛ فإن لصوت ( التاء ) و ( القاف ) و ( الطاء ) في قوله ( عليه السلام ) : ( نطقت حين تعنعوا ) ذلك الدوي المسمع نغمة عالية عند النطق به ، ثم لضغط الجملة بهذه الصورة وفي مقاطع لا تتجاوز الثمانية مقاطع - ( ن \_ ، ط \_ ق ، ت \_ ، ح \_ ، ن \_ ، ت \_ ع \_ ، ت \_ ، ع \_ ) - و الإطالة في مقاطع الجملة التي بعدها ( مضيت بنور الله حين وقفوا ) ؛ إذ تجاوزت الاثني عشر مقطعا - ( م \_ ، ض \_ ي \_ ، ت \_ ، ب \_ ، ن \_ ، ر \_ ل \_ ، ل \_ ، ه \_ ، ح \_ ، ن \_ ، \_ ، \_ ، ق \_ ، ف \_ ) - مناسبة لزمان كلتا الداليتين ؛ فمبادرته ( عليه السلام ) للنطق بالحقيقة و الحق حين تردد غيره كانت بشكل سريع خالٍ من العيِّ و الوهم<sup>(٣)</sup> ، في حين مدّة سيره بالأمر الإلهي يتطلب زمنا أطول عانى ما عنى فيه ( عليه السلام ) من قلة الناصر و تخاذل القوم و انحرافهم عن الحق .

ولو نظرنا إلى جمل النص سنلاحظ هذا التفاوت مرة أخرى ؛ فقوله ( عليه السلام ) : ( الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقَّ لَهُ ) و قوله: ( وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ ) مثلا أطول الجمل في النص ؛ إذ تشكل كل من القولين من سبعة عشر مقطعا متساوية في ذلك ، ولهذا الإطالة و التساوي حشد وزيادة للدلالة ؛ فمهما طال زمن إحقاق الحق وأخذة للدليل من الظالم ومن القوي للضعيف لا بد من أن يأخذه ( عليه السلام ) ويسترده ؛ فالميزان عنده ( عليه السلام ) هو الحق طال زمنه أو قصر ؛ فصاحب الحق هو العزيز و صاحب الحق هو القوي عنده ( عليه السلام ) ، كيف لا ؟ وهو القائل في مال المسلمين : (( وَ اللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النَّسَاءُ وَ مُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ ))<sup>(٤)</sup> .

(١) شرح نهج..(السيدعباس): ٤ / ١٧٧ ، و حدائق الحقائق : ٢ / ٤١٠ .

(٢) نهج البلاغة: ٨٠ .

(٣) ينظر: الأمثال والحكم : ٣٣٣ .

(٤) نهج البلاغة: ٥٧ .

و للإطلاق بـ ( الألف ) بعد صوت ( التاء ) و ( الهاء ) في قوله ( عليه السلام ) : ( أخفضهم صوتا ، أعلاهم فوتا ؛ فطرت بعنانها ، و استبددت برهانها ) تصويرا لذلك الاندفاع و الهمة اللامتناهية في إحقاق الحق و الثبات عليه و الامتثال له ؛ فقد كنى بـ ( أخفضهم صوتا ) عن ثباته في الأمور وتصميم العزم ؛ فإن خفض الصوت من شعار الثباتة قلوبهم على الحق ، وقد كنى بـ ( أعلاهم فوتا ) عن سبقه البعيد بما ينبغي عمله من حق ؛ فالفوت لا يقال إلا إذا سبق سبقا بعيدا<sup>(١)</sup> ، وكذا (( فإن كثرة الأصوات و علوها في الأفعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ، و لا شك أنّ من كان أشدّ في ذلك كان أعلى صوتا و أشدّ سبقا إلى مراتب الكمال و درجات السعادة ممّن كان أضعف فيه ))<sup>(٢)</sup>.

أما ( عنانها ، ورهانها ) فالضمير ( الهاء ) يعود فيهما إلى موضوع الكلام وهو الفضيلة<sup>(٣)</sup>، وهذه الألف زادت من دلالة تفرده وعلوه ( عليه السلام ) بالفضائل و الكمالات بصورة لا يستطيع إنسان اعتيادي تقديرها وحدّها .

وفي سياق مختلف يُسمعنا التلوين الصوتي بالأجراس و الإيقاع معزوفة تعج بدلالات الوجد و الحسرة و الألم ، كما في قوله ( عليه السلام ) في الخلافة: (( فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوبًا وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا<sup>(٤)</sup> وَ طَفَقْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أُصُولَ بَيْدِ جَدَاءٍ أَوْ أُصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَ يَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَ يَكْدُخُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبْرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَدَى وَ فِي الْحَلْقِ شَجَا أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا ))<sup>(٥)</sup>؛ إذ يطغى على النص صبغة مدّ خروج الأصوات كما في ألفاظ نهايات الجمل ( ثوبا ، كشحا ، جداء ، عمياء ، الكبير ، الصغير ، ربّه ، أحجى ، قدى ، شجا ، نهبا ) ؛ فهذا المدّ بعد يعمّق تلك الحسرات و الآهات المكونة في صدر المتكلم و يعبر عنها .

ثم إن لجرس الألفاظ المتوزعة في النص أبعادا تناسب ذلك كما في ( فسدت ، طفت ، طخية ، يكدح ) ؛ فلفظة ( فسدت ) واستقرار جرس ( السين ) العالي فيها زيادة لتمامية إرخاء ذلك الحاجز بينه ( عليه السلام ) والخلافة ، أما لفظة ( طفت ) التي تعني: عمدت<sup>(٦)</sup> أو جعلت أو أخذت<sup>(٧)</sup> فإن لصوت ( الفاء ) بعد جرس ( الطاء ) الموحى بالانكسار والاتواء<sup>(٨)</sup> تصويرا لانكساره وحيروته ( عليه السلام ) من عدم امتلاكه العدة و العدد للقيام بالأمر واسترجاع حقه ، فضلا عن أن للانتقال السريع بين مخارج الحروف من ( الطاء

(١) ينظر: شرح نهج..(القرن الثامن): ٤٤٤ .

(٢) شرح نهج..(ابن ميثم): ٩٤ / ٢ .

(٣) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم): ٩٥ / ٢ .

(٤) الكشج: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وهنا كناية عن الاعراض : ينظر: بهج الصباغة : ٤٣١ / ٢ .

(٥) نهج البلاغة: ٤٨ .

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ١١٨ / ٢ .

(٧) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٩٢ ، و معاني القرآن للفراء : ١٩٤ / ٢ .

(٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١١٨ .

( فـ ) الفاء ( ثم ) القاف ( عند النطق بهذه الأصوات مجتمعة ( طفق ) ؛ مناسبة لتلك الحيرة التي تتطلب قرارا حاسما ، و الجدير بالذكر أن لفظة ( طفق ) وردت في القرآن الكريم وفي مقام الانكسار والحيرة ، قال تعالى حكاية عن آدم و حواء : { فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } [طه: ١٢١] .

وللتعبير بلفظة ( طخية ) روعة تجسدها جرس هذه اللفظة ؛ فالطخية تعني الظلمة ، و ( طخية عمياء ) ، أي : (( ظلمة مظلمة ))<sup>(١)</sup> ؛ فإن لتراخي احتكاك اللسان وتلاشي الهواء تدريجيا عند النطق بـ ( الطاء ) المجهور الشديد بعده ( الخاء ) المهموس الرخو ثم ( الياء ) اللين حكاية لهذا التيه في الظلام كلما تُوعِل فيه ؛ إذ إن أجواء تلك الفتنة دامسة الظلام لا يمكن اختراقها أو مشاهدة أي شيء من خلالها ؛ فهي شديدة العتمة<sup>(٢)</sup> ؛ لذا تحدث ( عليه السلام ) عن خصائص تلك الظلمة في عبارات ثلاث جمع فيها المعاناة ؛ فقال: ( يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدر مؤمن حتى يلقي ربه ) ، ولفظة ( يكدر ) و اعتراض جرس صوت ( الكاف ) فيها إشعار بجو الكبد و القساوة ، وهذا يرجع إلى مخرج الهواء عند النطق بهذا الصوت ؛ إذ يخرج من أقصى الحنك فيحتاج إلى انغلاق مجرى النفس تماما لينفجر به الهواء دفعة واحدة<sup>(٣)</sup> ، وكذا فإن لهاء السكت في نهاية التعبير في ( ربه ) ارتباطا بطول زمن هذا الكدر وتعميقا لألم هذه المعاناة وشدتها .

ولتقارب إيقاع بعض الجمل في هذا النص إسهام واضح في جعل النبيرة التعبيرية عن هذه الدلالات الحزينة أكثر بوحا لما تُكنه نفسه ( عليه السلام ) من أهات وحسرات مكبوتة في صدره ؛ إذ إن جملة ( فسدت دونها ثوبا ) تشكلت من تسعة مقاطع ، و ( طويت عنها كشحا ) من ثمانية مقاطع ، و جملة ( أن أصول بيد جذاء ) تسعة مقاطع ، و ( أصبر على طخية عمياء ) عشرة مقاطع ، وكلا من جملة ( يهرم فيها الكبير ) وجملة ( يشيب فيها الصغير ) سبعة مقاطع ، وكذا كل من جملة ( في العين قذى ) و جملة ( في الحلق شجا ) خمسة مقاطع ، ما عدا جملة ( يكدر فيها مؤمن حتى يلقي ربه ) تشكلت من أربعة عشرة مقطعا ضعف ما تشكلت منه الجملتان اللتان تتصل بهما – يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير – و هذا العدول مناسب لزيادة زمن الدلالة لهذه الجملة ، وفي كل هذا التلوين الصوتي حكاية مكثفة عن انفعال نفس المتكلم بالبوح بما تكنه من ألم وحزن و حسرة .

وما أروع النظم في التعبير العلويّ ( عليه السلام ) ، الذي يصور لنا فيه تلوين الصوتي حال الناس قبل البعثة ؛ إذ قال ( عليه السلام ) : (( فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَ شَرِّ

(١) أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٤٥ .

(٢) ينظر: نفاحات الولاية: ٢١٧/١ .

(٣) ينظر: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: ٣٤ .

جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَ كُحْلُهُمْ دُمُوعٌ بِأَرْضٍ عَالِمَهَا مُلْجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ))<sup>(١)</sup>؛ إذ نلمس في موسيقى هذا التعبير صورة لمشهد بانس حزين ، فرسم مدّ الهواء في أصوات ( الهاء ) و ( الواو ) و ( الألف ) المتكررة صورة الاغتراب و التيه في ذهن المتلقي ، ومن غنة صوتي ( الميم ) و ( النون ) المتناثرة بين هذه المدّات ؛ رافق هذا التيه و الاغتراب نغمة من البؤس و الانكسار في التعبير ؛ و مع قصر إيقاع جُمله (( كأن السامع يشهد عن قرب تلك الأوضاع ، ويرى نفسه في خضم ذلك العصر ؛ ليلمس الفوضى و البؤس و الشقاء الذي كان عليه الناس ))<sup>(٢)</sup> .

ومثل ذلك الإبداع في كلام له ( عليه السلام ) يصف فيه مصير الانسان في هذه الدنيا ومآل أمره بعدها ؛ إذ شكلت أصوات التعبير و إيقاعاته نغمة تكثّف من تصوير دلالة الوصف ، قال ( عليه السلام ): (( أَصْبَحْتُ أَصْوَاتَهُمْ هَامِدَةً وَ رِيَاحَهُمْ رَاكِدَةً وَ أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَ دِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَ آثَارُهُمْ عَافِيَةً فَاسْتَبَدَّلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ وَ النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ الصُّخُورَ وَ الْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ وَ الْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ الَّتِي قَدْ بَنِي عَلَى الْخَرَابِ فَنَاوَهَا وَ شَبَدَ بِالثَّرَابِ بِنَاوَهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ وَ سَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَ أَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَ لَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ ))<sup>(٣)</sup>؛ ففي التركيز على الحروف الجوفية ( الألف الأجوف و الهاء والياء ) ؛ دعم لدلالة الانقضاء والتصرّم و السكون ؛ لما فيها من فراغ صوتيّ بحكم طبيعتها الصوتية الناتجة من نقطة ارتكازها الحلقية التي ينقطع عندها الهواء ؛ فيكسبها جرسها الخاص<sup>(٤)</sup>، الذي يضيفي لمسة صوتية تسهم في دلالة الخلو و الركود .

كما أن لتوازي المقاطع الخمسة الأولى و انتهائها بـ ( هاء ) السكت تعميقا لدلالة السكون و الفراغ<sup>(٥)</sup> ، وكذا في تقابل الحالين - حال القصور والنمارق و البناء و التشييد ، وحال القبور و الصخور و الاحجار و الخراب و التراب - و امتداد إيقاع جملها مع غنة صوت ( النون ) في نهايات فواصلها ؛ حكاية تقدّم لنا تلك الوحشة والغربة بشكل يجعل السامع يعيش تلك الحال في نفسه ؛ فينتابه شعور يدفعه للأخذ بالموعظة و الاستعداد لذلك الأمر .

(١) نهج البلاغة: ٤٦ .

(٢) نفحات الولاية: ١ / ١٨٥ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٤٨ .

(٤) ينظر: النقد اللغوي عند العرب: ١٩٣ .

(٥) ينظر: بنية الخطبة في نهج البلاغة: ١٢٥ .

## المبحث الرابع

### تكثيف الدلالة باستعمال الصيغة الصرفية

هناك مظاهر متعددة تُكثّف الدلالة فيها باستعمال الصيغة الصرفية<sup>(١)</sup> بصورة تجعل من الصيغة الاشعاع و المحور الذي تركز عليه الدلالة ، وقد يشترك التكتيف في بعض هذه المظاهر مع مصطلحات أخرى ، كما ينفرد بمظاهر في بعضها الآخر .

ومن مظاهر الاستعمال للصيغة الصرفية استعمال الصيغ المشتركة التي تشترك فيها معانٍ متعددة وبصيغة واحدة كاشتراك اسم المفعول و الصفة المشبهة و المبالغة في ( فعيل ) نحو : ( حكيم ) في قوله تعالى: {يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} [يس: ١ ، ٢] ، وقوله : {ذَلِكَ نُنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ٥٨] ؛ فاختار كلمة حكيم بصيغة ( فعيل ) أفاد بها أكثر من معنى قد تكون كلها مطلوبة مرادة ؛ وذلك أن ( حكيم ) تكون بمعنى ( مُحكم ) اسم مفعول ، وقد تكون بمعنى: حاكم ، اسم فاعل ، أي: القرآن حاكم يحكم و يهيمن على غيره من الأحكام و الكتب ، و قد تكون صفة مشبهة من الحكمة فهو كتاب حكيم بمعنى: ذي حكمة<sup>(٢)</sup> . وكذا اشترك المصدر واسم المكان واسم الزمان في صيغة ( مُفْتَعَل ) نحو قوله تعالى: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة: ١٢] فمستقر تدل على المصدر بمعنى الاستقرار ، وتدل على اسم المكان بمعنى مكان الاستقرار ، وتدل على اسم الزمان بمعنى زمان الاستقرار<sup>(٣)</sup> ولا يبعد أن تحتمل جميع المعاني (( فكلمة (مستقر) أفادت ثلاثة معانٍ مجتمعة ... ولا تغني كلمةً أخرى عنها، فلو أبدلت بها (الاستقرار) ما أدّت تلك المعاني، فهي أنسبُ كلمة في هذا الموضوع ))<sup>(٤)</sup> .

نعم ، إن هذا اللون – من استعمال الصيغ المشتركة – بلا شك يحمل معنى تكثيف الدلالة ، لكن يشترك التكتيف فيه مع مصطلحات أخرى ؛ إذ يشترك مع الاتساع في تعدد المعاني ، أي: من حيث المضمون ، ويشترك مع الاقتصاد اللغوي بجمع هذه المعاني في صيغة واحدة من حيث الشكل ، أي: الوصول بالقليل إلى الكثير ، و هذا من التكتيف اللغوي .

(١) عُرِّفَت الصيغة الصرفية بأنها : (( القلب الذي تُصاغ الكلمات على قياسه )) أو هي : (( الهيئة التي تشترك فيها مجموعة من الألفاظ بعدد الحروف الأصلية مع مراعاة ترتيبها وحركاتها وسكونها وحروفها الزائدة )) : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ١٨٩ . الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة اشتقاقا ودلالة: ٨٨ .

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط : ٣ / ١٨٢ ، و روح المعاني : ١٢ / ١٥٦ ، و الجملة العربية و المعنى: ١٤٨ .

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط : ١٠ / ٣٤٧ ، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤ / ٦٦٠ .

(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٢١٠ .

غير أن هناك صوراً ينفرد بها التكتيف ، ومنها الجمع بين صيغتين تكمل إحداها الأخرى وذلك كقوله تعالى : {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ١] ؛ إذ جمع بين صيغتين - ( الرحمن و الرحيم )<sup>(١)</sup> وكلاهما صفة مشبهة - تكمل إحداها الأخرى مُكثفاً للدلالة بهذا الجمع ؛ وذلك أن (( الرحمن ) على صيغة ( فعلان ) وهي تفيد التجدد والحدوث كغضبان وعطشان ؛ و لئلا يُظن أن رحمته تعالى تزول أنها ليست دائماً احتاط للمعنى فجاء ب ( الرحيم ) على صيغة ( فعيل ) التي تدل على الثبوت ... فجمع بين الحدوث والثبوت للدلالة على كمال الرحمة واستمرارها )<sup>(٢)</sup>، فجمع بين صيغتين من صيغ الصفة المشبهة ؛ لتكثيف دلالة الرحمة أكثر ، وهذا الجمع من جهتين ، من جهة الشكل حيث تعددت الصيغ ( فعلان و فعيل ) ، وبالجمع بين دلالتيهما من حيث المضمون ، وكل هذا لتكثيف دلالة معينة وتركيزها ، ولا يقتصر هذا الجمع بين الصيغتين أن تكونا لعنوان واحد - كالصفة المشبهة أو اسم الفاعل ... أو غيرهما - وإنما يمكن أن يكون الجمع لعنوانين كأن يجمع المتكلم بين الفعل والاسم ، أو الفعل و مصدره أو مصدر غيره ، أو بين اسم الفاعل و اسم المفعول ... أو غيرها.

ومن صور التكتيف عن طريق الصيغة الصرفية هو زيادة مبناها ؛ فقد قيل: (( إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ، ثم زيد فيها شيء ، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به ))<sup>(٣)</sup> وبتعبير أوضح : إن زيادة المبنى غالباً يدل على زيادة المعنى<sup>(٤)</sup> ؛ فقولك : استقطع ، يغني عن طلبك لأحدهم أن يقطع ، وكذا ( قاطعون ) أغنت عن ذكر قاطع و قاطع و قاطع ... وكل من استقطع و قاطعون ومقطع ... وما سواها مشتقة من جذر واحد ( ق ط ع ) يدل على القطع ، و الزيادة التي أضيفت له حملت معناه وزادت عليه<sup>(٥)</sup> ، و يرى البحث أن في بعض الاستعمالات للبنية المزيدة من دون المجردة قصداً في تكثيف الدلالة ؛ ففي قوله تعالى: {فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: ٩٧] إذ جرّد الفعل الأول من التاء وزاد التاء مع الفعل الثاني ؛ و ((زيادة التاء في فعل استطاع تجعل الفعل مناسباً للحدث... والصعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه ؛ لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب لذا استخدم استطاعوا مع الصعود على السد ، واستطاعوا مع النقب ؛ فحذف مع الحدث الخفيف أي: الصعود على السد ، ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل ؛ بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإن الصعود على السدّ يتطلب زمناً أقصر

(١) ويرى السيد السبزواري - قدس الله سره - (( إن هاتين الكلمتين من الصفات المشبهة، والتفريق بينهما أنّ الرحمن مبالغة والرحيم صفة مشبهة يدل على مجرد الثبوت، وهذا وإن كان صحيحاً بالنسبة إلى ذات اللفظين حين الإطلاق على المخلوق. وأما من حيث إضافتهما إلى الله عزّ وجل فلا وجه للمبالغة بالنسبة إليه تعالى؛ لأنّ صفاته بالنسبة إليه تعالى غير محدودة فلا تجري المبالغة فيها )): مواهب الرحمن: ١ / ١٦.

(٢) الجملة العربية والمعنى: ١٣٣.

(٣) الخصائص: ٣ / ٢٧١.

(٤) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٤ / ١.

(٥) ينظر: الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره: ١٠.

من إحداه النقب فيه ؛ فحذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث ((<sup>(١)</sup>)، وهنا بالزيادة في الثاني جمع زيادة المشقة والتعب و الزمن الأطول بعكس الأول المجرد من هذه الزيادة فإنه أهون و أقل زمنا ؛ وعليه فإن زيادة المباني في بعض الأحيان تكثف الدلالة بزيادة المعاني .

ومن كل ما تقدم من صور للتكثيف باستعمال الصيغة الصرفية لابد من أن نشير إلى نقطة مهمة وهي: أن ما يحدد كثافة الدلالة في هذا الاستعمال للبنية الصرفية – من جمع بين صيغتين أو زيادة المبنى – هو السياق بصورة عامة ؛ وهذا فارق آخر بين التكثيف وغيره من المفاهيم ؛ فإن لفظة ( استقطع ) وحدها فيها اقتصاد لغوي ؛ إذ زادت في معنى القطع معنى الطلب – كما تبين سابقا - ؛ لكن في ( استطاعوا ) مع السياق الذي وردت فيه بالآية تعدت هذه الزيادة للمعنى وأعطت تكثيفا للدلالة باستعمال هذه الزيادة ؛ وذلك بتأثير السياق الذي وردت فيه ، وسيلمس هذا المعنى ويتضح أكثر في الأمثلة القادمة.

### أولا: تكثيف الدلالة بالجمع بين صيغتين تكمل إحداها الأخرى:

الجمع بين صيغتين أو أكثر لعنوانين مختلفين ، أو لعنوان واحد ، هو تكثيف للدلالة ؛ إذ تركز الدلالة فيه على بنية الكلمة و صيغتها ؛ فهما تمثلان البؤرة المشعة فيها ، ومن ذلك الجمع بين صيغ المبالغة أو صيغ اسم الفاعل أو غيرهما ، وكذا الجمع بين الاسم والفعل ، أو المصدر وفعله ... و ما إلى ذلك من استعمالات يجمع فيها المتكلم بين صيغتين في استعمال واحد ، ونقصد في استعمال واحد ، أي: أن يكون الموضوع والمحمول لا يحتاج إلى واسطة بين الموضوع والمحمول فالبياض أبيض ، فهذا يفرق عن قولنا: الجسم أبيض ؛ لأن الأول لا يحتاج إلى واسطة بين الموضوع والمحمول فالبياض نفس الأبيض ، أما الثاني يحتاج إلى توسط البياض بين الجسم والأبيض<sup>(٢)</sup> ، وهذا يفيدنا في استنطاق الدلالة المكثفة في مثل هذا الاستعمال كما في قوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨] إذ اسند اسم الفاعل إلى مصدره – ولعل – في هذا الاسناد يريد القول : أن هناك ممن هم من ذاتهم يشفعون ويحملون المؤهلات للشفاعة ؛ فالشفاعة من استحقاقاتهم – وهذا المعنى وارد - لكن بالنظر إلى سياق نفي النفع بهذه الشفاعة نلاحظ دلالة أخرى كثفت في هذا الاستعمال وهي أن هذه الشفاعة ليس هنا موردها ؛ فكما للشافع مؤهلات تجعله شافعا ، كذا للمشفوع مؤهلات تجعله يتقبل هذه الشفاعة ويستحقها ؛ فإن فقدت فلا يستحق شفاعة الشافعين.

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٦٥ ، وينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني: ١١ .

(٢) البياض أبيض يسمى: حمل من صميمة ، أما الجسم أبيض فيسمى: حمل بالضميمة ، ينظر: المنطق: ٣١٤-٣١٥ .



## ١- الجمع بين صيغ اسم الفاعل:

اسم الفاعل : هو الاسم الذي يصاغ للدلالة على الحدث والحدوث و فاعله<sup>(١)</sup> ، ويقصد بالحدث المصدر ، وبالحدوث ما يقابل الثبوت فد ( قائم ) - مثلا - اسم فاعل يدل على القيام - المصدر - ، ويدل على أن القيام ليس ملازما لصاحبه بل هو طارئ بالعرض ، أما دلالاته على فاعله ؛ فبمعنى: ذات الفاعل ، أي: صاحب القيام<sup>(٢)</sup> .

وقد اختلف العلماء فيما يدل عليه اسم الفاعل إلى ثلاث دلالات : فمنهم من ذهب إلى أنه يدل على التجدد والحدوث- وهم الأغلب<sup>(٣)</sup> - ، و بعضٌ ذهب إلى أنه يدل على الثبوت<sup>(٤)</sup>، أما الرأي الثالث: فقد جمع بين الدالتين مع التفصيل ، وذهب إلى أن: اسم الفاعل يدل على الثبوت بالنسبة إلى الفعل ، ويدل على التجدد والحدوث بالنسبة إلى بعض الأسماء الأخرى كالصفة المشبهة -مثلا - و ممّن تبنى هذا الرأي الدكتور فاضل السامرائي وهو الأرجح بين الآراء ، لأسباب ، أهمها :

١- جاء في دلالة الاسم والفعل أن : ((الاسم لا يدل بالوضع إلا على الثبوت والدوام ... وَالْفِعْل يدل على التجدد والحدوث ))<sup>(٥)</sup>، فهناك فرق واضح بين قولك: هو يحفظ ، وهو حافظ ؛ فإن اسم الفاعل - حافظ - يدل على ثبوت الوصف لصاحب الفعل ، فقد أثبت الحفظ فعلا وكاملا ، في حين أن ( هو يحفظ ) دلّ على وقوع الفعل من صاحب الفعل شيئا فشيئا من غير أن يتمه بعد<sup>(٦)</sup> ؛ وعليه يدلّ اسم الفاعل على الثبوت واللزوم بالنسبة إلى الفعل .

٢- الأسماء ليست على درجة واحدة من الدلالة على الثبوت ؛ فإن اسم الفاعل يختلف عن المبالغة ، وكلاهما يختلف عن الصفة المشبهة<sup>(٧)</sup> ؛ فقد جاء في الفرق بين الحاذِر والحَذِر : (( وَكَأَنَّ الْحَاذِرَ: الَّذِي يَحْذِرُ الْآنَ. وَكَأَنَّ الْحَذِرَ: الْمَخْلُوقَ حَذِرًا لَا تَلْقَاهُ إِلَّا حَذِرًا ))<sup>(٨)</sup> ؛ فاسم الفاعل بالنسبة إلى الصفة المشبهة يدل على الحدوث و التجدد .

ويصاغ اسم الفاعل من الفعل المبني للمعلوم على أوزان مختلفة بحسب الفعل المشتقة منه نحو : فاعِل من فَعَلَ ، و مُفَعِّل من أَفَعَلَ ، و مُفَاعِل من فَاعَلَ ... ، كجالس من جلس ، و مُسَلِّم من أسلم ، و مُنَاضِل من

(١) ينظر: المقتضب: ١/ ٩٩ ، شرح المفصل لابن يعيش: ١/ ٩٢ .

(٢) ينظر: معاني الأبنية: ٤٦ .

(٣) ينظر: الخصائص: ٣/ ١٠٣ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/ ١٨١ ، التعريفات: ٢٦ .

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ١/ ١٨٦ ، تفسير البحر المحيط: ١/ ٦٩ .

(٥) الكليات: ٨٤ .

(٦) ينظر: دلائل الإعجاز: ١/ ١٧٤ .

(٧) ينظر: معاني الأبنية: ٤٦ .

(٨) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٨٠ .

ناضل ... ؛ فهو يدل على وصف من قام بالفعل – فالمناضل : اسم فاعل يدل على وصف من قام بالنّضال- ؛ وبذلك يحمل دلالة من فعله<sup>(١)</sup>؛ فلو جمعنا بين صيغتين من صيغ اسم الفاعل كـ ( فاعِل و مُفَاعِل ) في استعمال واحد كـ ( حَافِظ و مُحَافِظ ) ؛ لتضمّننا دلالة فعليهما - ( فَعِل و فَاعِل ) - مع دلالة بنيتيهما ؛ فإن لكل بناء معنى يميّزه من الآخر<sup>(٢)</sup>.

ومما جَمع فيه الإمام ( عليه السلام ) بين صيغتين من صيغ اسم الفاعل قوله ( عليه السلام ) وهو يَعِظُ الناس: (( اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةٍ مِصْبَاحٍ وَاعِظْ مُتَعِظًا ))<sup>(٣)</sup>، إذ جمع بين : ( واعِظ و مُتَعِظ ) من الفعل : وَعَظ يَعِظُ فهو واعِظ ، و اتَّعَظ<sup>(٤)</sup> يتَّعَظُ فهو مُتَعِظ ، و ( واعِظ ) على صيغة ( فاعِل ) من الفعل الثلاثي المتعدي ( فَعَلَ ) و دلّ بذلك على من اتصف بالوعظ لغيره إذا نصحه وذكره بالعواقب<sup>(٥)</sup>.

، أما ( مُتَعِظ ) فعلى صيغة ( مُفَعَّل ) من الفعل المزيد اللازم ( افْتَعَلَ ) ويأتي للاتخاذ والتصرف<sup>(٦)</sup> ، ودلّ بذلك على من اتَّخذ الموعظة وعمل بها في نفسه.

وهنا نلاحظ أنه ( عليه السلام ) لو لم يجمع بين الصيغتين لتكامل إحداها دلالة الأخرى ؛ لظنّ أن يكون هذا الواعِظ يَعِظُ الناس ولا يَعْمَلُ بما يَعِظُ ؛ إذ إنّه ليس كل من يقوم بالوعظ و الإرشاد للناس هو عامل بما يعِظُ به ؛ فلا ملازمة بين الأمر بالفعل و العمل به ؛ لذا جاء بما يجمع ذلك ، وفي ذلك تنبيه إلى أن (( من لم يتعظ في نفسه بعيد أن يتعظ به غيره ؛ و ذلك لأن القبول لا يحصل منه ، و الأنفس تكون نافرة عنه و يكون داخلا في حيز قوله تعالى: { اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ } [البقرة: ٤٤] ))<sup>(٧)</sup>.

ونجد في ( واعِظ متعظ ) اجتماع العمل والتنظير ؛ ففي بعض الاحيان ينقل الواعِظ الموعظة من غيره ، لكن عندما ينقل ما عمل به هو ؛ فإن الموعظة تكون أبلغ ، يقال: ما خرج من القلب يدخل القلب ، فالواعِظ المتعظ ينقل ما يؤمن به ، ومن الواضح أن المراد بهذا الواعِظ المتعظ الذي ينبغي الاستصباح منه في كلامه ( عليه السلام ) هو نفسه ( عليه السلام )<sup>(٨)</sup> ، لكن لا يمنع أن نعمم الدلالة إلى كل مرشد وقائد يتصدى لإرشاد الأمة ؛ إن لم يكن واعظا لغيره ومتعظا في نفسه لا يصلح الاقتداء به والأخذ منه ، وهذا يستدعي من طالب الموعظة و الإرشاد التحقيق و التأني بمن يريد الاقتداء به .

(١) ينظر: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي: ٦٩.

(٢) ينظر: معاني الابنية: ٥ - ٨ .

(٣) نهج البلاغة: ١٥٢ .

(٤) حصل قلب و ادغام حيث إن أصل الفعل : ( أوتعظ من وعظ ) قلبت الواو تاء و أدغمت مع تاء ( افتعل ) فأصبح : اتَّعَظ .

(٥) ينظر: لسان العرب ( وعظ ) : ٤٦٦ / ٧ .

(٦) ينظر: شرح الشافية : ١ / ١٠٨ .

(٧) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٦٨ / ٧ . وينظر: منهاج البراعة : ٧ / ٢٤٧ .

(٨) ينظر: نفحات الولاية: ٢٩٥ - ٢٩٦ ، و في ظلال نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ .

ولا يخفى جمال التعبير و دقة الكلام على من يمتلك البصيرة في تلمس الدلالة في قوله ( عليه السلام ) في بيان صفة أهل القرآن ، قال: (( وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ ))<sup>(١)</sup> ، و صاحب ومُصْطَحِب (( الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ . مِنْ ذَلِكَ الصَّاحِبُ ))<sup>(٢)</sup> واصطحب الرجلان، وتصاحباً، بمعنى: صحب بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup> ، و أصحاب فلان، إذا انقاد، وكل شيء لاعم شيئاً فقد اصطحبه<sup>(٤)</sup> ، وفي هذا الجمع دلالات جُمعت ، منها :

١- هناك من يصاحب القرآن و لا يصطحبه ، و أهل القرآن ليس من يحفظ القرآن ويقرؤه فقط ؛ بل العاملون بتعاليمه الملازمون له ؛ إذ ورد في الحديث عن الإمام الحسن ( عليه السلام ) : (( و إن أحق الناس بالقرآن من عمل به و إن لم يحفظه ، و ابعدهم منه من لم يعمل به و إن كان يقرؤه ))<sup>(٥)</sup> .

٢- في هذا الجمع تأكيد أن الصحبة و التلازم ليس من طرف واحد إنما من الطرفين ؛ و بذلك دلالة على موافقة القرآن لهؤلاء ، و موافقة هؤلاء للقرآن على طول الزمان وفي أي مكان كانوا يجتمعهما الحق فهما ( صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ )<sup>(٦)</sup> .

٣- فيه دلالة واضحة على عدم إمكان الفصل بين القرآن وأهله تحت أي ظرف وزمان كان ، وهذا ما دلت عليه صيغة ( افتعل - اصطحب ) ؛ فهي تدلّ على التكلف<sup>(٧)</sup> ؛ و كذا لا يمكن الفصل بينهما فالعمل بالقرآن يلزم الرجوع إلى أهله ، و أهل القرآن هم الأئمة عليهم السلام<sup>(٨)</sup> ؛ فهم عدل القرآن وصنوه ف: (( هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ حَظٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّقْنَيْنِ ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لَا بُدُّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ ، وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ ))<sup>(٩)</sup> .

فقوله ( عليه السلام ) : ( صاحبان مصطحبان ) جاء لتكثيف دلالة شدة الصحبة بينهما وكثرتها ؛ إذ لو وجدت أحدهما تجد الآخر ملازماً له ، والمعنى: أن أحدهما ذائب في الآخر ؛ فصار كل منهما يدل على

(١) نهج البلاغة: ٢٠٤ .

(٢) مقاييس اللغة ( ص ح ب ) : ٣ / ٣٣٥ .

(٣) ينظر: لسان العرب ( صحب ) : ١ / ٥٢٠ .

(٤) ينظر: مقاييس اللغة ( ص ح ب ) : ٣ / ٣٣٥ .

(٥) إرشاد القلوب : ٧٩ .

(٦) ينظر: منهاج البراعة : ٩ / ٦٩ .

(٧) ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: ٨٣ .

(٨) وما يدل على أن المقصود هم الأئمة عليهم السلام قول النبي صلى الله عليه وآله: (( إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله،

وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض )) : وينظر: مسند أحمد: ١٧ / ٢١١، و ينظر: تفسير الصافي : ١ /

٨ .

(٩) نهج البلاغة : ١٨٢ .

صاحبه ؛ لذا عندما سألوا عائشة عن خُلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ فقالت: (( كَانُ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ... ))<sup>(١)</sup> ، و كأن القرآن متجسد في سلوكه (صلى الله عليه وآله) .

و بالتدبر في السياق الذي ورد فيه هذا الجمع<sup>(٢)</sup> ، وهو التحذير من الفتن المستقبلية و انغماس الناس بالذنوب والمعاصي ونسيان القرآن ؛ نجد أن كل هذه الدلالات تصب في تصوير غربة القرآن و أهله ، وابتعاد الناس عنهما و ابعادهما عن الناس ، وهذا البُعد و الإبعاد يطول بعد الإمام علي ( عليه السلام ) ؛ فيتسلط من يحكم بغير تعاليم السماء و يفصل بين القرآن و أهله ؛ وهذا ما ابتليت به الأمة الاسلامية ممن يريد أن يقوِّض بناء الاسلام ؛ لأنه يعلم إنما يكتسب القرآن فاعليته و يؤدي دوره بالقائم به الواعي لأحكامه و مفاهيمه<sup>(٣)</sup> .

## ٢- الجمع بين اسم الفاعل و اسم المفعول:

اسم المفعول يدلّ على الحدث و الحدوث و ذات المفعول كـمقتول و مأسور ، فهو لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف ؛ فإن اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل و اسم المفعول يدل على ذات المفعول<sup>(٤)</sup> ، ويشترك في بعض أوزانه مع الصفة المشبهة في دلالة الثبوت نحو: هو مدور الوجه<sup>(٥)</sup> .

ونلاحظ أن الحدث و الحدوث هو المشترك بين اسم الفاعل – كما تقدم من دلالة لاسم الفاعل - و اسم المفعول غير أن كلاً منهما يدل على ذات مختلفة ؛ فاسم الفاعل يدل على ذات من قام بالحدث ، و اسم المفعول يدل على ذات من وقع عليه الحدث ؛ لذا فالجمع بينهما في استعمال واحد هو تكثيف و حصر للحدث و الحدوث ؛ ففي قول الامام علي ( عليه السلام ) في فضل القرآن الكريم : (( وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدِّقٌ وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ ))<sup>(٦)</sup> جمع بين اسم الفاعل : شافع – صيغة فاعل - ، و اسم المفعول : مُشَفِّعٌ – صيغة مُفَعَّلٌ – وفي هذا الجمع كثف الشفاعة و أثبتتها للقرآن

(١) مسند أحمد: ١٤٨/٤١ .

(٢) قال عليه السلام: (( وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَى حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ، وَ تَنَاسَاهُ، حَفَظْتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ مَنْفِيَانِ طَرِيدَانِ، وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ، وَ مَعَهُمْ، وَ لَيْسَا مَعَهُمْ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنْ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ )): نهج البلاغة: ٢٠٤ .

(٣) ينظر: ثلاثة يشكون شكوى القرآن شكوى المسجد شكوى الإمام: ١٢ .

(٤) ينظر: معاني الابنية: ٥٩ .

(٥) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش : ١ / ١٣٢ .

(٦) نهج البلاغة: ٢٥٢ .

الكريم<sup>(١)</sup> ؛ بل أثبت تمامية الشفاعة للقرآن الكريم ؛ ف ( شافع ) وحدها قد يُظن أنه تردّ شفاعته ويتساوى مع أيّ شافع آخر ، لكن ( شافع مشفع ) يعني: لا ترد شفاعته .

وكذا في كل من ( شافع و مُشَفَّع ) لا بد من أن نتصوّر ذاتا تصدر منها الشفاعة وأخرى تقبل الشفاعة ؛ فالشافع هو ذات القرآن ، و المُشَفَّع من يُشَفَّع عنده فيقبل الشفاعة<sup>(٢)</sup> ، كقولك: محمد مصدّق عندي ، أي: الصدق متحقق عندي من محمد ، قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [البقرة: ٢٥٥] ؛ وهنا في هذا الجمع أعطى صورة متحركة حيّة للقرآن (( و نزله منزلة الشفيع لأنه يمحو السيئات كما يشفع الشفيع ))<sup>(٣)</sup>؛ فحصر دلالة الشفاعة وأثبتها للقرآن ببيان موردها و قبولها ؛ بل وبشكل مبالغ و كثير يتعدى إلى من شَفَّع له القرآن بحيث يمكنه أن يشفع فيه لغيره ، وهذا ما دلّ عليه التضعيف بصيغة ( مُفَعَّل )<sup>(٤)</sup> ، وقوله ( عليه السلام ) : ( وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَّعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَّعَ فِيهِ ) .

### ٣- الجمع بين الفعل و اسم الفاعل:

الاسم بالأصل يدل على الثبوت و الدوام و الفعل يدل على التجدد و الحدوث<sup>(٥)</sup>، و عليه فإن الاسم يدل على الحالة الثابتة و المستمرة ، و الفعل يدل على التجدد والتغير ، والجمع بين الاسم والفعل هو جمع للدالتين نحو قوله تعالى : { سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } [الأعراف: ١٩٣] ، نلاحظ أنه جمع بين الفعل بقوله: ( أدعوتموهم ) ، و الاسم بقوله: ( أنتم صامتون ) ولم يساو بين طرفي التسوية ، فلم يقل: أدعوتموهم أم صمتم ، بالفعلية ، أو: أنتم داعوهم أم أنتم صامتون ، بالاسمية ؛ بل جمع بين الاسمية والفعلية . قال الزمخشري : ((فإن قلت: هلا قيل: أم صمتم؟ ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية؟ قلت: ... إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم))<sup>(٦)</sup> .

وقد وجه الدكتور السامرائي هذا الأمر في عدم التسوية : (( أن الحال الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له . ولو رأيت انسانا يكلم نفسه لتهتمته في عقله ، فالكلام طارئ يحدثه الإنسان لسبب يعرض له ؛ ولذا لم يسوّ بينهما بل جاء للدلالة على الحال الثابتة بالاسم ( صامتون ) وجاء للدلالة على الحال الطارئة بالفعل ( دعوتموهم ) ... ))<sup>(٧)</sup>، وبتعبير آخر: جاء بالفعل و الاسم ؛ ليجمع بين الحالتين:

(١) ينظر: الأمثال والحكم: ٢١٠ .

(٢) ينظر: بهج الصباغة : ١٣ / ٤٠ .

(٣) شرح نهج..(السيد عباس) : ١٤٣/ ٣ .

(٤) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٤٦ / ١ .

(٥) ينظر: الكليات: ٨٤ .

(٦) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٨٨ / ٢ .

(٧) معاني الأبنية في العربية : ١١ .

الثابتة المستمرة ، والطارئة المتغيرة ، لكن لم يبين دلالة الجمع نفسه للحالتين؛ لذا يمكن القول: أن لهذا الجمع دلالة مرادة وهي الحصر لكل حالات الإنسان؛ إذ لو جاء بالفعل في الموضعين ، لقلل إنها حالة طارئة قد تتغير لما يخالفها ، ولو جيء بالاسم في الموضعين لأمكن القول : إنها حالة ثابتة قد يطرأ عليها تغيير ؛ وبالجمع حصر الدلالة .

و من هذا الجمع لاسم الفاعل و فعله ما جاء في كلام للإمام علي ( عليه السلام ) يشير فيه إلى ظلم بني أمية ، إذ قال : (( وَ اللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ ، وَ لَا عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ ، وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبَرٍ<sup>(١)</sup> ، إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ ، وَ نَبَأَ بِهِ سُوءُ رَعِيَّتِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ : بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ ))<sup>(٢)</sup> ، ففي قوله ( عليه السلام ) : ( الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ ) جمع بين اسم الفاعل ( الباكي ) ، وفعله المضارع ( يبكي ) مع أن (( المراد جنسان من الباكي ))<sup>(٣)</sup> ، وقد قيل في تفسير هذين الجنسين من الباكين أنه (( سيبقى ظلم الأمويين قائما و مستمرا حتى يعود الشرفاء من الأمة أحد رجلين ، رجل يبكي لدينه لأنه يرى تعطيل الأحكام و تغييرها و استحلال حرامها أو لأنه لا يقدر على الجهر بما فرض الله عليه من الدين الصحيح و بيان أحكامه و شرائعه... و رجل يبكي لديناه حيث يصيبه الحرمان فيمنع من حقه زكاة أو فيئا أو مغنم فيرى دنياه مسلوقة منه قهرا عنه ))<sup>(٤)</sup> ، وقيل : (( لعل المراد بالباكي لدينه من لم يكن متمكنا من إظهار معالم الدين من القيام بوظائف شرع سيّد المرسلين ، و بالباكي لديناه من كان مصابا بنهب الأموال و مبتلى بسوء الحال ))<sup>(٥)</sup> ، و نجد في هذا الجمع أن كلا من الاسم والفعل يُعضد دلالة الآخر من وجوه:

١- أن الاسم بالنسبة للفعل يدل على الثبوت والاستمرار ، فدل على دوام وجود هذين الجنسين من الباكين ما دام الحكم لبني أمية ، أو ما دام الحكم قائما بالظلم ؛ فأكد الدوام بالثبوت والاستمرار .

ولأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد ؛ دلّ على تلون شخصية هذا الظلم و تنوّع أساليبه ؛ فلكل زمان شخصية و أسلوب خاص به ؛ فالشخصيات أو الجهات الظالمة متعددة ، والأساليب متنوعة .

٢- اسم الفاعل - كما يقول النحاة<sup>(٦)</sup> - يدل على مصدر الفعل ، و حدثه - بالنسبة إلى غيره من الأسماء كالصفة المشبهة<sup>(٧)</sup> - و ذات الفاعل ؛ ف ( باكٍ ) مثلا يدل على ( البكاء ) وهو المصدر ، ويدل على

(١) بيوت المدر: المبنية من طوب و حجر ونحوهما ، وبيوت الوبر: الخيام : ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٢ / ١١٨ .

(٢) نهج البلاغة: ١٤٣

(٣) توضيح نهج البلاغة : ٢ / ١١٩ .

(٤) شرح نهج..(السيد عباس): ٢ / ١٥٢ .

(٥) منهاج البراعة : ٧ / ١٣٦ .

(٦) ينظر: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو : ٢ / ٤١ .

(٧) ينظر: معاني الابنية: ٤٨ .

الحدوث ؛ فالبكاء ليس ملازماً لصاحبه بل هو عارض ، ويدل على ذات الفاعل، أي: صاحب الفعل . أما الفعل فيدل على الحدث وزمانه ، وبحمل دلالة اسم الفاعل مع زمان الفعل ؛ دلّ على أن الفعل تابع بدافع ذاتي ، وهو واقع حقيقة على وجه المبالغة ، يستمر ويَعْمُ باستمرار وجود الفعل ، فقوله ( الباكيان يبكيان ) حقيقة سيبكي ، يعني أن هذين الصنفين من الناس سيبكيان بكاء مُبالغاً فيه ؛ بل قد يتعدى البكاء إلى الفعل المجازي بشتى الوسائل للتخلص من الظلم فلا يجدوا حيلة تنجيهم من وخامة الظلم ؛ (( فالظلمة قد ساموا الناس الظلم في دينهم و دنياهم ))<sup>(١)</sup> .

٣- الفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال ، ومن دلالة اسم الفاعل الزمانية أنه يدل على الحال والاستقبال و الاستمرار<sup>(٢)</sup> ، وبذلك أكد الامام ( عليه السلام ) هذه الدلالة من حين تولي بني أمية الحكم وتأسيسهم للظلم و حَرَف مسار هذه الأمة ، وحتى ما بعد نهاية حكمهم ، حيث تستمر ؛ لأن كل من ينهج نهجهم فهو ظالم مثلهم بأي شكل كان ، وتحت أي مسمى ، شخفاً كان أو مجموعة أشخاص ، منظمة أو جهة أو دولة أو كيانا ، وهذا يوضح حقيقة ونتيجة ، وهي : أن الظلم والظالمين مستمرين في محاربة الدين و عزله عن السلطة ؛ وبذلك يستبدون بالسيطرة على الدنيا فلا يجعلون لأحد منها نصيباً<sup>(٣)</sup> ، فيبكي المقيم فيها لذهاب دينه و دنياه<sup>(٤)</sup> .

وعليه فإن دلالة هذا الجمع بين الاسم والفعل هو جمع لدالتهما ؛ للمبالغة والتأكيد بكل منهما للآخر .

#### ٤- الجمع بين الفعل و المصدر:

الفعل يدل على الزمن المعين – الماضي ، الحال ، الاستقبال - والحدث<sup>(٥)</sup> ، والمصدر يدل على الحدث مجرداً من الزمن<sup>(٦)</sup> أو الزمن المطلق<sup>(٧)</sup> ؛ فإذا جاء الفعل و المصدر في استعمال واحد نعلم أن الحدث قد تأكد و تكرر؛ لذا إن نقطة الاشتراك بالجمع بين الفعل و المصدر هو التركيز على الحدث مما يؤدي إلى تكثيف دلالة الحدث .

(١) نفحات الولاية : ٤ / ٢١٠ .

(٢) ينظر: معاني الابنية: ٥١ - ٥٢ .

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١١٩/٢ .

(٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٨٢ .

(٥) يشير سيبويه إلى ذلك في حديثه عن الفعل بقوله: (( ففيه بيان متى وقع، كما أنّ فيه بيان أنّه قد وقع المصدر، وهو

الحدث )) : الكتاب: ١ / ٣٦ ، و ينظر: الاقتراح في أصول النحو : ٢٩ ، المفتاح في الصرف: ٥٢ .

(٦) وعرفه (ابن جني) (ت: ٣٩٢هـ) بأنه: (( كلُّ اسمٍ دلَّ على حَدَثٍ )) : اللمع في العربية: ١٣١ . ينظر: المفتاح في الصرف:

٥٢ ، معاني النحو ١ / ١٩٣ .

(٧) ينظر: الأصول في النحو: ١ / ١٣٧ .

ففي الجمع بين الفعل و مصدره تركيز للحدث ؛ لتأكيد حقيقة وقوع الفعل رفعا للتوهم <sup>(١)</sup> ؛ فلو تأملنا قوله تعالى: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤] ؛ إذ جمع تعالى بين الفعل ( كَلَّمَ ) و مصدره ( تَكْلِيمًا ) ؛ فلو تفحصنا دلالة الفعل ( كَلَّمَ ) ؛ لوجدناها مركبة من أمرين : أحدهما : الحدث ، وهو ( التَكْلِيم ) ، وثانيهما: الشيء من ( الماضي ) ، ولَمَّا جيء بالمصدر ( تَكْلِيمًا ) ؛ تركزت الدلالة على الحدث ، إنه واقع حقيقة ؛ فصيغة الفعل ( فَعَلَ ) مصدرها ( تَفَعَّلَ ) <sup>(٢)</sup> ، و لو لم يأتِ بمصدر الفعل ؛ لجاز القول: إنه كتب إليه رقعة ، أو بعث إليه ملكا ، أو إشارة ، أو إلهاما <sup>(٣)</sup> ، ولتوهم أن الفعل لم يقع على حقيقته ، في حين أن ورود الفعل ومن ثم جيء بصيغة مصدره رفعت هذا التوهم ؛ لتدل (( عَلَى وَفُوعِ الْفِعْلِ عَلَى حَقِيقَتِهِ )) <sup>(٤)</sup> ، وهو الكلام المسموع بلا واسطة . أما كيفية نسبة الكلام حقيقة إلى الله بلا واسطة فهذا بحث آخر يبحث في كتب العقائد .

ومن بديع هذا الجمع قوله ( عليه السلام ) في بيان حال عباد الله الاتقياء : (( حَمَلُوا ثِقْلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجًا وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا يَعْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدِمَ وَاعْتَرَفَ )) <sup>(٥)</sup> ؛ ففي النص جمع بين الفعل و مصدره في قوله : ( فنشجوا نشيجا ) ، و نشج ينشج نشيجا على مثال فعل يفعل فعيلًا <sup>(٦)</sup> ، وصيغة ( فعيل ) ترتبط بالفعل الثلاثي المجرد اللازم منه والمتعدي ؛ فهي من الصيغ الشائعة في العربية <sup>(٧)</sup> ، و يربط الصرفيون هذه الصيغة بالثلاثي المجرد حينما تدل على الصوت كصهيل ، أو الحركة كرحيل ، أو تدل على ارتباط الصوت بالحركة نحو خريز <sup>(٨)</sup> . و النشيج صوت البكاء الشديد ، أو صوت غصص النفس من شدة البكاء <sup>(٩)</sup> ، يقال: (( نشج الباكي نشيجا وهو الغصص بالبكاء وتردده في الصدر )) <sup>(١٠)</sup> مثل البكاء للصبى إذا ردد صوته في صدره <sup>(١١)</sup> ، فقله ( عليه السلام ) : نشجوا نشيجا (( أي: بكوا بكاء متوجع )) <sup>(١٢)</sup> . وهنا دلّ الجمع بين الفعل وصيغة مصدره على وقوع البكاء منهم فعلا على وجه الحقيقة ؛ فالحدث وقع بأكمل صورة له ، وبالنسبة إلى السياق الذي ورد

(١) ينظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة: ٣٣٤ .

(٢) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٥٨ .

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم لابن القيم: ٤١ ، و إعراب القرآن وبيانه: ٢/٣٨٤ .

(٤) تفسير البحر المحيط: ٤/١٣ ، وينظر: التحرير والتنوير: ٦/٣٨ .

(٥) نهج البلاغة: ٣٤٢ .

(٦) البارع في اللغة: ٦١٢ .

(٧) ينظر: الأصول في النحو: ١/١٠٤ .

(٨) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب - الرضى الأسترابادي: ١/١٥٥ . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤/٢٦١ .

، شذا العرف في فن الصرف: ٥٨ .

(٩) ينظر: لسان العرب (نشج) : ٢/٣٧٧ .

(١٠) أساس البلاغة (نشج) : ٢/٢٦٩ .

(١١) ينظر: لسان العرب (نشج) : ٢/٣٧٧ .

(١٢) منهاج البراعة: ١٤/٢٦٢ .



فيه هذا الجمع - وهو بيان حال العباد الأتقياء - نجد أن صيغة ( فعيل ) ركزت الدلالة على حدث البكاء لكن ليس أي بكاء بل البكاء الصادق ؛ إذ لا يمكن أن يُظن أنه مُفْتَعَل أو أنهم يتباكون ؛ وهذا يكتف الدلالة لبيان صدق لجوء هؤلاء إلى الله وبراءة خلوص نياتهم .

ومن مصاديق هذا النوع من الجمع بين الفعل و مصدره في كلام له ( عليه السلام ) في الطاوس: (( وَ مَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ خَلَقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفًا وَ جَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيْفًا وَ نَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ ))<sup>(١)</sup> نلاحظ الجمع بين الفعل ( يدف ) و مصدره ( دفيفا ) على وزن ( فعيل ) من الفعل : (( دَفَّ يَدْفُ دَفًا وَ دَفِيْفًا ))<sup>(٢)</sup> غير أننا نلاحظ أن للفعل ( دف ) أكثر من صيغة مصدر واحدة ؛ إذ له صيغتان : دَفًا و دَفِيْفًا ؛ لذا يمكن القول: إن اختيار صيغة ( فعيل ) و في هذا السياق هو لدلالاتها على الحركة أكثر من دون غيرها فـ (( الدَّفِيْفُ: أن يَدْفَ الطائرُ على وجه الأرض بتحريكِ جَنَاحَيْهِ، ورجلاه في الأرض، وهو يطير ثم يستَقِلُّ ))<sup>(٣)</sup>، و كَتَّف الدلالة هنا ؛ لبيان أن الطاوس يظهر أكثر حيوية وحركة ، وقد يتصور المتلقي المشهد تصورًا أزيد مما لو كان في صيغة ( دف ) .

#### ٥- الجمع بين المصدر الصناعي و الصفة المشبهة:

المصدر الصناعي هو أن يُزاد على اللفظة ياء مشددة وتاء التأنيث، كالثقافية ، و الفروسيّة ، والحريّة ... وما سواها<sup>(٤)</sup> من المفاهيم الكلية المنتزعة الخالية من الذات و المتضمنة الحدث فقط<sup>(٥)</sup> الدالة على حقيقة ما ؛ فالإنسان يدل على الحيوان الناطق ، لكن الإنسانية تدل على تلك الخصائص و الصفات التي تجعل منه إنسانا ؛ فكأنه قيل: خصائص و صفات تنسب إلى الإنسان<sup>(٦)</sup> ، وقد ذكر الفراء بعض أوزانه و أشار إلى أنه قياسي ؛ إذ قال: (( فما جاءك من مصدر لاسم موضوع، فلك فيه: الفُعولة، والفُعوليّة، وأن تجعله منسوبًا على صورة الاسم، من ذلك أن تقول: عبد بين العبوديّة، والعبودية والعبديّة ، فقس على هذا ))<sup>(٧)</sup> ، إلا أن ابن درستويه ميّز بين أوزانه ، موضحا صياغته و غايته ؛ (( فالعبوديّة الطاعة والرّق والخدمة وليست العبوديّة بفُعولة... ولكنها فعوليّة، وهي منسوبة إلى العبودة بياء النسب، كما قيل في الرّب عز وجل: الربوبيّة؛ فنسبت بالياء إلى المصدر، الذي هو فعول أو فعولة. وأنتثت العبوديّة والربوبيّة ؛ للمبالغة

(١) نهج البلاغة: ٢٣٥ .

(٢) المخصص: ١٨٤ / ٢ .

(٣) العين: ١١ / ٨ .

(٤) ينظر: شذا العرف في فن الصرف : ٦١ .

(٥) يطلق الأصوليون عليها اسم ( المصادر المنحوتة ) التي يمكن أن تؤخذ من كثير من المشتقات كـ ( عالم : عالميّة ) وهو معنى خالٍ من الذات يتصف بالحدث ، مجال وجوده الذهن : ينظر: المشتق عند الاصوليين : ٤٥٩ / ٢ .

(٦) ينظر: التبيان في تصريف الاسماء: ٥١ .

(٧) معاني القرآن للفراء : ١٣٧ / ٣ .

والتوكيد في المعنى، وكما قيل في الديمومة: الديمومية<sup>(١)</sup>؛ للتوكيد والمبالغة في معنى الديمومة فدلالة المصدر الصناعي هي المبالغة و التوكيد والزيادة للمعنى .

أما الصفة المشبهة فقد سميت صفة مشبهة ؛ لشبهها باسم الفاعل<sup>(٢)</sup> ، وهي اسم يصاغ من الفعل اللازم للدلالة على معنى اسم الفاعل مع الثبات و اللزوم<sup>(٣)</sup> ؛ فهي تدل على أن الصفة ثبتت في صاحبها على وجه الدوام نحو : جميل و أبيض و ضخم ...<sup>(٤)</sup>، وتفيد نسبة الحدث إلى الموصوف بها من دون إفادة معنى الحدث<sup>(٥)</sup>، وأوزانها الغالبة فيها اثنا عشر وزناً أشهرها : أفعل الذي مؤنثه فعلاء، كأحمر وحمراء ، وفعلان فعلى كعطشان و عَطَشَى ، وفعيل كبخيل وكريم ... وما سواها<sup>(٦)</sup> ، غير أن أوزانها تتفاوت في دلالة نسبة الثبوت و البقاء للموصوف (( فمنها ما يحصل ويُسرَع زواله كالفرح والطرب ، ومنها ما هو موضوع على البقاء والثبوت، وهو دائر بين الألوان، والعيوب، والحلى، كالحمرة، والسُمرة والحُمق والعمى والغَيْد والهَيْف، ومنها ما هو في أمور تحصل وتزول لكنها بطيئة الزوال، كالرّي والعَطَش، والجوع والشَّيع ))<sup>(٧)</sup>.

فالجمع بين المصدر الصناعي و الصفة المشبهة هو تكثيف لنسبة الحدث على وجه مبالغ مؤكّد ، و حسبك في براعة هذا الجمع قول الامام علي ( عليه السلام ) في خطبة يذكر فيها حال الناس قبل الاسلام ؛ إذ قال ( عليه السلام ) : (( قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَ اسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ وَ اسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ ))<sup>(٨)</sup> والجاهلية مصدر صناعي تحمل معنى : الجهل ؛ بل كلّ الخصائص و الصفات التي تنسب للجهل ، والجهلاء صفة مشبهة على صيغة ( فعلاء ) مثل: أحمر حمراء ، وأعمى عمياء ، (( و الغالبُ على هذا البناء أن يكون مؤنثٌ ( أفعل ) ، وبأبه الألوان و العيوب الثابتة بأصل الخِلقَة ))<sup>(٩)</sup>؛ فقله : ( الجاهلية الجهلاء ) اكد الأول بما اشتق من اسمه<sup>(١٠)</sup> ؛ ف (( الجاهلية صفة لأقوام ما قبل الرسالة، حيث كان الناس

(١) تصحيح الفصيح وشرحه : ٢٠٧ .

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش : ١٠٦ / ٤ .

(٣) ينظر: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف : ٧٦ .

(٤) ينظر: معاني الأبنية: ٧٤ .

(٥) ينظر: تعجيل الندى بشرح قطر الندى : ٢٣٧، النحو المصفى: ٦٧٠ .

(٦) ينظر: شذا العرف في فن الصرف : ٦٤ ، جامع الدروس العربية : ١ / ١٨٦ .

(٧) شذا العرف في فن الصرف: ٦٥ .

(٨) نهج البلاغة: ١٤٠ .

(٩) شرح المفصل لابن يعيش : ٣ / ٣٩٠ .

(١٠) ينظر: حدائق الحقائق: ١ / ٤٨٣ .

يغوطون في بحار الجهل و الآثام، و الجهلاء مبالغة في وصفها بالجهل ((<sup>(١)</sup>) و المعنى: كان الناس بمنتهى الجهالة<sup>(٢)</sup> .

ولو توقفنا عند المقام الذي ورد فيه هذا التعبير ؛ لوجدنا للجمع دلالات أخرى ؛ فالسياق ينبئ عن بيان حال الناس ما قبل الاسلام ، ويصوّر شقاءهم من اتباع الهوى ، والافتتان ، و التكبر ... و غيرها من الرذائل التي فتكت بالمجتمع آنذاك ، و ما يجمع هذه الرذائل في المجتمع هو الجهل ؛ فكأن الامام ( عليه السلام ) أراد أن يكتّف معنى الجهل ليدلّ على أن عامل يؤسهم يكمن في الجهل<sup>(٣)</sup> ؛ فالجهل في المجتمع هو الأرضية المناسبة لكل الرذائل و التسافل و الانحطاط ؛ لذا عبّر الامام ( عليه السلام ) بقوله : ( و استخفّتهم ) ؛ إذ جاء في تفسير قوله تعالى: { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ } [الزخرف: ٥٤] (( أي : طلب منهم الخفة في مطاوعته على أن السنين للطلب على حقيقتها، ومعنى الخفة السرعة لإجابته ومتابعته ))<sup>(٤)</sup>، فهم لم يعطوا لعقولهم وزنا ، و كذا الجهلة من الناس فإن الجهل يسوقهم بشكل سريع إلى المهالك والمضار .

## ٦- الجمع بين الصفة المشبهة و اسم المفعول:

تقدّم أن اسم المفعول يدلّ على الثبوت ، ويشترك في ذلك مع الصفة المشبهة ؛ إلا أن اسم المفعول (( يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل ، وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة ))<sup>(٥)</sup>؛ فالجمع بينهما – الصفة المشبهة و اسم المفعول – هو جمع لدلالة الثبوت والحدوث كما في قوله ( عليه السلام ) وهو يتحدث عن صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) : (( فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُون ))<sup>(٦)</sup>؛ إذ جاء في دلالة هذا الجمع هو التأكيد لاتصاف النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالأمانة قبل البعثة وبعدها<sup>(٧)</sup>؛ غير أن هناك جنبه ثانية لهذا التأكيد ؛ فصيغة الصفة المشبهة ( فعيل : أمين ) دلّت على ثبوت اتصاف النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالأمانة ، وقد يكون هذا ادعاء ادعاه المتكلم ؛ فجاء بصيغة اسم المفعول ( مفعول: مأمون ) لتدلّ على ثبوت هذه الصفة بالحدوث و تمثلت بأداء الرسالة الإلهية على أكمل وجه .

(١) توضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٠٦ .

(٢) ينظر: بهج الصباغة: ٢ / ١٩٥ .

(٣) ينظر: نفحات الولاية: ٤ / ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) روح المعاني: ١٣ / ٩٠ .

(٥) معاني الانبية: ٥٩ .

(٦) نهج البلاغة: ١٥٣ .

(٧) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم) : ٢ / ٢٠٠ ، وينظر: الدرّة النجفية: ١١٦ .

## ثانياً: زيادة المبنى تُكثف الدلالة

اتفق اللغويون على أنّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وفي هذا يقول ابن جني: (( إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء؛ أوجبت القسمة له زيادة المعنى به ))<sup>(١)</sup>، وما يقصد بالزيادة في المبنى (( إضافة بعض الحروف إلى أصول الكلمة، يؤتى بها لتأدية غرض معين بنقل الكلمة المزيدة فيها من معنى إلى آخر ))<sup>(٢)</sup>، وهي حاصلة في الأسماء والأفعال، وتكون كالجاء من بنائها<sup>(٣)</sup>؛ فالزيادة في المبنى تفترض وجود طرفين: طرف أصلي مجرد، وطرف مزيد انحرف عن الأصل بالزيادة في بنيته أدت الزيادة فيه دلالة إضافية بمقارنتها مع دلالة الأصل، يقول رضي الدين الاسترلابادي: (( أقول: اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لا بد لزيادته من معنى؛ لأنها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا لمعنى كانت عبثاً ))<sup>(٤)</sup>، وتحقق هذه الزيادة في المبنى للكلمات بتضعيف أحد حروف الكلمة الأصول، وزيادة بأحرف الزيادة، وهي عشرة حروف جمعها الصرفيون بكلمة (سألتمونيها)<sup>(٥)</sup>، تؤدي معاني معينة بإضافتها إلى صيغة (فعل) المجردة.

و هذه الزيادة في المبنى تقويّ المعنى وتبالغ فيه؛ فقولك: استيأس، أقوى من (يئس) كما في قوله تعالى: { فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا } [يوسف: ٨٠] قال تعالى: استيأسوا، ولم يقل: يئسوا؛ (( فاستفعل بمعنى: فعل... إن السين والتاء زائدتان للمبالغة أي: يئسوا يأساً كاملاً ))<sup>(٦)</sup>؛ فقولنا: رجل جميل، لا يدل على المبالغة في جماله؛ لكن إن أردنا المبالغة قلنا: رجل جُمّال.

غير أنه ليس كلّ زيادة في المبنى تُكثف الدلالة باستعمالها - نعم، تزيد في المعنى وتبالغ فيه -؛ إذ إن ما يجعل من الزيادة في المبنى صورة من صور التكتيف الدلالي هو: السياق؛ حين يُبرز الصيغة الزائدة في مبناها ويعتمد عليها؛ وذلك بالدفع باتجاه معنى زيادتها، ومنه ما جاء في (الخصائص) في (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى)، قال ابن جني: (( وعليه -عندي- قول الله -عز وجل: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦]، وتأويل ذلك أن كسب الحسنة فضلاً عن اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر؛ وذلك لقوله -عز اسمه: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} [الأنعام: ١٦٠]؛ أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها، صغر الواحد إلى العشرة، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل

(١) الخصائص: ٢٧١ / ٣.

(٢) الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة: ١٤١.

(٣) ينظر: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر: ٩٩.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب - رضي الاسترلابادي: ٨٣ / ١.

(٥) ينظر: الشافية في علمي التصريف والخط: ٨١.

(٦) روح المعاني: ٣٣ / ٧.

الحسنة ((<sup>(١)</sup>) ؛ وهذا العلم ناتج من دلالة زيادة مبنى الفعل ( اكتسب ) ، وإبراز السياق لهذه الزيادة ؛ بورود الفعل المجرد ( كسبت ) و اقترانها بحرف الجرّ ( على ) ، مع الاستفادة من السياق العام – وهو الحديث عن الثواب والعقاب – وما يتصل به من آيات أخرى ؛ كل ذلك أنتج هذا التركيز من السياق للفعل المزيد ؛ مما جعل استعماله تكثفاً للدلالة .

وعليه فإن ما يجعل من الزيادة في المبنى تكثفاً للدلالة هو إبراز السياق لها و اعتماده عليها ؛ إذ ليس في كل زيادة في مبنى يمكن حصول التكثيف للدلالة فيها ، نعم ، يحصل زيادة في المعنى ، وهذا وارد – حسب القاعدة – ؛ لذا سنقتصر في إيراد الأمثلة من نهج البلاغة على صور التي نلمس فيها التكثيف للدلالة باستعمال الصيغة المزيدة .

### ١- تكثيف الدلالة باستعمال أبنية الأفعال المزيدة :

الزيادة على أصول الفعل تبدأ بحرف وتنتهي بثلاثة أحرف ؛ لأن أقصى ما يصل إليه الفعل بالزيادة ستة أحرف .

#### - زيادة الهمزة في ( أفعل ) :

للفعل المزيد بالهمزة (أفعل) دلالات على معان عدة أشهرها التعدية - ومنها الدلالة على الصيرورة والتمكن و الجعل و الدخول في الشيء زماناً أو مكاناً أو حكماً وما سواها من الدلالات<sup>(١)</sup> - ، ويقصد بالتعدية تحويل الفعل اللازم إلى متعدٍ (( وهي أن يجعل ما كان فاعلاً لللازم مفعولاً لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان، فمعنى " أذهبت زيدا " جعل زيدا ذاهباً، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة فاعل للذهاب كما كان في دَهَبَ زيد ((<sup>(٢)</sup>)، ويفهم من هذا الكلام : أن تعدية الفعل بالهمزة تختلف عن تعدية الفعل بأصل الوضع ؛ وذلك أن المفعول به للفعل المتعدي بالهمزة هو الفاعل الحقيقي للحدث ؛ فالفعل ( أذهبت زيدا ) فاعله هو: زيد ، كما في الفعل اللازم ( ذهب زيد )<sup>(٤)</sup> .

وعلى هذا فإن في إسناد الفعل إلى فاعل آخر – قد يكون من قام بالفعل من دون وقوعه - وجعل الفاعل الحقيقي – من وقع منه الفعل – مفعولاً به ، أو العكس ؛ دلالة تكثف في بعض السياقات وتُحدد حسب إسناد الفعل إلى أي من الفاعلين ؛ ففي قوله تعالى: { فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ } [مريم: ٢٣] نجد أن الضمير ( الهاء ) الواقع مفعولاً به هو الفاعل الذي وقع منه فعل المجيء ؛ تقول: جاءت مريم

(١) الخصائص : ٢٦٨ / ٣ .

(٢) ينظر: أبنية الافعال دراسة لغوية قرآنية: ٣١ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأسترابادي : ٨٦ / ١ .

(٤) ينظر: أبنية الافعال دراسة لغوية قرآنية: ٣١ .

إلى جذع النخلة ، أما المخاض – وهو الفاعل في النص – فهو فاعل آخر لفعل المجيء أسند إليه الفعل ؛ لكونه دافعا لوقوع المجيء من مريم ، والمعنى: (( ف جاء بها المخاض إلى جذع النخلة ))<sup>(١)</sup>، وهنا جمع الفعل بين فاعلين – إن صح التعبير - : فاعل وقع منه الفعل – ضمير الهاء: مريم عليها السلام - ، وفاعل – المخاض – قام بالفعل من دون وقوعه ؛ وبإسناد الفعل إلى المخاض من دون مريم عليها السلام دلّ على أن الفاعل الحقيقي لم يقم بالفعل مختارا ؛ وإنما اضطرارا بتأثير قوة خارجة عن إرادته ، وهي الفاعل الجديد في النص<sup>(٢)</sup>، وفي هذا التكتيف للدلالة تركيز على أن ما حصل لمريم عليها السلام في جميع قصتها هو تخطيط إلهي خارج عن إرادتها .

ومن هذا النحو قوله ( عليه السلام ) في كتاب أرسله إلى معاوية : (( وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا ، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى جِبْنَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ))<sup>(٣)</sup>؛ فالفعل ( أدخل ) فعل لازم قبل دخول الهمة ، يقال: دخل العرب في الدين أفواجا ؛ ففاعل وقوع فعل الدخول هو : العرب ، لكن بزيادة الهمة صار مفعولا به ، وأسند الفعل إلى فاعل آخر ، وهو فاعل الجعل - لفظ الجلالة ( أدخل الله العرب ... ) – أي: جعلهم الله داخلين في الدين ، وفي هذه الزيادة ملاءمة للسياق وتكتيفا للدلالة ؛ وذلك:

١- في النص إشارة إلى قوله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } [النصر: ١ ، ٢]<sup>(٤)</sup> بقرينة : ( لَمَّا ) الظرفية ، و ( أفواجا ) ؛ فالفعل ( أدخل ) يحمل دلالة زمانية تنحصر بيوم الفتح ومن أدخله الله في الدين في ذلك اليوم .

٢- تعدية الفعل ( أدخل ) إلى من وقع منه فعل الدخول فعلا – العرب - وجعله مفعولا به يدل على وقوع الفعل بغير اختيار ؛ إذ إن الدافع لدخول العرب في الدين يوم الفتح هو شيء آخر اضطرهم للدخول ، وهذا مناسب لما عُرف عن العرب من عناد ؛ فالعرب لهم وضع خاص احتاج إلى إرادة خارجية تُدخلهم .

٣- دخول العرب في دين الله و بإرادته جعلهم مسلمين ؛ لذا قال ( عليه السلام ) بعد هذا الدخول : ( وَ أَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا ) ( أي: صار الجميع تحت خيمة الإسلام ؛ وعطف ( أسلم ) على ( أدخل ) ؛ (( فمنهم من دخل عن إيمان وقناعة ، و منهم من دخل كرها عنه لما رأى قوة الإسلام و اندفاع المسلمين و ما يتمتعون به من مقدرة و فتوحات ))<sup>(٥)</sup>؛ وفي عطف ( أسلم ) على ( أدخل ) من دون ( دخل

(١) معاني القرآن للفراء : ١٩ / ١ ، و الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة: ١٨٤ .

(٢) ينظر: أبنية الافعال دراسة لغوية قرآنية: ٣٢ ، وينظر: في ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٠٦ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٧٤ .

(٤) ينظر: منهاج البراعة : ١٨ / ٢٨٠ .

(٥) شرح نهج..(السيدعباس): ٤ / ١٨٤ .

( ، وتأخر ( دخل ) عن ( أسلم ) ؛ يتبين أن هناك فرقا بين من أدخله الله ، وبين من ( دخل ) بإرادته فلا تُعرف نية دخوله ، فمن أدخله الله مقبول الإسلام ولو بأدنى درجاته ، أما من دخل بعد ذلك فكأنه غير مقبول وفي دخوله نقص ؛ قال ( عليه السلام ) : ( كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً ) .

وفي كل هذه المعاني نلاحظ أنها ارتكزت على هذه الزيادة للفعل ؛ لتكثف الدلالة إلى تذكير المخاطب – معاوية ؛ فالكتاب المرسل ردّا على كتاب سابق لمعاوية - أن دخول بني أمية تشوبه الشوائب ، وهو محصور بهذا النوع من الدخول في دين الله – رغبة أو رهبة – وفي ذلك الزمان القاهر لهم ؛ والدليل : أنك يا معاوية إلى الآن لم تسلم حقيقة ، ولو كنت قد أسلمت حقا لأطعت إمام الإسلام وخليفة الرسول (صلى الله عليه وآله) .

ومن لطيف ذلك قوله ( عليه السلام ) في كتاب أرسله إلى بعض عماله : (( فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنْتَنِي اللَّهُ مِنْكَ ، لِأَعْزِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ ))<sup>(١)</sup> ، قال: أمكنني ، ولم يقل: مكنني أو تمكنت أو غيرها من صيغ تؤدي معنى التمكين ؛ بل جاء مستعملا صيغة ( أمكن ) على وزن ( أفعل ) الدال على الاستعانة و التمكين ، نحو قولنا: أحفرته النهر: أي: أعنته ومكنته على حفره<sup>(٢)</sup> ، فضلا عن المعنى المعجمي للفعل ( أمكن ) ؛ وفي ذلك تركيز على الاستعانة بالله و التمكّن به عزوجل حصرا ؛ ليدلّ على أحقية مبدئه ( عليه السلام ) وتمثيله للحق ؛ فالله عزوجل لا يعين إلا في الحق ، وكذا فيها ترهيب وتخويف للمتلقي<sup>(٣)</sup> .

#### - الزيادة بتضعيف العين في ( فَعَلَّ ):

ويكون هذا البناء للثلاثي المزيد بتضعيف العين ، وله دلالات يشارك في بعضها مع الأبنية الأخرى كالتعدية والإزالة ، وينفرد في بعضها الآخر كالتكثير والصورورة و نسبة الشيء إلى أصل الفعل<sup>(٤)</sup> ، لكن من هذا التضعيف للعين شاع استعماله للدلالة على الكثرة ، يقول ابن جني: (( جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كَسَّرَ وَقَطَّعَ وَفَنَّحَ وَغَلَّقَ ))<sup>(٥)</sup> ، ويرى آخرون أن دلالة التكثير تكون (( في الفعل، كجَوْل، وطَوَّف: أكثر الجَوْلان والطَّوفان، أو في المفعول، كغَلَّقَتِ الأبواب، أو في الفاعل، كموثَّتِ الإبلُ وبرَّكَتْ ))<sup>(٦)</sup>؛ وعلى هذا جاء في روح المعاني للألوسي ، وفي بيان قوله تعالى: { وَغَلَّقَتِ

(١) نهج البلاغة: ٤١٢

(٢) ينظر: شذا العرف في فن الصرف : ٣٠ .

(٣) ينظر: رسائل الامام علي ( عليه السلام ) دراسة لغوية: ١٢٩ .

(٤) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٣١ .

(٥) الخصائص : ١٥٧ / ٢ .

(٦) ينظر: الكتاب لسبويه : ٦٤ / ٤ ، وينظر: شذا العرف في فن الصرف : ٣١ ، و أيضا: جامع الدروس العربية : ٢١٩ / ١ .

الأبواب { [يوسف: ٢٣] } )) وتشديد الفعل للتكثير في المفعول إن قلنا: إن الأبواب كانت سبعة كما قيل، فإن لم نقل به فهو لتكثير الفعل فكأنه غلق مرة بعد مرة أو بمغلاق بعد مغلاق))<sup>(١)</sup>.

ومن موارد ذلك في نهج البلاغة ما يستحق التعمق و التأمل لاستجلاء الدلالة المكثفة فيه ، كما جاء قوله ( عليه السلام ) في خطبة طويلة يذكر فيها مراحل خلق الخلق : (( وَ غَرَزَ غَرَايَها ))<sup>(٢)</sup> ؛ فغرز على وزن ( فَعَلَ ) تضمن هذا التضعيف معنى الجعل و معنى التكثير ، قال ابن ابي الحديد : (( و الغريزة: الطبيعة ، و جمعها: غرائز ، و قوله: غرزها أي: جعلها غرائز... و يجوز أن يكون من غرزت الإبرة بمعنى : غرست ))<sup>(٣)</sup> أي : أثبت وركز لكلّ جنس طبائع تميّزه من غيره <sup>(٤)</sup>، وفي ذلك (( إشارة إلى ركز القوى الجسمانيّة و النفسانيّة في ذوي القوى ، و خلق كلّ ذي طبيعة على خلقه ، و مقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه و خواصّه ))<sup>(٥)</sup>، وقد ذهب الشيخ الشيرازي إلى أعمق من ذلك ؛ إذ يرى أن قوله عليه السلام: ( غرز غرائزها ) ، أي: أثبت وركز ما يسمى اليوم بالدافع الذاتي مميّزا في ذلك الطبيعة من الغريزة ؛ إذ قال : (( وهذا في الحقيقة من الحكمة الالهية البالغة التي أودعت كل موجود صورته الطبيعية المنبعثة منه من دون الحاجة إلى محرك خارجي ، ولولا الدوافع الذاتية لهذه الموجودات لانقطعت استمرارية الاشياء ولسادها الاضطراب و الفوضى . وهناك اليوم تعبيران مختلفان بشأن هذه الدوافع الذاتية في الانسان أو سائر الموجودات فأحيانا يطلق عليها الفطرة ... و أحيانا أخرى يعبر عنها بالغريزة ... أحدهما بشأن الدوافع التي تنسم بالبعد الفكري ( الفطرة ) ، و الآخر بخصوص تلك التي ليس لها بُعد فكري أو لها بُعد عاطفي ( الغريزة ))<sup>(٦)</sup>.

ومما تقدم يمكن أن نذهب إلى أعمق من ذلك ؛ ف ( غرز ) تدلّ على المبالغة في الغرز ؛ يقال: (( غرز الإبرة في الشيء غرزا، و غرّزها: أدخلها ))<sup>(٧)</sup> وركزها و أثبتها<sup>(٨)</sup>؛ و ( غرز غرائزها ) زيادة في المبالغة ، بمعنى: وصل بالغرز إلى أعمق و أدق شيء يمكن الوصول إليه ، ولعل في ذلك إشارة منه ( عليه السلام ) إلى ما يعرف اليوم بـ ( الجينة الوراثية ) ، أو ما يرمز له بـ ( DNA ) ؛ إذ دلّت الاكتشافات العلمية أنه يوجد في داخل النواة التي تستقر في خلية الكائن الحي ما يعرف بـ ( الكروموسومات ) ، وهذه الكروموسومات تتكون من المادة الوراثية – الجينة الوراثية – والتي هي مسؤولة عن تحديد الصفات و

(١) روح المعاني : ٤٠٣ / ٦ .

(٢) نهج البلاغة: ٤٠ .

(٣) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١ / ٨١ .

(٤) ينظر: بهج الصباغة: ١ / ١٦٥ ، واختيار مصباح السالكين: ٦٥ .

(٥) الدرّة النجفية : ٢٢ .

(٦) نفحات الولاية: ١ / ٧١-٧٢ .

(٧) المحكم والمحيط الأعظم ( غرز ) : ٥ / ٤٤١ .

(٨) ينظر: تاج العروس ( غرز ) : ١٥ / ٢٥٣ .



الطبائع... وما إلى ذلك<sup>(١)</sup> ؛ ففي الإنسان وصلت (( التحقيقات العلمية الدقيقة ... أن الطفل كما يرث الصفات الجسمية والعقلية يرث أيضاً الخصائص الأخلاقية التي تعمل كترية مساعدة لسلوك الطفل بعد خروجه إلى البيئة الخارجية؛ فإما أن تعمل التربية على إظهار تلك الصفات الكامنة أو إخفائها<sup>(٢)</sup>، وخير دليل على ذلك ؛ أن بعض الحيوانات تولد وهي فاقدة لأبويها ، أو بيوض تقذفها الأسماك في البحار و تشق حياتها بشكل منفرد من غير تعلم أو تقليد ، فمن غرّز لها غرائزها؟! .

### - زيادة الألف و التاء في ( افتعل ) :

من أبنية الأفعال الثلاثية المزيدة بهمزة الوصل و التاء ، يأتي للدلالة على المطاوعة ، و اتخاذ ، و المشاركة ، و تمكّن اللّون و استمراره<sup>(٣)</sup>، وكذا فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والطلب والتمهّل والمدّة والاجتهاد والإبطاء في تحصيل الفعل<sup>(٤)</sup> ؛ كما في قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] ؛ إذ خص الله الخير بـ ( الكسب ) ، وخص الشرّ بـ ( الاكتساب ) ؛ لأن ( كسب ) بمعنى: أصاب، و ( اكتسب ) هو التصرف والطلب والاجتهاد مع المبالغة<sup>(٥)</sup> ؛ فالنفس أمارة بالسوء تسعى بشكل جاهد ومبالغ فيه لما تشتهييه و تنجذب له من معاصٍ فهي في ذلك أعمل و أجد<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى : {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل: ١٠] ، وقال في آية أخرى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢] ؛ فاستعمل في الأولى ( اصبر ) ، وفي الثانية ( اصطبر ) ؛ وذلك (( لأن الصلاة هي كل يوم خمس مرات كل يوم ولا تنقطع طوال العمر. أما ( اصبر ) على ما يقولون واهجرهم فلا يحتاج لصبر ؛ لكن قال: (واصطبر عليها) ؛ لأن الصلاة تحتاج لصبر طويل ودائم<sup>(٧)</sup>؛ فهي تستمر على طول مدّة عمر الانسان ؛ لذا تحتاج إلى صبر مستمر معها ، وبذلك لا تبعد دلالة الطلب و المبالغة في إجهاد النفس ؛ لتحصيل هذا الصبر بهذه المواصفات .

وما أدقّ الاستعمال لبناء ( افتعل ) في كتاب له ( عليه السلام ) إلى عامله بمكة يخبره فيه : (( وَجَّهْ إِلَى الْمَوْسِمِ أَنْاسُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمِّيِّ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ الْكُمِّهِ الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالَّذِينَ وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ ))<sup>(٨)</sup> ؛ فقوله ( عليه السلام ) : ( وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالَّذِينَ ) جاء بالفعل المضارع ( يحتلبون ) ، من :

(١) ينظر: البصمة الوراثية: ١٠ ، و علم نفس النمو : ١ / ٧٤ .

(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ١ : ٥١ / ٢٨٧ .

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه : ٤ / ٧٤ ، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: ٨٢ .

(٤) ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ١٧٣ .

(٥) ينظر: الكتاب لسيبويه : ٤ / ٧٤ .

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١ / ٣٣٢ .

(٧) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٢١٠ .

(٨) نهج البلاغة: ٤٠٦ .

احتلب يحتلب ، على زنة: افتعل يفتعل ، من الحلب (( مصدر حَلَبَ الناقةَ يَحْلُبُها حلباً ))<sup>(١)</sup> أي: استخراج ما في ضرعها من لبن<sup>(٢)</sup>، و ( الدر ) هو ما يحلب ؛ بل أفضل ما يُحتلب<sup>(٣)</sup>.

واستعمال ( يحتلبون ) بدلا من ( يحلبون ) في هذا السياق ؛ متأت مما تتمتع به هذه البنية المزيدة – يفتعل – من دلالات من دون ( يفعل ) ؛ فبدالاتها على الاجتهاد والطلب و السعي المبالغ فيه في تحصيل الفعل دلّ الفعل ( يحتلبون ) على شدة طمعهم و استخلاصهم لخير الدنيا ؛ ف ( الحلب ) هو أخذ خير الدنيا بالوقت والحال المناسبين ، أما ( يحتلب ) ففيه تكلف ؛ إذ دفعهم هذا الطمع إلى التعدي على الدين وجعله غطاء لهم في تحصيل أطماعهم ، والزيادة في هذا الفعل لا تدلّ فقط على الزيادة في الجهد والطلب ؛ بل هناك جهد ثانٍ ، وهو التفكير بالدنيا ؛ لتحصيل ما يدرّ لهم منها ، وما يدعم هذا الفهم البديل بين الدنيا والدرّ ، قال ( عليه السلام ) : ( يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالَّذِينَ ) ، ولم يقل – مثلا - : يحتلبون الدنيا بالدين أو يحتلبون درّها بالدين .

ولا تخلو هذه الصيغة – يحتلبون - من دلالتها الزمنية في هذا السياق ؛ إذ جاءت بصيغة المضارع ؛ فمن اتّخذ الدين غطاء له في تحصيل مطامعه غالبا ما يُكسبه الدين الشرعية أمام الناس فيستمر في فعله وقتا أطول ، وفي كل ذلك تكثيف إلى خطورة هذا الأمر وصعوبة الكشف عنه ؛ لذا حين أوصى عامله ( عليه السلام ) في نهاية النص بكيفية التعامل معهم ؛ قال ( عليه السلام ) : (( فَأَقِمَّ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ وَ النَّاصِحِ اللَّيِّبِ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ ))<sup>(٤)</sup> ، ومعنى ( قيام الحازم الصَّلِيبِ ) : استمر في عملك ؛ لكن بشكل قوي و شديد ، وكن حذرا مستعدا لكل ما يحصل ، و ( الناصح العاقل ) أي : من يتحرى الحق بعد التدبر بالأمر<sup>(٥)</sup> ؛ فهؤلاء لهم صبغة تتطلب التعامل معهم بهذا الشكل ؛ إذ جعلوا الدين وسيلة لانتهاز الدنيا<sup>(٦)</sup>.

#### - زيادة الألف و السين والتاء في ( استفعل ) :

وهو من الأفعال الثلاثية المزيدة ، ويستعمل غالبا في ستة معانٍ : الطلب حقيقة أو مجازا ، الصيرورة حقيقة أو مجازا ، اعتقاد صفة الشيء ، اختصار الحكاية في الشيء ، و المصادفة ، ومن أكثرها استعمالا الدلالة على الطلب الحقيقي بمعنى: إرادة الفاعل تحصيل الحدث من المفعول حقيقة<sup>(٧)</sup> وعلى

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( حلب ) : ١١٤ / ١ .

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ( حلب ) : ٥٤٢ / ١ .

(٣) ينظر: تاج العروس ( حلب ) : ٢٧٩ / ١١ .

(٤) نهج البلاغة: ٤٠٦ .

(٥) ينظر: شرح نهج .. ( السيد عباس ) : ٤ / ٤٢٣ .

(٦) ينظر: منهاج البراعة : ٢٠ / ٥٠ .

(٧) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٣٥ .

وجه المبالغة والشدة و الكثرة<sup>(١)</sup> ؛ فالزيادة لهذه الدلالة (( تكون كالمقدمة لها، والمؤدية إليها ... فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام... وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأتي لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الإجابة إليه فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه ؛ فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة))<sup>(٢)</sup>.

وقد استعملت في نهج البلاغة هذه الصيغة للدلالة على الطلب الحقيقي بشدة وكثرة ومبالغة ؛ إذ قال (عليه السلام) في التَّظَلُّمِ وَالتَّشْكِيِّ مِنَ قَرِيْشٍ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيْشٍ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجْمِي وَ أَكْفَنُوا إِنَائِي ، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ))<sup>(٣)</sup>، قال: استعديك ، أي : : اطلب عدواك ومعونتك من الاستعداد بمعنى: المعونة<sup>(٤)</sup>.

وبالتأمل في الزيادة الدالة على الطلب مع المعنى المعجمي لـ ( استعديك ) ؛ نلاحظ جملة من المعاني ما بين الاستعداد و المعونة ، منها: طلب النصر ، والاستغاثة ، والنجدة ، والاستصراخ و الانتقام<sup>(٥)</sup>، و صيغة ( استفعل ) الدالة على الطلب الحقيقي ، زادت من العداوة ؛ فطلب الاستعداد – هنا في سياق النص- يتطلب المبالغة في الطلب ؛ إذ ليس على قريش فقط ؛ وإنما على أعوانهم ؛ كيف ما كانوا ؟ ، وإلى أيّ زمان امتدوا ؟، فقد روي عنه ( عليه السلام ) أنه قال : (( ما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم ) حتى يوم الناس هذا ))<sup>(٦)</sup> ؛ فضلا عن أن هذه المبالغة في طلب الاستعداد تتناسب مع عداوتهم له ( عليه السلام ) التي بلغوا بها درجة أكثر من العداوة ، وما يبيّن و يصرّح بذلك قوله : ((فَأِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجْمِي وَ أَكْفَنُوا إِنَائِي ، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي )) ، وما يحقق ضغط هذه الدلالات و تركيزها في هذا اللفظ – استعديك - هي الزيادة في بنائه ؛ فكلّ هذه المعاني تصبّ في دلالة التظلم و الالتجاء إلى الله عزوجل حقيقة ؛ إذ لا معين ولا ناصر ولا مغيث سواه ، ولا غنى لعبده عنه حتى لو كان بغنى عن غيره .

(١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٩٥٥ .

(٢) الخصائص : ١٥٦ / ٢ .

(٣) نهج البلاغة : ٣٣٦ .

(٤) اختيار مصباح السالكين: ٤٠٧ . و حدائق الحقائق: ٢ / ٢١٤ .

(٥) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣ / ٣٤٣ ، و شرح نهج..(السيدعباس): ٣ / ١١٥ ، و أيضا: الدرّة النجفية : ٢٤٩ .

(٦) مستدرک نهج البلاغة: ٢١٠ .

## ٢- تكثيف الدلالة باستعمال أبنية الصيغ الإسمية المزيدة :

تقدّم توضيح عن بعض هذه الصيغ - ك ( اسم الفاعل ، و اسم المفعول ) - ؛ لذا سنقتصر حديث الإيضاح على بعضها مما لم نتكلم عنه في المبحث المتقدم .

### - صيغة ( فَعَال ) الدالة على المبالغة:

قد تُحوّل صيغة فاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحَدَث، إلى أوزان عدّة تسمى ( صيغ المبالغة ) أشهرها: فَعَال - بتشديد العين - ، ومِفْعَال ، وَقُوعُول ، وَقَعِيل ، وَقَعِل<sup>(١)</sup> - بفتح الفاء وكسر العين - ، وهي تختلف و تتفاوت في ما بينها في الدلالة على معنى في المبالغة أو لتأدية معنى جديد<sup>(٢)</sup> ، وعلى هذا فإن صيغة ( فَعَال ) تختلف عن غيرها في دلالتها على المبالغة ؛ إذ جاء في ( درة الغواص ) : (( وَالْأَصْلُ فِي مَبَانِي الْأَفَاعِيلِ مُمْلَحَةٌ مُمْلَحَةٌ حَفِظَ الْمَعَانِي الَّتِي تَمَيَّزَ بِاخْتِلَافِ صَيَغِ الْأُمْتَلَةِ فَبَنَى مِنْ فَعَلِ الشَّيْءِ مَرَّةً عَلَى فَاعِلٍ ، نَحْوُ: قَاتِلٌ وَفَاتِكُ ، وَبَنَى مِنْ كَرَّرِ الْفِعْلِ عَلَى فَعَالٍ مِثْلَ: قَتَلَ وَفَتَاكَ ، وَبَنَى مِنْ أَلْبَسَ مَرَّةً عَلَى فَاعِلٍ ، وَكَانَ قَوِيًّا عَلَيْهِ عَلَى فِعُولٍ ، مِثْلَ صَبُورٍ وَشُكُورٍ ))<sup>(٣)</sup> ، ويقال : فَعَالٌ ؛ إِذَا فُعِلَ الْفِعْلُ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ ؛ فَ ( الصَّبَّارُ : الَّذِي يَصْبِرُ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ ))<sup>(٤)</sup> ، وكذا إن فَعَالًا تَقَالُ لِمَنْ صَارَ لَهُ الْفِعْلُ صِنَاعَةً (( وَذَلِكَ قَوْلُكَ لِصَاحِبِ الثِّيَابِ: ثَوَابٌ ، وَلِصَاحِبِ الْعَطْرِ: عَطَارٌ ، وَلِصَاحِبِ الْبُرِّ: بُرَّازٌ ؛ وَإِنَّمَا أَسْلُ هَذَا لِتَكْرِيرِ الْفِعْلِ ... أَي: يَكْتَرُ هَذَا مِنْهُ ... فَلَمَّا كَانَتْ الصَّنَاعَةُ كَثِيرَةً الْمَعَانِي لِلصَّنْفِ فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ ))<sup>(٥)</sup>؛ فقد جاء في تفسير قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح: ١٠] (( كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَتَّظُنُّوا أَنَّ غَفَّارِيَّتَهُ إِنَّمَا حَدَثَتْ الْآنَ ، بَلْ هُوَ أَبَدًا هَكَذَا كَانَ ، فَكَانَ هَذَا هُوَ حِرْفَتُهُ وَصَنَعَتُهُ ))<sup>(٦)</sup> ، وعليه فإن هذا البناء - فَعَالٌ - يقتضي المزاولة والتجدد ؛ لأن صاحب الصنعة مداوم على صنعته ملازم لها .

وقد استعمل الإمام ( عليه السلام ) ( فَعَال ) أيما استعمال! ، مفجرا ما يختزنه هذا البناء من دلالات ، في سياق كثفت الدلالة بتوظيفه فيه ؛ فمن كتاب له ( عليه السلام ) إلى معاوية جوابا ، قال: (( وَ إِنْكَ لَذَهَابٌ فِي الثِّيهِ رَوَاعٌ عَنِ الْقَصْدِ ))<sup>(٧)</sup> . ذَهَابٌ: مِنَ الذَّهَابِ ، وَالثِّيهِ : مِنَ قَوْلِكَ : تَاهَ فُلَانٌ فِي الْبَيْدَاءِ ، أَي :

(١) شذا العرف في فن الصرف: ٦٢ .

(٢) ينظر: معاني الأبنية: ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) درة الغواص في أوهام الخواص: ١٠٦ .

(٤) تهذيب اللغة (ص ب ر) : ١٢٠ / ١٢ .

(٥) المقتضب : ١٦١ / ٣ .

(٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : ٦٥٢ / ٣٠ .

(٧) نهج البلاغة: ٣٨٥ .

ضلّ<sup>(١)</sup> ، والدلالة: أنك يا معاوية كثير الذهاب في الضلال<sup>(٢)</sup> ؛ بل شديد الإيغال فيه<sup>(٣)</sup> ؛ حتى أصبح كالحرفة لك ؛ فأنت مداوم على هذه الصنعة كثير المعاناة لها مستمر على ذلك لم تنقطع<sup>(٤)</sup> .

وبالنظر إلى السياق نلاحظ أنه ( عليه السلام ) برّز هذا الاستعمال لـ ( فعّال ) ، ضاغطا فيه معاني تكثّف المراد ؛ وذلك :

١- أُرِدَف ( ذَهَاب ) بـ ( رَوَّاع ) - صيغة مبالغة على وزن : فعّال - ؛ ليعطي ذهابه في الضلال مواصفات تزيد من ضلاله ؛ فـ ( رَوَّاع ) من الرّوِّع : وهو يعني: الذهاب<sup>(٥)</sup> أو الرجوع<sup>(٦)</sup> - أيضا - ، لكن بدلالة الميل و الانحراف مع السرعة والخفية على سبيل الاحتيال و الخديعة<sup>(٧)</sup> ؛ إذ قال الفراء في تفسير قوله تعالى: { فَرَّاعٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ... } [الذاريات: ٢٦] (( رجع إليهم، والرّوِّع وإن كانَ عَلَىٰ هَذَا المعنى فإنه لا يُنطَق بِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ صَاحِبَهُ مُخْفِيًا لَذَهَابِهِ أَوْ مَجِيئِهِ ))<sup>(٨)</sup> ؛ فقوله ( عليه السلام ) : ( رَوَّاعٌ عَنِ القصد ) أي: كثير الميل شديد الانحراف عن طريق الاعتدال خافيا ذلك متسترا عليه بالخديعة و الاحتيال ، وهذه المعاني كلّها إذا ما قرناها لـ ( ذَهَاب ) تبيّن صفة ( ذهاب معاوية في الضلال ) .

٢- لحرف الجرّ ( في ) زخما من الدفع نحو دلالة ( ذَهَاب ) ؛ إذ يقال: (( ذهب في: دخل ، [ و ] تغلغل ... ويقال أيضا: ذاهب في الهواء أو ذاهب في السماء أي مرتفع جدا. وذاهب في العرض أي: عريض جدا ))<sup>(٩)</sup>؛ وهنا أعطى الحرف ( في ) معنى التغلغل لـ ( ذَهَاب ) بعدما كان بمعنى ( توغّل ) ، و ( التغلغل ) زيادة في زمن ( التوغّل ) و معناه ، يقال: (( تغلغل في نظر الوجوه الحسان. أي: استغرق النظر إلى الوجوه الحسان ))<sup>(١٠)</sup> ؛ فهي تحمل طول زمن الفعل ؛ فـ ( الغلغلة: إدخال الشيء في الشيء حتى يلتبس به ويصير من جملته، أي: بلغت بنظرك من محاسن هذه المرأة حيث لا يبلغ ناظر، ولا يصل واصل، ولا

(١) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٥ / ١٩٢ .

(٢) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٦ .

(٣) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٥ / ١٩٢ .

(٤) معاني الأبنية: ١٠٩ .

(٥) ينظر: البارع في اللغة: ٤١٧ .

(٦) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢ / ٨٧ .

(٧) ينظر: العين ( غ ر و ) : ٤ / ٤٤٥ ، ومقاييس اللغة ( ر و غ ) : ٢ / ٤٦٠ ، و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( ر و غ ) : ٤ / ١٣٢٠ .

(٨) معاني القرآن للفراء: ٣ / ٨٦ .

(٩) تكملة المعاجم العربية: ٥ / ٣٠ .

(١٠) تكملة المعاجم العربية: ٧ / ٤٢٥ .

يصف واصف ))<sup>(١)</sup> ؛ وبناء على ما تقدّم ؛ فإن معنى ( ذهاب في التيه ) أي: متغلغل في الضلال ؛ حتى صرت تمثله ؛ بل أنت الضلال بعينه يا معاوية ؛ فمن أراد الضلال قصدك و انحرف عن الحق لك .

#### - صيغة ( مُسْتَفْعِلٌ وَ مُتَفَعِّلٌ ) الدالة على اسم الفاعل :

ورد في خطبة له ( عليه السلام ) يستنهض الناس لنصرته ، قوله : (( أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا وَ أُنَادِيكُمْ مُتَعَوِّثًا ))<sup>(٢)</sup> ، جاء في النص كلمتين على زنة ( مُسْتَفْعِلٌ ) و ( مُتَفَعِّلٌ ) و هما ( مستصرخ ) و ( متعوّث ) من صيغ اسم الفاعل المشتقة من الثلاثي المزيد ( استفعل ) و ( تفعل ) أي من : ( استصرخ ) و ( تعوّث ) ، وكل من ( مستفعل و متفعل ) يدل على الطلب و المطاوعة<sup>(٣)</sup> ؛ ف (( مستصرخا : طالبا العون: و متعوّثا: طالبا العوْث ))<sup>(٤)</sup> ؛ بل إن هذه الزيادة في البنية مع السياق الذي وردت فيه دلّت على المبالغة في الطلب بشكل متكرر و شديد مع عدم تحقق المطاوعة ؛ والمعنى : ((إنني في كل يوم أفخاطب أطلب منكم المساعدة و العون و لكن لا تسمعون ندائي ))<sup>(٥)</sup> ؛ ليكتف ( عليه السلام ) دلالة عدم طاعتهم له ، وليدلّ على أن سبب مصائب الأمة و فشلها هي الأمة نفسها إذا لم تطع قائدها الحقيقي ؛ (( فمن الطبيعي أن أعظم القادة و الامراء و أشجعهم لا يسعهم فعل شيء إذا ما ابتلوا بمثل هؤلاء الأفراد ))<sup>(٦)</sup> غير المطيعين ، وما يدعّم ذلك قوله ( عليه السلام ) في بداية الخطبة: ((مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ ، وَ لَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ))<sup>(٧)</sup> ، مما يدل - أيضا - على حجم المعاناة التي واجهها الامام ( عليه السلام ) من الأمة .

#### - صيغتي ( مُفَعِّلٌ وَ مُفَاعِلٌ ) الدالة على اسم الفاعل :

وحسبك في دقة الاستعمال وبراعته ما جاء في ذكر الموت من قول له ( عليه السلام ) : (( فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَأَدَاتِكُمْ ، وَ مُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ ، وَ مُبَاعِدٌ طِيَّاتِكُمْ ))<sup>(٨)</sup> ، جاء مع اللذة بصيغة ( فاعل : هادم ) ، ومع الشهوة ( مُفَعِّلٌ : مكدّر ) ، ومع الطيّة ( مفاعِلٌ : مباعد ) ، والمعنى: (( إنه الموت الذي يزيل اللذات و يحول أجواءها إلى كآبة ، و يكدّر الشهوات و يجعلها منغصات... إنه الموت يباعد أسفاركم عن الدنيا أو يباعد بين ما تنوون و ما تعملون ))<sup>(٩)</sup> ، غير أن ما يلفت النظر هو اختلاف الصيغ ومناسبتها لكل موضوع وردت معه ؛ فاللذة قصيرة الوقت سرعان ما تنتهي ؛ فمثلا لذة مأكول ما نحبه تنتهي بمجرد مضغه في

(١) تاج العروس ( غل غل ): ١١٧ / ٣٠ .

(٢) نهج البلاغة: ٨١ .

(٣) ينظر: شرح الكافية الشافية : ٦٠٣ / ٢ .

(٤) في ظلال نهج البلاغة : ٢٤٦ / ١ .

(٥) شرح نهج..(السيد عباس): ٣٠٤ / ١ .

(٦) نفحات الولاية: ٢٦٥ / ٢ .

(٧) نهج البلاغة: ٨١ .

(٨) نهج البلاغة: ٣٥١ .

(٩) شرح نهج..(السيد عباس): ٧٨ / ٤ .

الفم ، وهذه اللذة تهدم بذكر الموت ، والهدم أسرع من البناء ؛ فجاء بالصيغة الأقصر بناءً المشتقة من الفعل الثلاثي المجرد ( هدم ) ، في حين قال ( عليه السلام ) : ( ومكدر شهواتكم ) ، وجاء أن معناها (( مكدر العيشة ))<sup>(١)</sup> ، والكدورة للعيشة أطول وقتاً وأشد أثراً ؛ فهي أعم من كونها لذّة جزئية في الحياة ؛ لذا جاء بصيغة ( مُفَعَّل ) من الثلاثي المضَعَّف العين ( كَدَّر ) الدالة على تكثير<sup>(٢)</sup> ، واللذة والشهوة مجالها الدنيا .

أما قوله: ( مباحد طياتكم ) فإن للألف بصيغة ( مفاعل ) نكهة تضيي على الدلالة إيحاءً بطول البعد و شدة الفراق و مرارته ، ف (( الطية ما يطويه الانسان في ضميره من العزائم و النيات ، يعني عليه السلام: يباعد الموت عنكم نياتكم و عزائمكم فكم عزم للإنسان يريد نفاذه و حال بينه و بين عزمه الموت ، و إن فسر الطيات بمنازل السفر ؛ فالمعنى: يرجع إلى ما ذكر أيضا ))<sup>(٣)</sup> ، و البعد أشد و أمر على الإنسان من غيره .

#### - صيغة ( مُسْتَفْعَل ) الدالة على اسم المفعول:

يُصاغ اسم المفعول من الثلاثي المزيد بالالف و السين و التاء ( استفعل ) على وزن ( مُسْتَفْعَل ) نحو : استخرج مُسْتَخْرَج ، للدلالة على ما وقع عليه الفعل بصورة مخصصة – وهو المُسْتَخْرَج في المثال - وقد وردت هذه الصيغة في قوله ( عليه السلام ) وهو ينبه فيه على فضيلته لقبول قول النبي و أمره و نهيه ( صلى الله عليه وآله ) ، ؛ إذ قال: (( وَ لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ( صلى الله عليه وآله ) أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطَّ ))<sup>(٤)</sup> فقوله: المستحفظون اسم مفعول على صيغة ( مستفعل ) من الفعل (( استحفظته الشيء : أودعته عنده و سألته أن يحفظه ))<sup>(٥)</sup> وهذا هو الفرق بين ( المستحفظين ) – بالفتح – و ( المستحفظين ) – بالكسر - ؛ إذ إن لهذه الزيادة مع دلالة اسم المفعول لهذا البناء – مُسْتَحْفَظٍ: من طلب منه حفظ شيء ما و حفظه – خصوصية نستشفها من هذه الصيغة ، حيث دلّت على من اتصف بفعل الحفظ ، وهم (( خيار الصحابة المطلعون على أسرار رسول الله ( صلى الله عليه وآله و سلم ) و سيرته و معجزاته و كراماته و عهوده و موثيقه و الملاحم الواقعة في زمانه صلى الله عليه وآله ))<sup>(٦)</sup> ؛ و باستعمال هذه الصيغة تكثيف للدلالة على أنهم أكثر حفظاً و أمانة لما استحفظوا و استودعوا ؛ إذ يستشهد بهم ( عليه السلام ) ، مع الماح إلى قلّتهم و تميّزهم و عظمتهم .

(١) شرح نهج..(ابن ميثم): ٤٢٣/٥

(٢) ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: ٦٩.

(٣) منهاج البراعة : ١٤ / ٤١٧ .

(٤) نهج البلاغة: ٣١١ .

(٥) شرح نهج..(المجلسي): ٣٧٧/ ٢

(٦) منهاج البراعة: ١٢ / ٢١٥

## - صيغة (فَعَال) الدالة على جمع التفسير:

هذا البناء من أبنية جمع التفسير يطرد (( في وصف صحيح اللام على : فاعل لمذكر ، نحو: صائم وصوّام ، وقائم وقوّام ))<sup>(١)</sup> ، ومن الطريف أن يتفق هذا البناء في الجمع مع وزن المبالغة في المفرد فنقول : رجل كُرّام ، لمن كثر منه الكرم فقام مقام جماعة كريمة<sup>(٢)</sup> ، قال تعالى: { وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبْرًا } [نوح: ٢٢] ، أي: (( قد كان مكرهم من كبره وعظمه يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد إزالتها في ثباتها ))<sup>(٣)</sup> ، و (( الكُبَّار والكُبَّار والكبير بمعنى واحد، إلا أنّ بينها تفاوتاً في المبالغة؛ فالكُبَّار أشدها مبالغة ))<sup>(٤)</sup> ؛ لذا قال تعالى: ( كُبَّارًا ) ؛ وعليه فإن هذا الاتفاق بالوزن بين جمع التفسير و المبالغة يؤذن بجمع المعنيين في هذا البناء ( فَعَال ) ؛ إذ إن (( أشهر دلالة لهذا البناء هي التكثر والمبالغة في القيام بالفعل فإن لم يكثروا من القيام بالفعل فلا يطلق عليهم هذا الجمع ... وتقول : قدم الحفّاط و القراء لمن كان قيامهم بالفعل و اتصافهم به كثيرا ؛ فهذا الجمع لتكثير القيام بالفعل لا لتكثير العدد ))<sup>(٥)</sup> على نحو مبالغ فيه.

وقد ورد هذا البناء مستعملا في نهج البلاغة لجمع التفسير في أكثر من موضع<sup>(٦)</sup> ، منها: ما ورد في كلام له ( عليه السلام ) وهو يوصي بالاعتاظ بمن رحلوا عن الدنيا ؛ قال : (( فَكَفَى وَاعِظًا بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ حُمُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَ أَنْزَلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عَمَّارًا... ))<sup>(٧)</sup> و ( عَمَّارًا ) جمع ( عامر ) ؛ إذ يجمع أيضا جمعا سالما ( عامرون ) لكنه جاء بهذا الجمع و على هذا البناء ؛ ليكون المعنى : أنهم (( انصرفوا الى الدنيا بكل ما لديهم من طاقة، فبنوا و شيّدوا، و زرعوا و أنفقوا ))<sup>(٨)</sup> فيها ، ومع كل ذلك وبحلول الموت كأنهم لم يكونوا كذلك .

والتدبر في سياق هذا الاستعمال يرشدنا إلى القول : إن استعمال هذا البناء كثف المعنى للدلالة على النهي من التعلق بالدنيا ، وتخليص النفس من الانجذاب إليها ؛ إذ إن من ماتوا لم يركبوا أكتاف الناس باختيارهم ؛ و إنما قهرا عليهم ، و أنزلوا في القبور ليس باختيارهم أيضا ، بل جبرا و كرها<sup>(٩)</sup> ، و كذا انقطعوا عمّا عمّروه وانصرفوا إليه أشد الانصراف و الانجذاب - بإرادتهم واختيارهم في الدنيا - لم يكن باختيارهم و عن رغبة منهم ؛ بل بخلاف إرادتهم المنجذبة بشدة نحوه .

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١٢٣ / ٤ .

(٢) ينظر: معاني الابنية: ١٥٠ .

(٣) إبراز المعاني من حرز الأمانى: ٥٥٣ .

(٤) ، إعراب القرآن لأصبهاني: ٤٧٣ .

(٥) معاني الابنية: ١٤٨ - ١٤٩ .

(٦) ينظر: نهج البلاغة: ٥٩ ، ٣٣٨ .

(٧) نهج البلاغة: ٢٧٨ .

(٨) في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٨٥ .

(٩) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٣ / ١٥١ .



## - صيغة ( أفاعيل ) لجمع التكسير :

وهو من أبنية منتهى الجموع ( جمع الجمع )<sup>(١)</sup> ، غير أنه اختلف في كونه قياسيا أو غير قياسي ؛ إذ يرى سيبويه أنه قياسي ؛ قال: (( أن ما كان جمعه على ( أفعال ) فإنه يجمع على أفاعيل نحو : أنعام أنواعيم ، و أقوالٍ وأقاويل ))<sup>(٢)</sup> ، في حين ذهب ابن يعيث راذاً على سيبويه بقوله : (( أن جمع الجمع ليس بقياس ، فلا يجمع كل جمع ، وإنما يوقف عند ما جمعه من ذلك ، ولا يُتجاوز إلى غيره ... وأما قول صاحب الكتاب [ يعني: سيبويه ]: ... في كل "أفعالٍ": "أفاعيل" ، فتسمح في العبارة. والصواب ما ذكرناه ))<sup>(٣)</sup> وهو كونه غير قياسي ؛ معللاً ذلك بقوله: (( لأن الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة ... وإنما يجمعون الجمع، إذا أرادوا المبالغة في التكثير ))<sup>(٤)</sup> ، ف ( أقوال ) جمع يدلّ على الكثرة ؛ فإن أردت المبالغة في الكثرة قلت: أقاويل ، ف ( أفاعيل ) : (( وهو من أبنية منتهى الجموع الدالة على الكثرة ، غير أن هذا البناء – أفاعيل – زيدت فيه الياء للمبالغة ))<sup>(٥)</sup>.

و مما يُعد من هذا الوادي في استعمال هذا البناء قوله ( عليه السلام ) يتكلم عن صفات النبي ( صلى الله عليه وآله ) : (( والدَّافِعُ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَ الدَّامِغُ صَوَلَاتِ الْأَضَالِيلِ ))<sup>(٦)</sup> ، إذ ورد ( أفاعيل ) مكرراً في ( أضاليل ) و ( أباطيل ) وهما جمع لـ ( ضالّ ) و ( باطل ) على غير قياس<sup>(٧)</sup> ، و المعنى: أن حياة الناس قبل الإسلام كانت مسيطر عليها من أهل الباطل بالضلال و الفساد ، فالفتن والحروب والغارات وما إلى ذلك من فساد وإفساد للعباد والبلاد قد دفعت وأنجالت ظلّمها ببعثة النبي ( صلى الله عليه وآله ) ودخول الناس في دين الله أفواجا<sup>(٨)</sup> ؛ فدلالة هذه الصيغة على الكثرة العديدة المبالغ فيها للباطل والضلال الذي واجهه النبي ( صلى الله عليه وآله ) ؛ فكلمًا نجم منها شيء دفعه ودمغه .

غير أن الجدير بالذكر أن لهذه الصيغة تكثيفا للدلالة يتناسب مع السياق الذي جاءت في ضمنه ؛ ففي العبارة التعبير عن الباطل بالجيشات ، و عن عوامل الضلال بالصولات ؛ وفي ذلك تصور كل منهما عمق ما تختزنه هذه المفردات ؛ فالباطل مليء بالصخب والضجيج إذ صوته العالي و أتباعه هم الأكثر ؛ ف (( جيشات جمع جيشة، و هو: غليان القدر، و استعار لفظها: لثوران أباطيل المشركين و فوران

(١) وهي كل جمع بعد ألف تكسيروه حرفان أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن مثل مدارس ومفاتيح، وصيغه كثيرة بلغت ١٩ :

الموجز في قواعد اللغة العربية: ١٥٢ .

(٢) الكتاب لسيبويه : ٦١٨ / ٣ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيث : ٣٢٧ / ٣ .

(٤) شرح المفصل لابن يعيث : ٣٢٧ / ٣ .

(٥) معجم القواعد العربية : ٢٥٥ / ١ .

(٦) نهج البلاغة: ١٠١ .

(٧) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٤٠ / ٦ ، وينظر: شرح المفصل لابن يعيث : ٣٢٥ / ٣ .

(٨) ينظر: منهاج البراعة (راوندى): ٣٠٣ / ١ ، و منهاج البراعة : ١٩٥ / ٥ ، وأيضاً: في ظلال نهج البلاغة : ١/

فتنتهم<sup>(١)</sup>، كما أن صولات - جمع صولة - أهل الضلال المتكررة على العزل من الناس و الضعفاء منهم<sup>(٢)</sup>؛ لذا إن في ( أفاعيل ) تكثيفا لحقيقة وواقعا مؤكدا لا مبالغة فيه من أجل المبالغة ؛ والواقع هو حقيقة قوة قائد الاسلام والفكر الالهي الذي جاء به ، فقضى بعزم و ثباتٍ على كل هذه الجيشات و الصولات المتكررة والمتنوعة .

### - صيغة ( تفاعل ) الدالة على المصدر :

ويأتي مصدرا قياسيا للفعل المزيد ( تفاعل تفاعلا ) بضمّ العين ، نحو: تضامن تضامنا ، ولا خلاف بضمّ عينه<sup>(٣)</sup> إذا كان الفعل صحيح الآخر ، أما إذا كان الفعل معتل الآخر فتكون حركة عينه الكسر ؛ لصعوبة الانتقال من الضمّ إلى الكسر نحو: ( التَّغَايِي )<sup>(٤)</sup>.

وقد وردت صيغة المصدر هذه مستعملة في نهج البلاغة في سياقات مختلفة و كثيرة حصرها بعض الباحثين بالدلالة على المشاركة والمطاوعة و التكلف و التكرير والمبالغة والتوكيد<sup>(٥)</sup> ، لكن مما ورد وكثفت الدلالة باستعماله في قوله ( عليه السلام ) وهو يعظ الناس : ( ( وَ انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَنَاهَوْا عَنْهُ ؛ فَإِنَّمَا أَمْرُهُمُ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي ))<sup>(٦)</sup>، جاء في النص المصدر المزيد ( التَّنَاهِي ) للفعل المزيد ( تَنَاهَى ) من النهي ، و ( ( النَّهْيُ : خلاف الأمر، وَنَهَيْتُهُ عَنْ كَذَا فَانْتَهَى عَنْهُ وَتَنَاهَى، أَي كَفَّ ))<sup>(٧)</sup> ، و الفرق بين ( النَّهْيِ ) و ( التَّنَاهِي ) أن النَّهْيِ مصدر للفعل ( نَهَى ) يقال: ( ( وفلان نهى فلان ، أي : ينهاه عن شيء. والنهاية كالمغاية حيث ينتهي إليه الشيء، ))<sup>(٨)</sup> ، أما ( التَّنَاهِي ) فمصدر للفعل ( تَنَاهَى ) و ( ( تناهى الشيءُ: إذا بلغ النهاية ))<sup>(٩)</sup> وهو بمعنى الانتهاء ؛ فانتَهَى و تَنَاهَى بمعنى: بلغ نهايته و غايته<sup>(١٠)</sup>.

(١) اختيار مصباح السالكين : ١٨٠ .

(٢) ينظر: نفحات الولاية: ١٠٨ / ٣ .

(٣) ينظر: الكتاب لسبويه : ٨١ / ٤ ، و ليس في كلام العرب : ٥٢ .

(٤) ينظر: البنية المصدرية في نهج البلاغة : ١٦٥ .

(٥) ينظر: البنية المصدرية في نهج البلاغة: ١٦٥ . و ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: ٣٠٣ - ٣٠٥ .

(٦) نهج البلاغة: ١٥٢ .

(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( نهى ) : ٢٥١٧ / ٦ .

(٨) المحيط في اللغة ( نهى ) : ٣٢١ / ١ .

(٩) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ٦٧٨٣ / ١٠ .

(١٠) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( نهى ) : ٢٥١٨ / ٦ .

وبالرجوع إلى النص نلاحظ الفرق نفسه – بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين<sup>(١)</sup> - بين النهي والتناهي ؛ وذلك:

١- جاء بالتناهي مقترنا بالنهي في سياق واحد ، وقد قصد بالنهي : نهي الناس عن المنكر ، أما التناهي فهو انتهاء نفس الناهي عن المنكر؛ ف (( النهي المثمر هو النهي عن الشيء بعد الانتهاء عنه ))<sup>(٢)</sup>.

٢- أفادت الزيادة في المصدر دلالة الشدة في الانتهاء و الغاية المؤكدة من الأمر ؛ لذا (( بين لهم أفضل أنواع النهي عن المنكر و أرفع درجاته ألا و هو: كون الناهي عن المنكر مما تنهى عنه و تركه ))<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا برز سؤال بين شراح نهج البلاغة وهو ؛ كيف اشترط الإمام ( عليه السلام ) النهي عن المنكر بانتهاء الشخص الناهي عنه ؛ فقال: (فَإِنَّمَا أَمْرُهُمُ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي ) ؟ ، وقد ردّ ابن أبي الحديد على هذا السؤال بالقول: (( و الجواب: أنه ( عليه السلام ) لم يرد: أن وجود النهي عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك الناهي عن المنكر؛ و إنما أراد : أني لم آمركم بالنهي عن المنكر إلا بعد أن أمرتكم بالانتهاء عن المنكر ))<sup>(٤)</sup> ، إلا أن الشارح الخوئي عدّ هذا الردّ تكلفاً ؛ وقال: و الأفضل (( أن يقال: إنّه ( عليه السلام ) أمر بالنهي و التناهي معا أولاً، و هو دليل على وجوب الأمرين كليهما، و اتبعه بقوله: ( فَإِنَّمَا أَمْرْتُمْ بِالنَّهْيِ أَوْ ) ؛ تنبيهها على أنّ التناهي في نظر الشارع مقدّم على النهي و وجوبه أكد، لأنّ إصلاح النفس مقدّم على إصلاح حال الغير))<sup>(٥)</sup>؛ غير أن الباحث يرى أن الأفضل ما ذهب إليه الشيخ الشيرازي بجوابه على هذا السؤال ؛ وهو أن يقال: (( إن الانتهاء عن المنكر لشرط لكمال النهي عنه ، لا شرط وجوبه ؛ لأن الإنسان حين يرتكب الذنب ويريد نهي الآخرين عنه ، سوف لن يكون لكلامه من تأثير ، ولو علم الناس منه ذلك لسخروا منه وقالوا: طيبب يعالج الناس وهو عليل ))<sup>(٦)</sup> ؛ لذا إن ما كتّف من دلالة بهذه الزيادة في المصدر – التناهي - هي كمال النهي عن المنكر ؛ بمراقبة الشخص لنفسه ونهيه لها عن ارتكاب الذنوب والمعاصي ، مراقبة ذاتية تحقق الغاية المقصودة .

(١) إذ يرى أن دلالة ( التناهي ) في النص : (( مطاوعة مجردة )) ولم يبيّن ما المقصود من ( المطاوعة المجردة ) على حدّ تعبيره : ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: ٣٠٤.

(٢) الدرّة النجفية : ١٥٦ .

(٣) شرح نهج..(السيدعباس): ١٩٥ / ٢ .

(٤) شرح نهج..(ابن أبي الحديد) : ١٧٠ / ٧ .

(٥) منهاج البراعة : ٢٥١ / ٧ .

(٦) نفحات الولاية: ٢٩٩ / ٤ .

# الفصل الثاني

التكثيف الدلالي في ظواهر معجمية  
( باستعمال المشترك اللفظي )

المبحث الأول: الجنس

المبحث الثاني : التورية

المبحث الثالث : الأضداد

## الفصل الأول

### التكثيف الدلالي في ظواهر معجمية ( باستعمال المشترك اللفظي )

عُرّف اللفظ بأنه الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية<sup>(١)</sup> ؛ لذا إن نقطة الاشتراك – المقصودة في المشترك اللفظي هي تلك الأصوات سواء كانت للفظ واحد أم للفظين ، وفي أقسام الكلمة الثلاثة: الفعل والاسم والحرف<sup>(٢)</sup> ؛ فالمشترك اللفظي كما عرّفه سيبويه هو (( اتفاق اللفظين والمعنى مختلف كقولك: وَجِدْتُ عليه من المَوْجِدَةِ، وَوَجِدْتُ إذا أُرِدْتُ وَجِدَانَ الضَّالَّةَ ))<sup>(٣)</sup>، وَحَدَّه أهل الأصول (( بأنه اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ))<sup>(٤)</sup> وبمعنى أوضح هو لفظ تشترك فيه معان كثيرة<sup>(٥)</sup> فهو ما اتحدت صورته واختلف معناه<sup>(٦)</sup>، وهذا الاتحاد بالصورة والاختلاف في المعنى أو تعدده متأتٍ من حالتين تحددان مظاهر المشترك اللفظي في الكلام ؛ فالمشترك اللفظي يقع إما من واضعَيْن كأن يطلق أحدهما لفظا لمعنى ، ويطلق الآخر نفس اللفظ لمعنى آخر ؛ فيشتهر هذا اللفظ بالمعنيين على حد سواء مثل ( خال: لأخ الأم و الخال الشامة ... ، و جون للأبيض والأسود ) ، أو يقع من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع ، وإخفاء التصريح بالمعنى المراد كما في لفظ التورية<sup>(٧)</sup> ؛ لذا وضع العلماء مسميات عدّة تمثل مظاهر المشترك اللفظي – إن صح التعبير - منها الجنس والأضداد والكناية والتغليب... وما سواها.

ومن هنا نلاحظ (( أن عمود المشترك اللفظي هو الدلالة ، لأن اللفظ الواحد يدلّ على معنى أو اثنين أو أكثر ))<sup>(٨)</sup> ؛ و وضع اللفظ الواحد للدلالة على مَعْنِيَيْن مختلفين أو أحدهما ضدّ للآخر لم يكن ذلك إبانة بل تَعْمِيَةٌ وتَغْطِيَةٌ ، و قد يجيء من هذا لِعَلِّ وأغراض يقصدها المتكلم<sup>(٩)</sup> .

(١) ينظر: الحدود في علم النحو: ٤٣٥ .

(٢) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٢٩٣ / ١ .

(٣) الكتاب لسيبويه: ٢٤ / ١ .

(٤) المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٢٩٢ / ١ .

(٥) إسفار الفصح: ١ / ١٧٧ .

(٦) دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢ .

(٧) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٢٩٢ / ١ . وورد أن المشترك يقع على شينين ضدين، وعلى مختلفين غير

ضدين، فما يقع على الضدين كالجَوْنِ وجلل، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين: دراسات في فقه اللغة: ٣١٠ .

(٨) المشترك اللفظي في الحقل القرآني: ٩ .

(٩) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٣٠٣ / ١ .

ولابد من الإشارة إلى نقطة مهمة ، وهي : أن لا مجال للمشترك اللفظي إلا في الاستعمال وفي السياق الذي يرد فيه ؛ وكان هذا اللفظ فيه طاقة مختزلة ، وما يخرج هذه الطاقة هو السياق ، فمرة يسوق أكثر من قرينة ليجمع أكثر من معنى ، وأخرى يجرد اللفظ من أيّ قرينة تدعم معنى معين ؛ فيبقى اللفظ يحتمل أكثر من معنى – كما سيتضح في مظاهر المشترك اللفظي - ؛ وعليه فإن تكثيف الدلالة الحاصل من استعمال المشترك اللفظي في الكلام يكون من وجوه :

١- اتفاق اللفظين بأصواتهما و اختلافهما بالمعنى داخل التعبير الواحد ؛ يستدعي تكرارا لموسيقى الصوت نفسها ؛ مما ينبه المتلقي للالتفات أكثر إلى الدلالة ؛ (( فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها؛ ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء، والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه ))<sup>(١)</sup> ؛ وبذلك يكون التعبير حيويا و فاعلا ، يستوقف المتلقي للتأمل في استخراج دلالاته الواسعة والمكثفة .

٢- إن في تعدد المعاني للفظ الواحد اختزال لطاقة لغوية ؛ إذ تكون اللغة قادرة على أن تعبر عن الفكر المتعددة بطريقة مختزلة مركزة ؛ مما يكسب الكلمات قابلية للاستعمال الجديد<sup>(٢)</sup> و الدلالات المستمرة .

٣- اشتراك اللفظ في معنيين يوهم السامع<sup>(٣)</sup> ، ويضفي هذا الغموض عمقا يكسب اللفظ مرونة و سعة في التأويل تبعث في الدلالة الحيوية والنشاط ؛ إذ يجنح المتكلم لصفة الغموض حتى يُضمن كلامه مفردات وتراكيب تحمل دلالات عميقة ؛ بل قد تكون مستعلقة تترك للزمن للكشف عنها كما في كثير من كلام الامام علي ( عليه السلام ) عن القضايا و الحوادث المستقبلية .

٤- لأن الإيهام في استعمال المشترك اللفظي يكون عن المُخاطَب ؛ فهو يكشف عن وري عنه كما في صورة التورية ؛ إذ (( لا يحسنُ بلاغياً استخدام التورية إلا إذا دعا داعٍ بلاغي يقتضيه حال المتلقي، وهذا الداعي مما يُقصدُ لدى أذكفاء البلاغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرفٍ خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يتأتى معه الإنكار عند الحاجة إليه، وكاختبار ذكاء المتلقي والتأثير في نفسه بما يُعجبه من أداءٍ فنيّ يستخدم فيه الأسلوب غير المباشر حتى الإلغاز، إلى غير ذلك من دواعي ))<sup>(٤)</sup> .

وقد تبين مما تقدّم أن مكن التكتيف للمشترك اللفظي يكون في تعدد المعاني وتداخلها في اللفظ ، والذي يجعل الكلام يكتنفه الغموض ، ولا يمكن الوقوف على الدلالة إلا بعد بذل جهد وتفتيش في مرجعيات الألفاظ والسياق الذي ترد فيه<sup>(٥)</sup> ؛ و بمعنى من المعاني لابد من انتهاج قراءة عقلية وعارفة

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢/ ٢٨٢ .

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١١٥ .

(٣) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٢٩٢ .

(٤) البلاغة العربية: ٢/ ٣٧٤ .

(٥) ينظر: أنظمة التكتيف الدلالي في جوامع الكلم للرسول: ١١٢ .

يُتَجَسَّم خلالها عناء التأمل والاستقصاء والنظر الدقيق<sup>(١)</sup>، تجعل الباحث قادرا على إدراك أن عملية التأويل التأويل في الكلام المكثف التي يخوض غمارها لا يمكن أن تأخذ مجراها المنطقي إلا في سياق (( ربط الدلالة اللغوية بالدلالة العقلية))<sup>(٢)</sup>؛ لذا اقتصرنا في هذا المبحث على المظاهر التي نلاحظ فيها تكتيفا دلاليا بارزا يركز الفكرة ويعمق الدلالة .

## المبحث الأول

### الجناس

الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس وتعني انضمام الشيء إلى ما شاكله وشابهه<sup>(٣)</sup>؛ فالجناس في الاصطلاح هو : أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى<sup>(٤)</sup>، وحقبة الجناس عند ابن الأثير (( أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا، وذلك يعني أنه هو اللفظ المشترك ))<sup>(٥)</sup>، وقال في بيان المشترك اللفظي: (( إن مقصود واضع اللغة البيان والتجنيس، والبيان يحصل بالألفاظ المتباينة الكافية في الإفهام، وأما التجنيس فإنه عمدة الفصاحة والبلاغة، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة))<sup>(٦)</sup>.

وهذا المحسن اللفظي هو باب من أبواب المعاني فقد عرفه الرماني بقوله: (( هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة ))<sup>(٧)</sup>، وكما عبر الشيخ الجرجاني : (( أن ما يُعطي التجنيس من الفضيلة، أمرٌ لم يتم إلا بنُصرة المعنى ))<sup>(٨)</sup>؛ فالجناس - وإن كان محسناً لفظياً - التحسين فيه يتعدى اللفظ والجرس إلى المعنى<sup>(٩)</sup>، حيث يؤدي دلالة تعبيرية تسهم في تقرير المعنى في ذهن المتلقي،

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٧٤.

(٢) إشكالية القراءة وآلية التأويل: ١١٤.

(٣) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ١٦، وينظر: فن الجناس: ٥.

(٤) ينظر: البلاغة العربية: ٢/٤٨٥.

(٥) علم البديع: ١٩٦.

(٦) الفلك الدائر على المثل السائر: ٤/٢٧.

(٧) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر: ١٠٢.

(٨) أسرار البلاغة: ٧-٨.

(٩) ينظر: البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة: ٤٩١.

وتجعله مقبولاً لديه بطريقة إبداعية لافتة تشهد لصاحبها بتمكنه من اللغة والبصر بدقائق أسرارها ،  
وقدرته على التصرف بمعطياتها<sup>(١)</sup>، من دون تكلف أو استكراه أو قصد في اجتلابه ، واقعا عفوا منه ،  
طلبه المعنى واستدعاه<sup>(٢)</sup>؛ إذ إنَّ اللفظ الموهوم بالتكرار يُفاجئ بالاختلاف مع نظيره من حيث المدلول<sup>(٣)</sup> ،  
وهذه مزية تُحسب للجناس .

وقد يتطابق اللفظان المتجانسان تطابقاً تاماً بالوزن واللفظ والحركة ، وقد يختلفان بأحد هذه الأمور  
باختلاف بعض الحروف أو الحركات أو النقط ، أو تبدل في أصل الاشتقاق والقلب أو غيره ، مما يجعل  
الجناس أقساماً عدة<sup>(٤)</sup>، وما يهمنا هو تتبع التكتيف الدلالي الوارد باستعمال الجنس المتطابق تطابقاً تاماً<sup>(٥)</sup>  
؛ فإن صورة التكتيف تبرز باستعماله أكثر من غيره .

ومما يجدر التنبيه إليه أن ما يجعل من اللفظين المتجانسين يحملان معنيين مختلفين ، هو السياق  
وما يتضمنه من قرائن كقوله تعالى: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ } [الروم:  
٥٥] ؛ فلفظ الساعة الأولى يعني: القيامة ، أما لفظ الساعة الثاني فيعني: ساعة من الوقت ؛ وما ساعد  
على استظهار هذه المعاني للفظين هو السياق ؛ فالساعة الأولى أُسندت إلى القيام بمعنى: الوقوع ،  
والساعة الثانية أُسندت للّبث ، وكلاً من القيام واللبث يستلزم معنى مختلف للساعة<sup>(٦)</sup> ، وهنا قد يرد إشكال  
، وهو:

أن اللفظ الأول يدل على معنى – هو القيامة - ، واللفظ الثاني يدل على معنى ثانٍ مختلف – هو الساعة:  
قطعة من الوقت - ، وهذا شبيه بكل لفظين مختلفين وضعاً لمعنيين مختلفين ، نحو: كتاب ، و قلم ؛ فكل  
منهما يدل على معنى مختلف ، وهما لفظان مختلفان ، فأين التكتيف في ذلك !؟ .

(١) ينظر: ظاهرة الجنس في خطب الإمام علي ورسائله دراسة بلاغية: ٢.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة : ١٨ .

(٣) ينظر: البلاغة العربية : ٢ / ٤٨٥ .

(٤) أقسام الجنس : التام؛ وهو أن تتفق اللفظتان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها . والجناس الناقص: وهو أن  
تختلف اللفظتان في أعداد الحروف بزيادة أو نقصان . والجناس اللاحق : وهو أن تختلف اللفظتان بحرف واحد، ويكون  
هذان الحرفان غير متقاربين في المخرج . والجناس المضارع : وهو أن يختلف اللفظان بحرف واحد، ويكون هذان  
الحرفان متقاربين في المخرج . والجناس المقلوب : وهو أن يختلف اللفظان في ترتيب الحروف . والجناس الاشتقائي :  
وهو أن يجمع اللفظين الاشتقاق . والجناس المحرف: وهو أن يختلف اللفظان في هيئات الحروف . والجناس المصحف :  
وهو أن يكون النقط فيه فارقاً بين اللفظين: بغية الإيضاح لتخصيص المفتاح في علوم البلاغة : ٤ / ٦٤٠ - ٦٤٧ ، و البلاغة  
العربية : ٢ / ٤٨٧ .

(٥) ويسميه القاضي الجرجاني ( المستوفى ) ؛ لأن حروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر ، وما من اختلاف بين اللفظين  
إلا بالمعنى ، فهما متفقان بنوع الحروف ووزنها وعددها وترتيبها : ينظر: الوساطة بين المتنبئ وخصومه ونقد شعره :

٤٢ . و عقود الجمان في علم المعاني والبيان : ١١٠ .

(٦) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣ / ٤٨٦ .



والجواب: أن التكتيف الدلالي هو نقطة اشتراك ، وفي الوقت نفسه هو نقطة افتراق – كما بيّنا في التمهيد – وعليه فالتكتيف بمظهر الجنس يمثل مظهرا لهذا المعنى و يكون من جوانب:

١- اللفظان المتجانسان يشتركان بصورة واحدة ؛ فهما مشتركان من حيث الشكل ؛ فالساعة نفس الساعة بالشكل مع أن هذا الشكل – للفظه : الساعة - و من دون السياق الذي وردت فيه ؛ فلا تدل إلا على دلالتها الوضعية ؛ إذ لا يتبادر إلى الذهن غير هذه الزمن المعروف من الوقت .

٢- اللفظان المتجانسان مختلفان في المعنى ؛ فهما مختلفان من حيث المضمون .

٣- مع اختلافهما في المعنى إلا أنه هناك حلقة وصل بين المعنيين ؛ فبالرجوع إلى الآية ومعاني اللفظتين المتجانستين فيها نلاحظ أن حلقة الوصل بين المعنيين هي: دلالة الوقت ، نجدها في كلا المعنيين تتكرر؛ إذ سميت القيامة بالساعة ؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة من غير تحديد زمان معين لها ، أما الساعة الثانية فهي قطعة من الوقت <sup>(١)</sup>؛ لذا نلاحظ التركيز على الوقت من حيث الشكل والمضمون للفظتي الساعة ، أما في غير الجنس فالاختلاف واضح.

هذا ولم يرد الجنس التام في نهج البلاغة إلا في ثلاثة مواضع ؛ وذلك يدل على عفوية التجنيس من قبل المتكلم ، و تقديمه المعنى على الصنعة .

وما أروع ما جاء من استعمال للجناس في قوله ( عليه السلام ) في سياق الحديث عن الدنيا : (( وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ ، وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ )) <sup>(٢)</sup> ؛ ففي سياق الحديث ما ينبئ عن وجود جناس تام بين قوله: ( من أبصر بها ) ، وقوله: ( من أبصر إليها ) كُنُفَتْ باستعماله الدلالة ، قال الشريف الرضي : (( و إذا تأمل المتأمل قوله ( عليه السلام ) : ( من أبصر بها بصرتة ) ، وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا تبلغ غايته و لا يدرك غوره، و لا سيما إذا قرن إليه قوله : ( و من أبصر إليها أعمته ) ؛ فإنه يجد الفرق بين ( أبصر بها ) و ( أبصر إليها ) واضحا نيرا و عجيبا باهرا )) <sup>(٣)</sup>، والفرق بين القولين (( كالفرق بين من أبصر الأشياء بسبب ضوء الشمس، و بين من نظر إلى الشمس بالذات فأعشت بصره)) <sup>(٤)</sup> ، وما يساعدنا في الولوج إلى الدلالة المضغوطة باستعمال هذا الجنس هو السياق اللغوي له ، إذ ورد حرف ( الباء ) مع الأول الدال على الإلصاق <sup>(٥)</sup> الذي هو (( اختِلاطُ الشَّيْءِ بالشَّيْءِ )) <sup>(١)</sup> والدال

(١) ينظر: روح المعاني: ٥٨ / ١١ .

(٢) نهج البلاغة: ١٠٦ .

(٣) نهج البلاغة: ١٠٦ .

(٤) في ظلال نهج البلاغة : ٣٧٨ / ١ .

(٥) يقول سيويوه : (( وباء الجر إنّما هي للإلحاق والاختلاط ، وذلك قولك : خرجت بزبدٍ ، ودخلت به ، وضربته بالسوط : ألزقت ضربك إيّاه بالسوط . فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله )): الكتاب : ٢١٧/٤ .

على المصاحبة بمعنى ( مع )<sup>(١)</sup>، و ورد حرف ( إلى ) مع الثاني الذي يدل بطريق الأصالة على معنى انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية<sup>(٢)</sup>، وتعلق الأول بالفعل ( بصّرته ) على وزن ( فعّل ) المضعف الذي يدل على التكثير والتعدية<sup>(٣)</sup>، وتعلق الثاني بـ ( أعمته ) الدال على الصيرورة<sup>(٤)</sup>، (( فإن قلت: المسموع أبصرت زيدا ، و لم يسمع أبصرت إلى زيد ، قلت: يجوز أن يكون قوله ( عليه السلام ) : و من أبصر إليها أي: و من أبصر متوجها إليها ))<sup>(٥)</sup> أو أن الفعل ( أبصر ) الأول تضمن معنى ( اعتبر ) فعدها بـ ( الباء ) ، والفعل ( أبصر ) الثاني تضمن معنى ( مال ) فعدها بـ ( إلى )<sup>(٦)</sup> .

ومن هنا فإن دلالة الفعل ( أبصر ) الأول ، تختلف عن دلالة الفعل ( أبصر ) الثاني ؛ وذلك :

١- الفعل: أبصر الأول يحمل معنى البصيرة ، وهو مثل: أورق ، فـ ( أبصر بها ) ، أي : حصل على البصيرة وهو في الدنيا ؛ إذ جعل الدنيا سببا ووسيلة للهداية بالتفكير بها و الاعتبار من تجاربها ، فاستفاد منها وأعانته على ذلك و أرتة حقيقة الأمور فلا يغتر وينجو من مهالكها<sup>(٧)</sup> . أقول: أغلب الشراح عدّ قوله ( عليه السلام ) : ( من أبصر بها بصّرتة ... ) من صفات الدنيا المذمومة<sup>(٨)</sup> ، ولعل كلامه ( عليه السلام ) مدح للدنيا من باب أننا مخلوقون في هذه الدنيا للاختبار والامتحان ، والدنيا فيها الأرضية المساعدة على الهداية و النجاة ؛ وبمساعدهتها والاستعانة بها نصل إلى الغاية الحقيقية ؛ فهي مكان الطاعة وساحة المنافسة ، (( فإن الحياة الدنيوية بالنسبة لعباد الله الصالحين الذين عرفوا حقيقتها ونظروا إليها نظرة الوسيلة ، واستثمروا كل لحظات عمرهم بما ينفعهم ... لا تكون الدنيا بنظر هؤلاء مذمومة ، بل إنها تملك قيمة كبيرة ))<sup>(٩)</sup> ، وفي ذلك حثّ على التفكير والعلم والعمل وإعمار الأرض ، قال تعالى: { هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } [هود: ٦١].

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢٥٢/٤ .

(٢) شرح الرضي : ١٤٠ / ٤ ، وينظر : الكتاب لسيبويه : ١٥٣/١ .

(٣) ينظر: للمع في العربية : ٧٣ ، وأوضح المسالك : ٤٤/٣ . وقد ترتّب على أصالتها في هذا المعنى أنّها تدلّ على الغاية بشكل مطلق ، فهي تعمّ الزمان والمكان ، يقول ابن مالك : (( أردت بقولي للانتهاج مطلقاً شيئين : عموم الزمان والمكان ، كقولك : سرت إلى آخر النهار ، وإلى آخر المسافة. والثاني : أنّ منتهى العمل بها قد يكون آخراً وغير آخر ، نحو : سرت إلى نصف النهار ، وإلى نصف المسافة )): شرح تسهيل الفوائد : ١٤٤/٣ .

(٤) ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: ٧٠ .

(٥) ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: ٦١ .

(٦) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٢٤٠ / ٦ .

(٧) ينظر: حدائق الحقائق : ١ / ٣٧٨ .

(٨) ينظر: بهج الصباغة : ١١ / ٤٢٣ ، و اختيار مصباح السالكين: ١٨٩ .

(٩) ينظر: شرح نهج ..(ابن أبي الحديد) : ٢٣٨ / ٦ ، و شرح نهج.. (محمد عبده) : ١ / ١٣١ ، و بهج الصباغة: ١ / ١٩ ، و أيضا: شرح نهج..(ابن ميثم) : ٢ / ٢٢٧ .

، ومنهاج البراعة : ٥ / ٣٣٣ .

(١٠) دروس في العقيدة الإسلامية: ١٠٨/٣ .

٢- الفعل أبصر الثاني يحمل معنى البصر ؛ لتعلقه بالمادية ، و معنى ( أبصر لها ) ، أي: نظر لها ؛ فمن جعل الدنيا هي الغاية بحد ذاتها ، ووجه كلّ قدراته لأجلها يتطلّب جاهها و مالها و عزها<sup>(١)</sup> ، أعمته عن رؤية الحقيقة فلا يرى عيوبها و مهاوي مهالكها<sup>(٢)</sup> ، و أمالته عن النجاة و السعادة<sup>(٣)</sup> ؛ لما لها من القابلية و الأرضية المناسبة لذلك ؛ لذا إن (( أولياء الله نظروا إلى باطن الدنيا فاستوحشوا منها فنجوا ، و إنّ أهل الدنيا نظروا إلى ظاهر الدنيا فأنسوا بها و هلكوا ))<sup>(٤)</sup> .

وعليه فالتكثيف الحاصل بهذا الاستعمال ، أن كلاً من البصر و البصيرة يجمعهما معنى: الكاشفية – إن صح التعبير – غير أنه هناك من يستخدم هذه الكاشفية في البحث عن زينة الدنيا و زبرجها و لا يتعدى إلى غيرها ، و هناك من تعدى كشفه هذه الدنيا و نفذ إلى ما ورائها وهي الآخرة ، هذا من وجه.

ومن وجه آخر ؛ فإن هذا الجنس التام جمع حقيقة الدنيا وطريق الانسان فيها ؛ فالدنيا هي الدنيا - كما ( أبصر ) تطابق ( أبصر ) بالشكل و النطق - لكن لها وجهين على أسسهما يتحدد طريق الانسان : وجه جميل يستفاد منه للنجاة ، ووجه قبيح يؤدي للمهلكة والمعاناة ، و لابد للإنسان من أن يكون في خاتة أحدهما و يختار.

ومن لطيف استعمال الجنس قوله ( عليه السلام ) : (( إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَ البَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ ، وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا ، فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَ الأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ ، وَ البَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَ الأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ ))<sup>(٥)</sup> إذ قصد بلفظة ( الشاخص ) الأولى الراحل الذي يشخص للسفر ، و بتعبير آخر : ((كالمسافر يعمل عمل المسافر ، لا عمل القاطن ))<sup>(٦)</sup> ودلالته أن البصير من اتخذ الدنيا طريقاً للآخرة<sup>(٧)</sup> ، وتعني ( الشاخص ) الثانية: المرتقب المتلطف إلى أمر أدهشه ف (( الشاخص إذا فتح عينه وجعل لا يطرف ))<sup>(٨)</sup> بمعنى: قصر نظره إلى الدنيا ولم يبصر ما ورائها ؛ فزعم أنها دار القرار<sup>(٩)</sup> ، وراح ينغمس في ملذاتها وشهواتها .

(١) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ١ / ٣٠٨ .

(٢) ينظر: بهج الصباغة: ١١ / ٤٢٣ .

(٣) ينظر: معارج نهج البلاغة : ١٥٥ .

(٤) بهج الصباغة : ١١ / ٤٢٤ .

(٥) نهج البلاغة: ١٩١ .

(٦) توضيح نهج البلاغة : ٢ / ٢٩٩ .

(٧) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم) : ٣ / ١٥٦ .

(٨) شرح نهج..(ابن أبي الحديد) : ٨ / ٢٧٦ .

(٩) ينظر: منهاج البراعة : ٨ / ٣١٢ .

وكذلك وقع التجنيس في النص نفسه في لفظة (متزود) فالأولى ، تعني: من يأخذ زاد المسافر عن الدنيا ؛ بكونها مزرعة للأخرة<sup>(١)</sup> ، و منزل التّكليف ؛ لأنّ التزود لا يكون الا من دار التّكليف<sup>(٢)</sup> ، و( متزود ) الثانية ، تعني: من يعمل للدنيا بقصد الدنيا ؛ وسعى لها لتوهمه أنه باقٍ فيها<sup>(٣)</sup> ؛ ((و فرق كبير بين من يتزود للأخرة بالأعمال الصالحة و الخيرات و ما ينفع الناس ، و بين ذاك الذي يتزود للدنيا فإنه يقطع أرحامه و يفسد المجتمع و يسعى في إضلال الناس و هكذا لأن زاد الدنيا للدنيا يخالف زاد الآخرة))<sup>(٤)</sup> ،

وهنا زاد إعادة استعمال الجناس الدلالة كثافة ، باكتمال الصورة ؛ فلو قابلنا بين الألفاظ المتجانسة ، البصير ( الشاخص والمتزود ) ، والأعمى ( الشاخص والمتزود ) ، نلاحظ أن مسار البصير بدأ بالاستعداد و انتهى بالنجاة فحركته حركة متكاملة صحيحة ، أما الأعمى فقد بدأ بالاضطراب و انتهى بالهلاك مع عدم تحركه من مكانه فهو ناظر للدنيا و متزود لها ، وكذا جاء البصير على صيغة ( فعيل ) ولم يأتِ على صيغة ( مُبصِر ) ؛ فلو أتى بـ ( مبصر ) ؛ لاختلف معنى ( الأعمى ) وأصبح يدل على من لا يستطيع الرؤية البصرية ، لكن بصيغة ( فعيل ) جعل من دلالة الأعمى: أن هناك من يبصر و لا بصيرة له ، وما يكتف من هذه الدلالة ورود حرف ( من ) الذي يفيد التبويض<sup>(٥)</sup> مع البصير - الشاخص و المتزود - ؛ فكأن المسافر نظر إلى الدنيا فوجد النافع و المضر فأخذ النافع وترك المضر ، أما الأعمى - الشاخص و المتزود - ورد معه حرف اللام الذي يفيد الاختصاص<sup>(٦)</sup> ؛ فكأن الأعمى أراد الدنيا بكل ما فيها ؛ فحمل ما يضر و ما ينفع من غير تمييز .

وقد وقع التجنيس – أيضا - في قوله ( عليه السلام ) وهو يصف أولياء الله : (( وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ قَبَادِرُوا الْعَمَلِ ، وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوْا الْأَجَلَ ))<sup>(٧)</sup> ؛ إذ إن لفظة ( الأجل ) الأولى تعني : المدة من الوقت أو مدة العمر ، وتعني الثانية : الموت نفسه<sup>(٨)</sup> .

وهذا الاستعمال للجناس بحد ذاته مثل التنبيه للمتلقي ، ولفت نظره للتأمل والتفكر باللفظ الموهوم ، وقد ألمح ابن أبي الحديد لهذا التنبيه بقوله: (( إن قلت لماذا كرر لفظة الأجل و في تكرارها مخالفة لفن

(١) ينظر: حدائق الحقائق: ١ / ٦٠٢ .

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢٢٢ .

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٩٨ ، و منهاج البراعة: ٨ / ٣١٢ .

(٤) شرح نهج..(السيد عباس): ٢ / ٣٩٤ .

(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٠٩ .

(٦) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٩٦ .

(٧) نهج البلاغة: ١٦٩ .

(٨) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٧ / ٢٥٥ ، وينظر: منهاج البراعة: ٨ / ٥٩ .

البيان؟ ، قلت: إنه استعمالها في الموضوعين بمعنيين مختلفين))<sup>(١)</sup> ، لكنه لم يكشف النكتة في ذلك ؛ فلو تأملنا معاني اللفظين المتجانسين ، - ( مدة العمر ) ، ( الموت ) - ، نلاحظ أن دلالة الوقت متكررة ، فاستعمال الأجل بمعنى الموت ؛ لعلاقة الوقت بالموت ؛ والمعنى هو بما يقع في الوقت ، وعند الجمع بين معاني هذا الجنس نخرج بنكتة استعمال المتكلم للجناس ، وجميل تكثيف الدلالة فيه ؛ إذ يكتف الاستعمال - والله أعلم - دلالة شدة حرص هؤلاء على الوقت ، وعلو معرفتهم بقيمته ؛ فالموت مُتَوَقَّع بكل لحظة من لحظاته ، ومع كل نبضة قلب وزفير نفس ؛ لذا ابتعدوا عن الغفلة ، واستعدوا له قبل المفاجأة والبغطة .

وما يدعم هذه الدلالة استعمال الفعلين ( استقربوا ، و بادروا ) مع الأول -مدة العمر - و استعمال الفعلين ( كذّبوا ، و لاحظوا ) مع الثاني - الموت - ؛ إذ إن الزيادة في ( استقرب ) تدل على شدة استقرباهم لنهاية مدة العمر و إن كانت بعيدة ، يقال: (( استقرب المسافة: عدّها قريبة ))<sup>(٢)</sup> ، و بادروا العمل ، أي: أسرعوا بالعمل ؛ بل بأقصى سرعة ممكنة ؛ فالبادرة هي (( بلغة الغاية في الإسراع ))<sup>(٣)</sup> ، وحتى حرف الفاء - الدال على التعقيب<sup>(٤)</sup> - المتصل بالفعل زاد من هذا الإسراع ، وفيه حثّ كبير على العمل ، واستثمار الوقت من دون تضييع له. أما ( كذّبوا ) ؛ فجاء على صيغة ( فعّل ) المضعف العين الدال على حدوث الفعل مرات كثيرة<sup>(٥)</sup> ؛ فدلّ على شدة معرفتهم للأمل وتجده ؛ بحيث كلّما تشخّص لهم كذّبوه ، و( لاحظوا ) من اللحظ بمعنى (( نظر إليه بمؤخر عينه من أحد جانبيه فهو لاحظ ))<sup>(٦)</sup>؛ و كأنهم شاهدوا الموت ولم يشاهده غيرهم ، والدلالة أن الأمل مائل أمامهم باستمرار فيكذبوه ، ويرون ما وراءه وهو الموت ، في حين أن غيرهم صدّق الأمل فلم يلاحظ ما وراءه.

(١) شرح نهج..(ابن أبي الحديد):٢٥٥/٧.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ١٧٩١ .

(٣) تاج العروس ( بادر ) : ١٠ / ١٣٨ .

(٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٦١ .

(٥) ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: ٦٩ .

(٦) المعجم الوسيط: ٢/ ٨١٨ .

## المبحث الثاني

### التورية

تسمى التورية الإيهام والتخييل<sup>(١)</sup> ، وتسمى التوجيه، وهو أن يكون الكلام يحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليه ويهمل الآخر<sup>(٢)</sup> ، غير أن (( التورية أولى بالتَّسْمِيَةِ لقربها من مُطَابَقَةِ المُسَمَّى لِأَنَّهَا مصدر (وريت الْخَبْرَ تورية) إذا سترته وأظهرت غيره فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ ))<sup>(٣)</sup> ، والتورية كما ورد من تعريف اصطلاحى لها عند البلاغيين (( أن يطلق لفظ له معنيان، أحدهما قريب غير مراد، والآخر بعيد هو المراد ))<sup>(٤)</sup> ؛ فيتوهم السامع أول وهلة أن المتكلم يريد المعنى القريب وهو ليس بمراد له ، وإنما المعنى البعيد هو المراد<sup>(٥)</sup> ؛ (( فيكثر عند السامعين الفهم، ويكثر الاحتمال والتأويل ))<sup>(٦)</sup> .

وقد استعمل النص القرآني التورية في كثير من آياته المباركة ، يقول تبارك وتعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } [الأنعام: ٦٠] ، فلفظة التورية في الآية الكريمة هي جَرَحْتُمْ ولها معنيان: أولهما قريب ظاهر غير مراد وهو إحداث تمزق في الجسم، والثاني بعيد خفي مراد وهو ارتكاب الذنوب واقترافها<sup>(٧)</sup> .

وبعد هذا التعريف بمصطلح التورية لابد من أن نبيّن كيف تعد التورية من التكتيف؟! ، فقد يسأل سائل كيف تكون التورية من التكتيف ، مع أننا أثبتنا التكتيف يكون بالتركيز على الدلالة المرادة ، والتورية توهم السامع لما يريده المتكلم ؟ فتبعده عن القصد والمراد الذي يريده المتكلم ؛ وهذا يخرجها من كونها تكتيفا للدلالة .

وفي مقام الجواب نقول:

(١) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ٤/ ٥٩٥، و خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/ ٣٣٩، وأيضا:

تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر: ٢٦٨.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/ ٤٥.

(٣) الكليات: ٢٧٧.

(٤) جواهر البلاغة: ٣٠٠.

(٥) البلاغة ١ - البيان والبيدع - جامعة المدينة: ٤٣٩.

(٦) الفن ومذاهبه في النثر العربي: ٤١.

(٧) ينظر: علم البيدع: ١٢٥.

أولاً: من معاني التكنيف تعدد المعاني ، والتورية صورة من المشترك اللفظي تتعدد فيها المعاني فاللفظ المورى به يحمل معنيين: قريب غير مراد ، وبعيد هو المراد ؛ لذا تتعدد التأويلات للدلالة المطلوبة؛ فهي تفتح أمام المتلقي أفقا واسعة من الدلالة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: من قال إن إيهام السامع لم يكن مقصودا من المتكلم؟! فهذا أول الكلام ! ؛ بل إن مقتضى التورية أن يوهم السامع بمعنى قريب ؛ ليخفي في كلامه عن معنى بعيد هو المراد ؛ فإن (( إيهام التورية مما يتعمده الناظم، والتوهيم مما يتوهمه القارئ أو السامع ))<sup>(٢)</sup>، وقد جاء في كتب السيرة النبوية أن الرسول ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) (( كان إذا أراد غزاة أو سفراً إلى جهةٍ ورى بغيرها، ليعمّي الأخبار، حتّى لا يترصد له الأعداء ))<sup>(٣)</sup> ؛ وعليه فإن المعنيين – القريب والبعيد – مقصودان لدى المتكلم وإن كان المراد منهما البعيد ؛ والدلالات المستخرجة يجب في الاحوال كلها أن تخدم القصد<sup>(٤)</sup>.

وبهذا تمثل التورية صورة من أدق صور التكنيف ؛ فهي من جانب تحمل معنيين كلاهما مقصود عند الكلام ، ومن جانب آخر فإن المعنى المراد خفي وغامض ، وهذا الخفاء والغموض يذهب به العقل أي مذهب فتتعدد تأويلاته ودلالاته ؛ فهو من الغموض الفني المستحب ؛ إذ يحمل شيئاً من الألغاز حيث يبعد المتلقي عن المعاني المباشرة ؛ لأن الأداء المباشر يبعد عن الكلام إشعاع الإيحاءات المختلفة ؛ لذا يفتح المجال أمام المتلقي أن يذهب إلى تفسيرات مختلفة باختلاف قدرته على الكشف والتذوق<sup>(٥)</sup> ، وعليه تبين كيف يجمع المتكلم من التكنيف بين الغموض والإفهام<sup>(٦)</sup> ، و إن أبرز ما يظهر هذا المعنى للتكنيف التورية.

فلو تأملنا في لفظة التورية ( جرحتم ) في الآية { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } [الأنعام: ٦٠] ، والتي ضمت معنيين : معنى الجرح – وهو المعنى القريب – ومعنى ارتكاب الذنوب – وهو البعيد المراد - لوجدناها مكثفة الدلالة من عدّة جهات:

١- يمكننا أن نأخذ المعنى على ظاهره في لفظ التورية ( جرحتم ) ليضم كل جرح مادي ومعنوي فقد ورد في تفسير الثعالبي ( الجواهر الحسان في تفسير القرآن ) : (( ويحتمل أن يكون جَرَحْتُمْ هنا من الجرح كأن الذنب جرح في الدين، والعربُ تقولُ:

(١) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ١٤٣ / ٤ .

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٤٤٥ .

(٣) البلاغة العربية: ٣٧٣ / ٢ .

(٤) ينظر: التأويل الدلالي عند المعتزلة: ٤٠ .

(٥) ينظر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»: ٨٢ .

(٦) ينظر: التمهيد.

..... وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجِرْحِ الْيَدِ ((<sup>(١)</sup>).

٢- يحيل المعنى القريب إلى الجارحة ؛ وهذا يضمّ كل الجوارح من يد ورجل ولسان وعين وسمع استغنى عن ذكرها بذكر لفظ التورية هذا<sup>(٢)</sup> .

٣- ولو تأملنا في المعنى المورى عنه وهو ( ارتكاب الذنوب ) لتبيّنت لنا لطيفة من لطائف إعجازه تعالى في استعماله للتورية نفسها ؛ لما فيها من معنى للخفاء للمعنى المراد ، وهي مناسبة لمقامه عزوجل ولمقام السياق للآية ، فقد ورى عن ارتكاب الذنوب ولم يذكرها صراحة ؛ سترها لها حتى من الذكر في الآية ؛ كما سترها في النهار ، وتغاضى عنها في الليل كيف لا ؟ وهو ستار العيوب.

وقد استعملت التورية في كلام الامام علي ( عليه السلام ) ؛ لتكثف الدلالة المقصودة ، فمن بديع ذلك كلام له ( عليه السلام ) قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض (عليه السلام) بصره إليه ثم قال : ((وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ! حَائِكُ ابْنُ حَائِكٍ! مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ))<sup>(٣)</sup> ؛ فما ورد في جوابه للأشعث بن قيس قوله: (حائك ابن حائك) تحتل معنيين؛ الأول: قريب ، و يعني : الصفة المعروفة و هو الناسج ، والآخر: بعيد يراد به الكذاب أو النمام أو ناقص العقل ؛ فالسامع سواء كان الأشعث أم غيره يتوهم أن الإمام يقصد المعنى القريب ؛ لأن الأشعث وأباه من أهل اليمن ؛ وأهل اليمن يعيرون بالحيافة ؛ فتكون الدلالة أن الإمام عيّر به هذه المهنة ، وقد ورد في شرح ابن أبي الحديد (( إن أهل اليمن يعيرون بالحيافة و ليس هذا مما يخص الأشعث ))<sup>(٤)</sup> ، والى نفي المعنى القريب ( المورى به ) ذهب الراوندي و أول كلام الإمام ( عليه السلام ) قائلا: (( و أما الحيافة فليست بنقيصة لأهل الإسلام ، و إن كانت هذه الحرفة في الأراذل و السفلى في الأكثر ، و ذلك عيب عند أهل الدنيا و أهل الشرف ؛ فكأنه قال : أنت عندي معيب من حيث نفاقك ، و أبوك معيب من حيث كان كافرا ، و أنت عند نفسك و عند كل من يفتخر بشرف الدنيا معيب أيضا ، لأنك حائك ابن حائك ))<sup>(٥)</sup> ، لكن مع ذلك – من كلام للراوندي - لا يخرج من كونه ( عليه السلام ) أعاب عليه مهنته بشكل أو بآخر.

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٧٥ .

(٢) ينظر: التفسير الوسيط: ٥/ ٩١ .

(٣) نهج البلاغة: ٤٤ .

(٤) شرح نهج .. (ابن أبي الحديد): ١ / ٢٩٨ .

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ( راوندى ): ١ / ١٨٦ .



أما المعنى المورى عنه فقد اختلف فيه ؛ إذ ذهب ابن أبي الحديد إلى أن المقصود أن الحائكين أنقص الناس عقلاً<sup>(١)</sup> ، وتبعه الخوئي و الشارح القزويني إلى أن المورى عنه نقصان عقله وقلة تدبيره و استعداده<sup>(٢)</sup> .

وقد جمع ابن ميثم الأقوال وزاد عليها عدم أهليته - الأشعث- للاعتراض على الامام ( عليه السلام ) ، أو أنه ( عليه السلام ) عيّر بهذه الصنعة لصغر همته و رذائل أخلاقه من كذب وخيانة<sup>(٣)</sup> .

ومما يراه البحث أن الامام ( عليه السلام ) كُتِف الدلالة في هذه التورية ؛ حتى تعددت لها التأويلات ؛ فكل ما ورد من معانٍ مقصودة ومرادة ؛ ذلك لأنه يمكن أن يكون الامام قصد تعبيره بمهنة الحياكة وأراد معنى الحائك حقيقة ، (( و مما يؤيد إرادة الحائكية حقيقة في الأشعث و أبيه أنه ( عليه السلام ) لم يكن كباقي الناس لا يبالون في أقوالهم عن تجاوز الحقيقة ))<sup>(٤)</sup> ، أو أن يكون عيّر به معنى ثانٍ للفظ ( الحياكة ) هو التخنيث و التبختر<sup>(٥)</sup>؛ فورى بهذا المعنى عن فساد الأخلاق و قلة المروءة<sup>(٦)</sup> ؛ فالتبختر دليل على فساد أخلاقه الذي يستدعي بُعد استشارته و سماع رأيه ، والتخنيث دليل على قلة المروءة ؛ المستدعي لخيانته ، أو (( يكون المراد بالحياكة نسج الكلام ، فيكون كناية عن كونه كذاباً كما روي عن أبي عبدالله ( عليه السلام ) أنه ذكر عنده : إنَّ الحائك ملعون ، فقال : إنّما ذاك الذي يَحُوك الكذب على الله وعلى رسوله ))<sup>(٧)</sup> ، ومن هذا المعنى ذهب أحد الباحثين إلى أن المراد حائك المؤامرات و الدسائس<sup>(٨)</sup> .

وما يمكننا استنتاجه من دلالة مما تقدّم أن الامام ( عليه السلام ) أشار إلى استمرارية حياكة المكائد و الدسائس من هذا الشخص ملمحا في ذلك إلى علاقة الأشعث بقتله ( عليه السلام ) في القريب العاجل<sup>(٩)</sup> ، و متنبئ ( عليه السلام ) باستمرار هذه المكائد و الدسائس من أبنائه ؛ إذ كان بيت الأشعث بيت حقد و حسد و نفاق<sup>(١٠)</sup> ؛ وما يدعم هذا المعنى مقارنة كلامه ( عليه السلام ) - مما تقدم هذا الوصف - ( عليك لعنة الله

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة : ١٧٦ / ١ .

(٢) ينظر: منهاج البراعة : ٢٨٦/ ٣ ، وينظر: شرح نهج البلاغة (القزويني الحائري): ٥٩/ ٢ .

(٣) ينظر: شرح نهج ..(ابن ميثم): ١ / ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٤) بهج الصباغة : ١٦ / ٨ ، وينظر: سوسيولسانيات نهج البلاغة: ٢٦٤ .

(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ( حاك ) : ٤ / ١٥٨٢ ، و أساس البلاغة ( ح ا ك ) : ١ / ٢٢٦ .

(٦) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢٧٥/١ .

(٧) بحار الأنوار : ٣٣ / ٤٣٢ .

(٨) ينظر: المسكوت عنه في نهج البلاغة: ٩٥ .

(٩) إذ (( روي أن ابن ملجم أتى إلى الأشعث في الليلة التي أراد أن يفتك بالامام ( عليه السلام ) و الأشعث في بعض نواحي المسجد ، فسمع حجر بن عدي الأشعث يقول لابن ملجم : النجا النجا فقد فضحك الصبح . فقال له حجر : قتلته يا أعور و خرج مبادرا إليه ( عليه السلام ) و سبقه ابن ملجم و ضربه )) : بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١٢/ ٨ ، وينظر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠٨ / ٦ .

(١٠) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٦ / ٤٩ ، وينظر: منهاج البراعة : ٣ / ٢٨٤ .

ولعنة اللاعنين ) مع ما رُوي عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) من أن : (( رجلين من ولد الأشعث استأذنا على الصادق ( عليه السلام ) ، فلم يأذن لهما ، فقيل له : إن لهما ميلا و مودة ؛ فقال ( عليه السلام ) : إن النبي ( صلى الله عليه و آله ) لعن أقواما ، فجرى اللعن فيهم و في أعقابهم إلى يوم القيامة ))<sup>(١)</sup>.

ومن موارد توظيف التورية في تكثيف الدلالة قوله ( عليه السلام ) : (( أَلْحَمْدُ لِلَّهِ النَّائِثِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلُهُ وَ الْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدُهُ ))<sup>(٢)</sup> و اليد هنا تحمل معنيين : قريب وهو الجارحة وهذا مستبعد ؛ لأن المقصود الله وهو منزّه عن المادة ، ومعنى بعيد : هو النعمة (( فقد أريد النعمة مع اقترانها بما يلائم معناها القريب و هو البسط فتدبر ))<sup>(٣)</sup> ، وبالتدبر لترشيح المعنى القريب – اليد -<sup>(٤)</sup> وإخفاء المعنى البعيد – النعمة - نجد أن هذه التورية حملت تكثيفا للدلالة من عدّة جهات:

١- فإذا ما قرنا البسط – المرشح للمعنى القريب - مع اليد تعطي معنى آخر وهو مد النعمة (( فكما أنّ الانسان إذا أراد أن يعطي أحدا شيئا مد يده- أي بسطها - ليناوله، كذلك الله سبحانه، من باب تشبيهه المعقول بالمحسوس تقريبا إلى الذهن و إلا فلا يد لله سبحانه فإنّه منزّه عن الجسم و عن عوارض الجسم ))<sup>(٥)</sup>.

٢- وبالتأمل في المعنى البعيد لليد مع ما تقدم من مد وديمومة للنعمة يمكننا أن نشير إلى أنه ( عليه السلام ) خير مصداق لتلك اليد و تلك النعمة ، وبه يتحقق ذلك البسط من الله بعده بالأئمة الاثني عشر ( عليهم السلام ) إلى الامام المهدي ( عج ) وما يدعم القول بهذا المعنى:

- قول ابن أبي الحديد: (( و اعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في الجمعة الثالثة من خلافته و كنى فيها عن حال نفسه... ))<sup>(٦)</sup> ، و أخبر فيها بما يكون بعده ( عليه السلام ) من أمر الأئمة ( عليهم السلام )<sup>(٧)</sup> ، (( كما يخبرهم أنه لا بد من ظهور إمام هو الإمام المنتظر و على يديه يكون الفرج... ))<sup>(٨)</sup>.

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٨.

(٢) نهج البلاغة: ١٤٥ .

(٣) منهاج البراعة: ١٦٣/ ١ . وينظر: شرح نهج .. (المجلسي): ٣٣٥/ ١.

(٤) وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام - مجردة، ومرشحة ومبينة ومهيأة ؛ فالمجردة - هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين، و المرشحة - هي التي اقتترنت بما يلائم المعنى القريب، والمبينة هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد وهي أيضا قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد. والمهيأة - هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٣٠٠.

(٥) توضيح نهج البلاغة: ١٢٥/ ٢.

(٦) شرح نهج .. (ابن أبي الحديد): ٩٣/٧.

(٧) ينظر: منهاج البراعة : ١٥٧/ ٧.

(٨) شرح نهج .. (السيد عباس): ١٦٣/ ٢.

- مما ورد في معنى النعمة أن المقصود هم الرسول وآل بيته ( عليهم السلام ) وولايتهم ؛ جاء في تفسير قوله تعالى: {ثُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: ٨] جملة من التأويلات ؛ فذكر الرازي نقلا عن الإمام الباقر ( عليه السلام ) قال : ((... فَقُلْتُ: مَا تَأْوِيلُهُ؟ قَالَ: النَّعِيمُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ فَاسْتَنْفَذَهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ...))<sup>(١)</sup>، وروى المجلسي رحمه الله في حديث طويل عن الصادق ( عليه السلام ) قوله: ((... نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد... و هي النعمة التي لا تنقطع، و الله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم، و هو النبي ( صلى الله عليه و آله ) و عترته عليهم السلام))<sup>(٢)</sup>.

وبذلك يظهر لنا كيف أن الامام علي ( عليه السلام ) ركز الفكرة و عمق الدلالة في هذه التورية ؛ لتعطي لنا دلالات مكثفة مجتمعة ومنسوبة بالشكل الذي يفتح الباب للتأويل والتحليل .

ومما قاله لأصحابه ( عليه السلام ) - من تورية كُتِّفَ فيها الدلالة - في حربه مع أهل الشام : (( عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ الرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ<sup>(٣)</sup>، فَاضْرِبُوا تَبَجَةً<sup>(٤)</sup> فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ، وَ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا وَ آخَرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمْدًا صَمْدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَ أَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ))<sup>(٥)</sup> . قال ابن ابي الحديد (( و قوله: ( فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ) يحتمل وجهين ، أحدهما: أن يعنى به الشيطان الحقيقي و هو إبليس ، و الثاني: أن يعنى به معاوية ))<sup>(٦)</sup> ، و الثاني هو الأظهر للقرينة التي تؤيده ، و هي قوله ( عليه السلام ) : ( قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا، وَ آخَرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا ) : أي إن جبنتم وثب، و إن شجعتكم نكص: أي تأخر<sup>(٧)</sup> ، وقد نفى المجلسي هذا المعنى ، و احتمل معنى آخر بقوله : (( و ( الشيطان ) هو إبليس لا معاوية كما قيل ؛ لأنه كان بارزا في الصدر لا كامنا في الكسر ... و يحتمل أن يراد بالشيطان عمرو بن العاص ))<sup>(٨)</sup> ، و تبعه في هذا الاحتمال الخوئي<sup>(٩)</sup> ، و أيًا كان المعنى الثاني معاوية أو ابن العاص ؛ فإن في هذه التورية رموزا و إشارات ضُغِطت لتحليل إلى دلالات يفهمها المتلقون كلُّ بحسبه وزمانه ؛ إذ إن إطلاق لفظة الشيطان – التي هي على وزن ( فيعال ) من شطن

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : ٢٧٥ / ٣٢ .

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : ٨٩ / ٢٢ .

(٣) الرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ: الفسطاط المشدود بالأطناب ، و الطَّنْبُ – بضمين – حبل يُشدُّ به سرادق البيت : ينظر:

الأمثال والحكم: ٣٠٨ .

(٤) التَّبِجُ : الوسط : الأمثال والحكم: ٣٠٨ .

(٥) نهج البلاغة: ٩٧ .

(٦) شرح نهج..(ابن أبي الحديد) : ١٧٤ / ٥ .

(٧) ينظر : الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: ٣٠٩ .

(٨) شرح نهج .. ( المجلسي ): ١ / ١٩٤ .

(٩) ينظر: منهاج البراعة : ٥ / ٢٧ .

بمعنى : بُعد عن الخير أو بعد غوره في الشر<sup>(١)</sup> - ويراد به معاوية أو ابن العاص يشير إلى شباهتهما بالشیطان في الإضلال عن سبيل الله سبحانه<sup>(٢)</sup>؛ بل يعطي دلالة أنهما من شياطين الإنس ، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ } [الأنعام: ١١٢] ، وفيها تنبيه وإفات نظر لأصحابه أن يكونوا على وعي كامل من تدابير هذين الرجلين - معاوية وابن العاص - فهما يديران الأمور بالحيل والمكر والخديعة ، ولعل فيها أمر بقتل هذين الرجلين مهما حصل من حيل ؛ فالفتنة لا تنتهي إلا بالقضاء عليهما<sup>(٣)</sup>، وكذا فإن مما يُستفاد من هذا التكتيف في مثل هذه النصوص التي تتعدى زمانها ؛ الكون على حيلة وحذر ، وعدم الاطمئنان لكل من ينهج نهج الشيطان تحت أي مسمى كان .

ومن التوريات ما يحتاج إلى قراءة جديدة ، تستجلي منها الدلالة المعقدة ؛ حتى تناسب هذا النص الحي ؛ ففي قوله ( عليه السلام ) : (( وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً ))<sup>(٤)</sup> تورية مبيّنة للمعنى البعيد ؛ إذ إن ( سراج ) تحمل معنيين: معنى قريب غير مراد ، وهو السراج الحقيقي ، ومعنى بعيد مراد عنى به الشمس ، وجاء بما يلائم المعنى البعيد وهو الجريان<sup>(٥)</sup> ، والسؤال هنا : لِمَ ورى عن لفظ الشمس ، وصّرح بلفظ القمر ؟ ، وهل في توريته بلفظ ( سراج ) إيهام لمعنى ( الشمس ) ؟ أو هو مدعاة للتأمل والتفكر ؛ فضمن هذا الاستعمال الملفت دلالة تتعدى الزمن الذي قيلت فيه !؟ .

ومن هنا يمكن القول: إن في هذه التورية دلالات تكشف عن حقائق علمية ، أراد الإمام تكتيفها بألفاظ دالة على ذلك ؛ فلو جننا إلى تعريف لفظ ( السراج ) لغة ، نجد أنه (( يُقَالُ لَهُ النَّبْرَاسُ ... والمصباح ))<sup>(٦)</sup> ، وأيضا هو اسم من أسماء الشمس<sup>(٧)</sup> ؛ فمن (( المجاز... الشمس سراج النهار ))<sup>(٨)</sup> أي: ضوءه ، و يقال (( أسرج السراج أي: أوقد السراج ))<sup>(٩)</sup> فهو ما يوقد للإضاءة ، أو هو الضوء نفسه ؛ إذ أن كل من المصباح أو النبراس أو الشمس يستدل بها<sup>(١٠)</sup> ، والحقيقة أن ما يستدل به هو ضوءها ، والوقد

(١) (الشیطان) : إمّا أن يكون على وزن فعلان من شاط يشيط بقلب ابن آدم أي مال به وأهلكه، وإمّا أن يكون على وزن فيعال من شطن أي بعد كأنه بعد عن الخير أو بعد غوره في الشر. ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٧/١.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ٥ / ٢٧ .

(٣) وهذا بالفعل ما حصل من فتنة عند رفع المصاحف وتخاذل الجيش عنه ( عليه السلام ) ؛ غير أن مالك الأشتر التزم بالأوامر -عندما رفعت المصاحف - حيث شقّ الجيش لوحده حتى انتهى إلى خيمة معاوية - وفيها ابن العاص أيضا - ولولا وصول خبر محاصرة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) من المخدوعين قضى عليهما ، ينظر: الكامل في التاريخ: ٦٦٧ / ٢.

(٤) نهج البلاغة : ٤٠ .

(٥) ينظر: منهاج البراعة: ١ / ١٦٤ ، و ينظر: أعلام نهج البلاغة (السرخسي): ٤٠ .

(٦) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : ٢٢٣ ، وينظر: المنجد في اللغة: ٣٣١ .

(٧) معجم أسماء الأشياء: ٣٧ .

(٨) أساس البلاغة (سرج) : ٤٤٨ / ١ .

(٩) تكملة المعاجم العربية (سرج) : ٥٦ / ٦ ، وأساس البلاغة (سرج) : ٤٤٨ / ١ .

(١٠) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (سرج) : ٢٦٩ / ٧ .

لا يكون إلا للنار ف (( النار (تقد) وقد ووقودا ))<sup>(١)</sup>، وعليه فإن كل مسروج مادته النار ، والنار ذات الضوء ، و (( يفرق بأن التور الذاتي يسمّى ضياء، و ما بالعرض يسمّى نورا ))<sup>(٢)</sup>.

والسراج هو ما يضيء بوضوح من غير دخان ، (( قَالَ الْجَعْدِي<sup>(٣)</sup> :

يُضِيءُ كضَوْءِ سراج السليطِ ... لم يجعل الله فيه نحاسا

... والنحاس: الدخان ))<sup>(٤)</sup> ، وقيل : (( السراج يزهر أي ليس فيه غل ولا غش ))<sup>(٥)</sup> ؛ وعليه فإن المعنى للسراج هو النار الواضحة التي لا دخان فيها ، ولو وضعنا مكان السراج الشمس لكان التعريف: الشمس هي النار الواضحة التي لا دخان فيها ، وهذا ما أثبتته العلم في العصر الحديث من أن الشمس: عبارة عن كتلة كبيرة من النار تحوي انبعاثات غير دخانية .

و كذلك في تورية الشمس والتصريح بالقمر إشارة إلى أن الشمس (( مصدر الطاقة الحرارية ؛ نظرا للفاعلات الذرية في داخلها، والاشعاع الشمسي المنبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والأرض والأقمار وسائر أجرام السماء غير المضيئة، أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد على سطحه ))<sup>(٦)</sup>؛ فهو عاكس لضوء الشمس .

وقد استعمل الامام ( عليه السلام ) في بعض خطبه التورية<sup>(٧)</sup> بشكل مكثف ، ومنها الخطب التي تزامنت مع الفتن من مقتل عثمان وتوليه الخلافة ، كقوله ( عليه السلام ) في قتل عثمان: (( لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَ مَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْتَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ<sup>(٨)</sup> وَ جَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْتِرِ وَ الْجَارِعِ ))<sup>(٩)</sup> ، قال الشارح القزويني: (( و لا يخفى ما في هذه

(١) المعجم الوسيط ( وقد ) : ١٠٤٨ / ٢ .

(٢) منهاج البراعة : ٣٧١ / ١ .

(٣) ديوان النابغة الجعدي : ١٠٠ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ( سرج ) : ٢٠٠ / ٣ .

(٥) مجمع بحار الأنوار ( سرج ) : ٣٤١ / ١ .

(٦) القرآن وإعجازه العلمي : ٧١ ، وينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : ٢٦ / ٢ .

(٧) أوردنا فيما سبق من تعريف التورية بأنها التوجيه والتوجيه (( هو أن يؤتى بكلام يحتمل على السواء معنيين متباينين، أو مضادين كهجاء ومديح ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه )) والجامع بينهما – بين التوجيه والتورية – الإيهام للسامع الموجود في التوجيه والتورية وقد عرفت التورية بأنها التوجيه ، غير أن هناك من فرق بينهما بفرق وهو أن التورية تتحقق باللفظ الواحد ، أما التوجيه فيتحقق بعدة ألفاظ : ينظر: منهاج الواضح للبلاغة : ١ / ١٦٩ ، و خزنة الأدب وغاية الأرب : ٢ / ٤٥ ، و أيضا: مفتاح العلوم : ٤٢٧ .

(٨) الأثرة : الاستبداد بالشئ، يقال: لما يستبد به: اختيار مصباح السالكين : ٣٤٠ .

(٩) نهج البلاغة : ٧٣ .

الكلمات من الإيجاز و الإبهام، و الإشارة و التلويح، على العارف الفطن الذكي ((<sup>(١)</sup>)؛ فإنّ قوله : (لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا ) يحتمل كونه في عداد القاتلين ، ويحتمل كونه في عداد الناصرين ؛ إذ الأمر بالقتل يسمّى قاتلا عرفا ، و النَّاهي عنه يسمّى ناصرا<sup>(٢)</sup>)، وقوله عليه السلام: (وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعَ فِي الْمُسْتَأْتَرِ وَالْجَارِعِ ) نظير ما سبق ؛ إذ يحتمل أن يكون المقصود بالحكم الواقع في الدنيا للقاتل والمقتول بسبب الإساءة في الاستيثار و الجزع ، ويحتمل : في الآخرة دار الثواب والعقاب ؛ فقد أبهم المراد من النص لاقتضاء الحال و المقام<sup>(٣)</sup> ، إذ كان الناس على فرق شتى ؛ لذا استعمل الإمام هذا النمط في كلامه مكثفا حتى يوافق كل من سمعه ويظن أنه على رأيه ، وإلى هذا المعنى أشار ابن أبي الحديد بقوله : (( ... مني بهذه الرعية المختلفة الأهواء و هذا الجيش العاصي له المتمرد عليه ... فليس يبلغ أحد في حسن السياسة و صحة التدبير مبلغه و لا يقدر أحد قدره ... فضلا عن أحواله التي دفع إليها مع أصحابه جرت مجرى المعجزات لصعوبة الأمر و تعذره فإن أصحابه كانوا فرقتين ، إحداهما: تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما ... و الأخرى ... يعتقدون أن عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل ... و كل من هاتين الفرقتين يزعم أن عليا ( عليه السلام ) موافق لها ...))<sup>(٤)</sup> .

وفي كلا الموضوعين من النص ركز الامام ( عليه السلام ) الدلالة على تبرئته و عدم تدخله بالأمر أو النهي ، حفاظا منه على الأمة الاسلامية و وحدتها ، مما يكشف عن معاناته و جميل صبره ( عليه السلام ).

(١) شرح نهج..(القزويني) : ٢ / ٢٢١ .

(٢) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ١٣٥ .

(٣) ينظر: شرح نهج..(القرن الثامن): ٣٧٣ ، و توضيح نهج البلاغة : ١ / ١٦٦ ، و شرح نهج..(ابن ميثم): ٢ / ٥٧ .

(٤) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٧ / ٧٣ .

## المبحث الثالث

### الأضداد

الأضداد جمع ( الضدّ ) من الفعل ( ضدّ ) ، و الضدُّ لغة: هو (( كلّ شيءٍ ضادٌّ شيئاً ليغلبه، والسّواد ضدُّ البياض والموتُ ضدُّ الحياة، تقول: هذا ضده وضديده، والليل ضد النهار، اذا جاء هذا ذهبَ ذلك ))<sup>(١)</sup> ، أما اصطلاحاً ؛ فقد عرّف السيوطي ( الأضداد ) بقوله: (( هو نوع من المشترك ...[و] المُشترك يقعُ على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين فما يقع على الضدين كالجون وجلل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين ))<sup>(٢)</sup> ، وقد فرّق أبو الطيب اللغوي بين الأضداد والمخالفة بقوله: (( وليس كلُّ ما خالف الشيءَ ضداً له ، ألا ترى أنّ القوةَ والجهلَ مختلفان وليسا ضديّين ؛ وإنّما ضدُّ القوة الضعفُ ، وضدُّ الجهل العِلْمُ ، فالاختلاف أعمُّ من التضادّ ، إذ كان كلُّ مُتضادّين مختلفين وليس كل مختلفين ضديّين ))<sup>(٣)</sup> ، وعلى هذا فإن الأضداد نوع من المشترك اللفظي ؛ فاللفظ يطلق على الشيء وضده ولا يُراد به في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد<sup>(٤)</sup> ، وما نقصده في البحث من تكثيف باستعمال لفظ التضاد : هو استعمال اللفظ الذي يتضمن المعنى وضده أو شيئاً من ضده في حال التكلّم والإخبار ؛ فقد يكون للكلمة أكثر من معنى وليس في العبارة ما ينص على أحدها أو يمنع من احتمال بقية المعاني<sup>(٥)</sup> ، وللتوضيح - نورد مثلاً - لفظة ( قسَط ) وضعت لتدل على العدل والجور ؛ ففي قوله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٥] لا يمكن أن تحمل معنى العادلون بقريئة ( كانوا لجهنم ... ) ، قال ابن الانباري : (( يقال: قَسَطَ الرَّجُلُ إِذَا عَدَلَ، وَقَسَطَ إِذَا جَارَ ... قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} ، أَرَادَ الْجَانُّونَ ))<sup>(٦)</sup>.

في حين لفظة ( عسّس ) التي (( يقال: عسّس اللّيل، إذا أدبر، وعسّس إذا أقبل ))<sup>(٧)</sup> ؛ ففي قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَّسَ} [التكوير: ١٧، ١٨] قال الفراء : (( اجتمع المفسرون: على أن معنى ( عَسَّسَ ) : أدبر، وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسّس: دنا من أوّله ، ويقال : أظلم ))<sup>(٨)</sup> ، وفي دنوه

(١) العين : ٦ / ٧ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٠٤ / ١ .

(٣) الأضداد في كلام العرب : ٣٣ .

(٤) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٢ .

(٥) ينظر: الجملة العربية والمعنى: ١٢ .

(٦) الأضداد لابن الأنباري: ٥٨ .

(٧) الأضداد لابن الأنباري : ٣٢ .

(٨) معاني القرآن للفراء : ٢٤٢ / ٣ .

وظلامه إقبال<sup>(١)</sup> ، غير أنه يمكن أن تحتل الدلالة كل المعاني المذكورة إذ لم ترد قرينة تدعم معنى من دون آخر ؛ بل يعطي دلالة أعظم ؛ إذ يقسم الباري عزوجل بكل حالات الليل من دنو و إقبال و إدبار ؛ فكلها آيات من آياته وبديع نظمه .

و بذلك يمكننا استنتاج قاعدة عامة ، وهي: أن الاضداد إذا خلت من القرينة التي تدعم معنى من دون آخر في الاستعمال ؛ يمكن أن تحتل كل المعاني التي تدل عليها .

وبناء على ما تقدّم يتضح ما نقصده من تكثيف للدلالة باستعمال لفظ التّضاد ، و كذا يتأكد أن مثل هذه النصوص العالية – القرآن الكريم ، كلام النبي (ص) ، نهج البلاغة - لا تأتي الألفاظ فيها اعتباطا كيف ما جاءت ؛ إنما تنظم بقصد ، يكشف عن تمكن المتكلم من اللغة .

ومن ألفاظ الأضداد التي وردت في نهج البلاغة لفظة ( وراء ) ، قال ابن الأنباري: (( و وراء من الأضداد ، يقال للرجل: وراءك، أي: خلفك، و وراءك ، أي: أمامك ))<sup>(٢)</sup> ؛ فهي تحمل الدلالة المكانية ، وقد استعمل الامام علي ( عليه السلام ) هذا المعنى لـ ( وراء ) في خطبة له ( عليه السلام ) يتحدث فيها عن صفات الله عزوجل ، قال: (( ... وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامٌ ... ))<sup>(٣)</sup> والمعنى للفظ الاضداد ( وراء ) هنا لا يحتمل معنى غير معنى ( الخلف ) بقرينة السياق اللغوي – لفظ ( أمام ) - و قرينة المقام – الحديث عن صفات الله - وجاء في شرح هذه العبارة أنه تعالى : (( لو كانت تجري عليه الحركة لكان جسما فإذا تحرك إلى الأمام كان له خلف ))<sup>(٤)</sup> .

وأضاف الفراء الدلالة الزمانية للفظة ( وراء ) عند بيان دلالة ( وراءهم ) في قوله تعالى: { وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } [الكهف: ٧٩] ، قال: (( وقوله: وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ... أي: أنها بين يديه ، ولا يجوز أن تقولَ لرجل وراءك: هُوَ بين يديك، ولا لرجل هُوَ بين يديك: هُوَ وراءك، إنما يجوز ذَلِكَ فِي المواقيت من الأيام والليالي والدهر أن تقولَ: وراءك برد شديد: وبين يديك برد شديد لأنك أنت وراء فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنه إذا لحقك صارَ من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. فلذلك جاز الوجهان ))<sup>(٥)</sup> ، وقد عمّ الدلالة ابن قتيبة إلى أبعد من ذلك ؛ إذ قال: (( كل ما غاب عن عينك فهو وراء كان قدّامك أو خلفك ))<sup>(٦)</sup> ، وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن ( وراء ) يمكن أن تحمل المعاني المتضادة و الدالة على المكان أو الزمان ، المادي أو المعنوي ، والسؤال هنا : هل يمكن أن تُجمع هذه الدلالات أو

(١) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن : ٨٦٨ / ٢ .

(٢) الأضداد لابن الأنباري: ٦٨ .

(٣) نهج البلاغة: ٢٧٢ .

(٤) شرح نهج.. (السيد عباس) ٢٣٦ / ٣ . وينظر: شرح نهج.. (ابن أبي الحديد): ٧٨ / ١٣ .

(٥) معاني القرآن للفراء : ١٥٧ / ٢ .

(٦) تأويل مشكل القرآن: ١٢٠ .



بعضها في استعمال واحد لهذه اللفظة؟! ، وإن جمعت هذه الدلالات ، فماذا يسمى هذا ؟ ألا يعدّ من التكتيف الدلالي؟! .

نعم ، جاءت لفظة ( وراء ) في سياق كثفت الدلالة باستعمالها ، ففي خطبة للإمام علي (عليه السلام) وهو يعظ الناس و يحذرهم ، قال : (( أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ، أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ ، أَلَا وَ إِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ؛ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ ، وَ مَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ؛ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ ))<sup>(١)</sup> ؛ إذ نجد أن قوله : (ألا و إنكم في أيام أمل من ورائه أجل ) الذي تضمن لفظة ( وراء ) قد مثّلت فيه هذه اللفظة المحور لتركيز الدلالة وتكتيفها كما سيتضح عند بيان العبارة ، فما قصده بـ (( أيام الأمل: حياة الإنسان، و الأجل: الموت ))<sup>(٢)</sup> أو النهاية<sup>(٣)</sup> أو المدة للشيء ، والأمل: امتداد النظر إلى ما يرجوه من بين يديه<sup>(٤)</sup> ، أي: بعد انقضاء مدة ما يرجوه الإنسان يكون الموت أمامه<sup>(٥)</sup> ، فزمان الطلب و العمل من حياة الإنسان منقطع بلحوق الموت و حلوله<sup>(٦)</sup> ؛ وعليه فإن لفظة ( وراء ) كثفت الدلالات للعبارة ، و مثّلت المحور لها ؛ من حيث :

١- أن الأمل مدته حياة الإنسان ينقطع بحلول الموت ، وباستعمال لفظة ( وراء ) دلّ على أن الموت محيط بالإنسان من نقطة البداية وحتى حلوله ؛ إذ لا يعلم أ بأول المدة أو بمنتهىها أو بأخرها يحل؟! ؛ فهي جمعت المتضاد من ظرف الزمان للإنسان ماضيه و حاله ومستقبله .

٢- دلالة الإحاطة لللفظة ( وراء ) لا تقتصر على المدة و ظرف الزمان فقط ، وإنما تشمل الظرف المكاني للإنسان قال تعالى: { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } [لقمان: ٣٤] ؛ فالموت بأيّ صورة ، وعلى أيّ حالة ، وفي أيّ مكان يأتي للإنسان ؟ لا يعلم ؛ فهو متوقع خلفه وأمامه وأعلىه وتحتة .

وبالنظر إلى السياق و المقام – مقام الوعظ والحث والتحذير – مع ما تقدم من دلالات ومعانٍ ؛ نلاحظ دلالة من جهة أخرى و أكثر إيجابية – والله أعلم - أن المتكلم جعل محور دلالاته ومراداة هو: إنشاء الدافعية لدى المتلقي نحو التوبة و العمل الصالح و الاجتهاد الحسن ، وما مثّل هذه الدلالة لفظة ( وراء ) ؛ إذ جاء بالجملة الاستفهامية - ( أَفَلَا تَأْتِبُ... أَلَا عَامِلٌ... ) - المرغبة بالتوبة و الرجوع إلى الله ، ثم جاء

(١) نهج البلاغة: ٧١ .

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ١/ ١٩٦ .

(٣) شرح نهج.. (القرويني): ١٨٣/٢ .

(٤) شرح نهج.. (القرن الثامن): ٣٥٠ .

(٥) توضيح نهج البلاغة: ١/ ١٥٧ .

(٦) شرح نهج.. (ابن ميثم): ٤٥/٢ .

بالجمل الشرطية - (فَمَنْ عَمِلَ ... فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ... وَ مَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ؛ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ ) - الحائثة على العمل ، و تتوسط الاستفهام والشرط لفظة ( وراء ) مسندة إلى معنى الموت ، وفي كل ذلك مثلت لفظة الأضداد ( وراء ) - وبإسنادها للأجل - دلالة الدافعية ؛ إذ إن ( وراء ) لم ينسلخ منها معنى ( الخلف ) ؛ لكن مع ظلال المعاني الأخرى ؛ لتعطي دلالة تبعث بالنشاط والحيوية ، والمعنى : أ جعلوا الموت نقطة حسنة في حياتكم يدفعكم إلى التوبة و العمل و الاجتهاد ، وكان الموت شخص خلف كل واحد منكم ويدفعه ، وهذا المعنى كثيرا ما نستعمله في العامية ؛ كقولنا لأحدهم: ( نام وراك امتحان ) ، أي إن ما يدفعك إلى النوم هو الامتحان ، وهذه دلالة مرغبة في معنى الموت ، ونظرة إيجابية نحو الموت .

ولنقف عند صورة أخرى من بدائع استعمال ألفاظ الأضداد في تكثيف الدلالة ، كما في استعمال الفعل ( ظَنَنْتُ ) في خطبة له ( عليه السلام ) ، يصف أصحابه بصفين لما طال منعه لهم، من قتال أهل الشام، إذ قال: (( فَتَدَاكُؤَا عَلَيَّ تَدَاكُؤَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وَرَدِهَا ، وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِيهَا ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ))<sup>(١)</sup> ، و الفعل ( ظَنَّ ) من الأضداد ؛ إذ ذهب بعض الباحثين في الأضداد إلى أن (( الظنَّ اليقين، والظنَّ الشك ))<sup>(٢)</sup> ، و (( الظنَّ هو أعلى درجات العلم ، وهو الشعور في الذهن الذي يصل إلى أعلى درجات العلم؛ وهذا الظنَّ الذي يصل إلى درجة التوكيد ))<sup>(٣)</sup> هو علم مالم يُعابن<sup>(٤)</sup> ؛ فقد جاء في تفسير قوله تعالى: { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } [القيامة: ٢٨] (( وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ أَي: أيقن، وهذا يقين فيما لم يَقَعْ بعد ؛ ولذلك اسْتُعْمِلَتْ فِيهِ لَفْظَةُ الظن ))<sup>(٥)</sup> ، وأوضح الألويسي نكتة هذا الاستعمال بقوله : (( إنما سمي اليقين هاهنا بالظن ؛ لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاءه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة ، أو لعله سماه بالظن على سبيل التهكم ))<sup>(٦)</sup> .

ولو تأملنا الفعل ( ظَنَنْتُ ) - مع ما تقدم من دلالة له - في قول الإمام ( عليه السلام ) : ( حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ) ؛ لتبين لنا دقة المتكلم باختيار الألفاظ و استعمالها في المكان المناسب والموقف المناسب ؛ ليكسبها قوة وإشعاعا إلى الحد الذي تُكثَّفُ الدلالة باستعماله ، إذ جاء في شرح هذه العبارة أن (( معنى ( ظننت ) : أن المحل كان محل الظن، فإنَّ شدة الازدحام يوجب أن يداس

(١) نهج البلاغة: ٩٠ .

(٢) ثلاثة كتب في الأضداد: ٣٤ ، وينظر: الأضداد في كلام العرب: ٢٩٦ ، وأيضا: المعجم المفصل في الأضداد: ٢١٥ .

(٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٦٢٥ .

(٤) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٧٨٨ .

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٥/ ٥٢٤ .

(٦) روح المعاني: ١٥/ ١٦٣ .

الإنسان، و أن يضيق عليه التنفس مما يوجب زهاق الروح))<sup>(١)</sup>، و فيه إشارة إلى كثرة تجمعهم حوله و شدة ازدحامهم و هجومهم عليه<sup>(٢)</sup>، و لعل الأمر أبعد من كون الزحام قاتلا، و الظن شكاً؛ إذ إن الفعل ( ظننت ) تضمن اليقين؛ فالظن هنا هو درجة من الدرجات الواقعة بين يقينين متضادين<sup>(٣)</sup>، هما: يقين إثبات الواقع الحاصل بالعلم وتأكيد، و يقين نفي الواقع المتحقق خارجاً<sup>(٤)</sup>، والموقف الذي تحدث عنه الإمام ( عليه السلام ) من ازدحام الأصحاب و هجومهم عليه ما يثبت بأن القتل حاصل لا محالة؛ فدلائله و مقدماته متحققة، و ما يدعم هذه الدلالة قوله ( عليه السلام ) ( ... قاتلٌ بعض لذي .. )؛ إذ جاء ( قاتلٌ ) بالإضافة من دون التنوين؛ إذ ورد (( لو أن قاتلاً قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلٌ أخي بالإضافة؛ لدلّ التنوين على أنه لم يقتله، و دلّ حذف التنوين على أنه قد قتله ))<sup>(٥)</sup>، لكن ما دام لم يتحقق الفعل بالعيان والواقع الخارجي يبقى علماً مؤكداً تحققت مقدماته و علائمه أراد المتكلم حفظه و إيصاله على وجه يصور تحققه؛ فقوله ( عليه السلام ) : ( لذي ) بمعنى: ( عندي ) يشير إلى هذه الدلالة؛ إذ ذكر النحاة<sup>(٦)</sup> أن ( لذي ) تعني: ( عندي )، غير أن (( الفرق بينهما ... ( عند ) تكون ظرفاً للأعيان، والمعاني ... و ( لذي ) لا تكون ظرفاً للمعاني، بل للأعيان خاصة... وأنت تقول: ( عندي مال )، وإن كان غائباً، ولا تقول: ( لذي مال ) إلا إذا كان حاضرًا ))<sup>(٧)</sup>، وهذا يزيد من تصوير شدة الموقف الذي مرّ به الإمام ( عليه السلام ) آنذاك من قبل الأمة التي لا صبر لها مع قائدها و إمامها .

(١) توضيح نهج البلاغة: ٢٣٠/١، و ينظر: شرح نهج .. (ابن ميثم): ١٤٤/٢ .

(٢) ينظر: مفتاح السعادة: ١٦١ / ٧ .

(٣) و قد تضمنت خطب النهج مواضع أخر تحمل تلك المرتبة من الظن، ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: ٢٢٧-٢٣٠ .

(٤) أو على حد تعبير صاحب التحرير والتنوير: (( هُوَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ الإِعْتِقَادِ الْجَازِمِ وَبَيْنَ الإِعْتِقَادِ الرَّاجِحِ )): التحرير والتنوير: ٤٨١ / ١ .

(٥) تأويل مشكل القرآن: ١٨ . و ينظر: الأشباه والنظائر للسبكي: ٢٤٨ / ٢ .

(٦) ينظر: همع الهوامع: ١٥٥ / ٢، و شرح المفصل لابن يعيش: ١٤٠ / ٢ . و ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٥٨٢ .

(٧) شرح المفصل لابن يعيش: ١٤٠ / ٢، و ينظر: معاني النحو: ٢١٩ / ٢ .

# الفصل الثالث

## التكثيف الدلالي في المستوى التركيبي

**المبحث الأول: تعدد الوسائل لتركيز الدلالة في التركيب**

أولاً: تكثيف الدلالة بأسلوبين نحويين

ثانياً: تكثيف الدلالة بالمؤكدات المتعددة

**المبحث الثاني: ضغط الدلالة في التركيب**

أولاً: تكثيف الدلالة في الأساليب

ثانياً: تعدد الدلالة بتعدد تقدير المحذوف

## الفصل الثالث

### التكثيف الدلالي في المستوى التركيبي

يمثل التركيب المستوى الثالث من الدراسة اللغوية وهو (الجملة) التي تتكون من كلمات و أدوات و روابط وعلاقات ؛ لتكون بنية متكاملة الدلالة ، وهي: (( التي يستطيع الانسان أن يعبر بها عن أي تفكير انساني محتمل))<sup>(١)</sup> ، ودراسة التركيب تخص درس النحوي وهو (( معنى الجملة المستمد من ترتيب كلماتها ))<sup>(٢)</sup> ؛ فالمعنى هو المقصود من إنشاء التركيب ، يقول عبد القاهر الجرجاني في تفريقه بين نظمي الحروف والكلمات: (( نظم الحروف تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى... وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس ؛ فهو إذن نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء وانفق ))<sup>(٣)</sup> ، وهنا يقرر أن تولد التراكيب بصورة ما تبعا للمعنى ؛ إذ إن المعنى الصادر من النفس هو الذي يتحكم في ترتيب هذه الأجزاء و العناصر المكونة لتركيب ما ، بصورة و كيفية معينة تختلف عن تركيب آخر تبعا لذلك المعنى ؛ لذا نلاحظ تنوع مظاهر التراكيب في الاستعمال اللغوي و لاسيما في النصوص التي يهدف منشؤها لإيصال المعنى المراد ، وغايته الدلالة ، كما في نصوص نهج البلاغة ؛ إذ استطاع الإمام علي ( عليه السلام ) باستعماله لهذه التراكيب المتنوعة (( أن يوصل تجاربه الخالصة بمنتهى القوة النافذة وبغاية الدقة والوضوح ))<sup>(٤)</sup>.

ومن جانب آخر فإن ما نقصده من التركيب — هنا — لا يتحقق بالشكل من دون المضمون والدلالة ؛ بل إن المقياس هو الدلالة لتحقق مفهوم التركيب الذي نقصده ، بمعنى: متى ما كان التعبير قد تضمن تمام الدلالة عند ذلك نطلق عليه تركيبا ، وهذا المفهوم للتركيب لعله يتحقق بأكثر من جزء كما في تركيب جملة الشرط ؛ إذ جاء في الحديث عن جملة الشرط في ( أسرار البلاغة ) ، وتحت عنوان: (باب جعل الجملتين بمنزلة جملة واحدة)، قال الجرجاني: (( ووزانُ هذا أن الشرطَ والجزاءَ جُمَلتان. ولكنَّا

(١) سيكولوجية لغة الاطفال: ١٤.

(٢) معجم علم اللغة النظري : ٢٧٠.

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٩.

(٤) قواعد النقد الأدبي : ٤٥ .

نقول إنَّ حُكْمَهُمَا حُكْمُ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ حَيْثُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ مَعْنَى يَرْبِطُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، حَتَّى صَارَت الْجُمْلَةُ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْاسْمِ الْمَفْرَدِ فِي امْتِنَاعِ أَنْ تَحْصَلَ بِهِ الْفَائِدَةُ ؛ فَلَوْ قُلْتِ: (إِنْ تَأْتِنِي) وَسَكَّتْ، لَمْ تَفْذْ، كَمَا لَا تُفِيدُ إِذَا قُلْتِ: زَيْدٌ وَسَكَّتْ<sup>(١)</sup> ، فَالْفَائِدَةُ – عَلَى تَعْبِيرِ الْجِرْجَانِيِّ – هِيَ الدَّلَالَةُ الَّتِي يَنْشُدُهَا الْمُتَكَلِّمُ مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى – تَحْقُقُ الدَّلَالَةُ التَّامَةَ – يُمْكِنُنَا أَنْ نَوْسِعَ دَائِرَةَ التَّرْكِيبِ الْمُحَقَّقِ لِلْفَائِدَةِ ؛ فَيَتَحَقَّقُ بِجُمْلَةٍ أَوْ عِدَّةِ جُمَلٍ فَـ (( الْكَشْفُ عَنْ طَرَائِقِ التَّعْبِيرِ وَالتَّفْكِيرِ وَالتَّنَوُّعِ فِي تَوْصِيلِ الدَّلَالَةِ لَدَى الْمَبْدَعِ يَتَجَسَّدُ فِي تَرَائِبِ الْجُمَلِ بِمَسَاحَةِ أَكْبَرَ مِنْهَا فِي الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ ))<sup>(٢)</sup> .

وَالسُّؤَالُ هُنَا: كَيْفَ تُكْتَفَى الدَّلَالَةُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ (تَامَ الدَّلَالَةَ) ؟

لِلْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ نَبَيِّنُ أَشْكَالَ الدَّلَالَةِ الْمَكْتَفَى فِي التَّرْكِيبِ ، وَهِيَ عَلَى شَكْلَيْنِ :

الشَّكْلُ الْأَوَّلُ: تَعَدُّدُ الْوَسَائِلِ فِي التَّرْكِيبِ لِتَرْكِيزِ الدَّلَالَةَ ؛ بِمَعْنَى : أَنْ كُلَّ جُزْءٍ أَوْ عُنْصُرٍ فِي التَّرْكِيبِ يَكُونُ فَاعِلًا وَ مَوْجَّهًا إِلَى دَلَالَةٍ مَعِينَةٍ ؛ ؛ فَمِثْلًا دَلَالَةُ التَّعْجِبِ وَ الْاسْتِغْرَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { تَأَنَّهُ تَفْتَأُ تَذُكَّرُ يُوسُفَ } [يُوسُفَ: ٨٥] ؛ فَلَوْ وَقَفْنَا عَلَى أَجْزَاءِ هَذَا التَّرْكِيبِ وَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ بَعْضِهَا الْبَعْضَ لَوَجَدْنَا أَنَّهَا تَوَجَّهَتْ إِلَى دَلَالَةِ التَّعْجِبِ وَ الْاسْتِغْرَابِ ؛ وَذَلِكَ : أَنْ التَّاءَ فِي الْقِسْمِ مَخْتَصَةٌ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ ، وَهِيَ بِذَلِكَ (( فِيهَا مَعْنَى التَّعْجِبِ ))<sup>(٣)</sup> ؛ وَبِهَذِهِ الصِّيغَةِ مِنَ الْقِسْمِ – تَأَنَّهُ – بِالْخُصُوصِ مَعْنَى التَّعْجِبِ ؛ فَكَأَنَّهُمْ تَعَجَّبُوا مِمَّا شَاهَدُوهُ وَ سَمِعُوهُ مِنْ حَالِ أَبِيهِمْ وَذَكَرَهُ لِيُوسُفَ<sup>(٤)</sup> ، وَقَوْلُهُ: ( تَفْتَأُ ) مِنْ فَعَلَ ( فَعْتَأُ ) ، بِمَعْنَى: لَا تَزَالُ وَلَا تَبْرَحُ وَلَا تَنْفَكُ وَلَا تَفْتَأُ وَكُلُّهَا تَفِيدُ الْاسْتِمْرَارَ وَالدَّوَامَ ؛ وَالسُّؤَالُ: لِمَاذَا اخْتَارَ (تَفْتَأُ) مِنْ دُونَ غَيْرِهَا؟! وَفِي هَذَا السِّيَاقِ مَعَ ( تَذَكَّرَ يُوسُفَ )؟! ، الْجَوَابُ أَنَّ تَفْتَأُ (( تَخْتَلِفُ بِدَلَالَةٍ خَاصَّةٍ ؛ فَهِيَ تَأْتِي بِمَعْنَى: سَكَّنَ ، وَبِمَعْنَى: نَسِيَ ، وَبِمَعْنَى: أَطْفَأَ النَّارَ ، وَقَدْ اخْتَارَ تَعَالَى كَلِمَةَ (تَفْتَأُ) لِأَنَّ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبَ يَحْتَمِلُ كُلَّ مَعَانِي كَلِمَةِ تَفْتَأُ: نَارَ الْحَرِيقَةِ لَا تَنْطَفِئُ فِي قَلْبِ يَعْقُوبَ ( عَلَيْهِ السَّلَامُ ) ، ثُمَّ مَعْنَى لَا تَنْسَى مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ كَمَا يَحْدُثُ لِأَيِّ مَبْتَلَى فِي مَصِيبَةٍ ، فَالزَّمَنُ يُنْسِي الْمَصَائِبَ أَيُّ: لَا تَنْسَى ذِكْرَ يُوسُفَ وَلَا تَزَالُ تَذَكَّرُهُ ، وَبِمَعْنَى سَكَّنَ أَيُّ أَنْتَ لَنْ تَسْكُنَ وَلَنْ تَكْفَ عَنْ ذِكْرِهِ ؛ لِذَا اخْتَارَ تَعَالَى هَذِهِ الْكَلِمَةَ (تَفْتَأُ) مِنْ دُونَ أُخَوَاتِهَا لِأَنَّهَا أَنْسَبُ فَعْلٍ يَجْمَعُ الْمَعَانِيَ الثَّلَاثَةَ الْمَقْصُودَةَ ))<sup>(٥)</sup> ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ تَدْعُو لِلتَّعْجِبِ مِنْ حَالِ يَعْقُوبَ ( عَلَيْهِ السَّلَامُ ) الَّذِي لَمْ يَنْفَكْ عَنْ ذِكْرِ فَقِيدِهِ بَعْدَ مَرُورِ زَمَنِ طَوِيلٍ جَدًّا عَلَى فَقْدِهِ ؛ بَلْ يَذْكُرُهُ وَ كَأَنَّهُ الْيَوْمَ فُقِدَ! بِنَفْسِ حَرِيقَةِ الْقَلْبِ ، وَالْإِضْطْرَابِ وَ الشُّوقِ ، فَضَلَا عَنْ تَكَرُّرِ صَوْتِ التَّاءِ فِي ( تَأَنَّهُ ، تَفْتَأُ ، تَذَكَّرَ ) الَّذِي يَعْطِي نَغْمًا مُنْقَطِعًا فِي تَكَرُّرِهِ هَذَا ؛ مِمَّا يَضْفِي دَلَالَةَ صَوْتِيَّةٍ لِلتَّعْجِبِ وَ الْاسْتِغْرَابِ .

(١) أسرار البلاغة: ١١١ .

(٢) أدب الإمام الحسين ( عليه السلام ) قضاياها الفنية والمعنوية: ١٦٥ .

(٣) معاني النحو : ٣٣ / ٣ .

(٤) ينظر: روح المعاني : ٢٦ / ٧ .

(٥) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٥٣٦ .

الشكل الثاني: ضغط الدلالة في التركيب ؛ بحيث تكون الدلالة متعددة يجمعها تركيب واحد كما في قوله ( عليه السلام ): (( أتراني أكذب على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ؟ والله لأنا أول من صدّقه فلا أكون أول من كذب عليه ))<sup>(١)</sup>، فالاستفهام هنا حمل دلالات عدّة ، منها: الإنكار و النفي على المخاطب ، و الاستغراب من اعتقاده بالكذب على الرسول صلى الله عليه وآله ، فضلا على أن تركيب ( أتراني ) يستعمل للتعجب و التهكم ؛ فهو استفهام عن حصول الظن فيه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٢)</sup> ؛ وكأنه يقول ( عليه السلام ) للمخاطب : أتظنني أكذب على رسول الله ( صلى الله عليه وآله )؟ بنبرة تعجبية تهكمية<sup>(٣)</sup>، وهنا ضغط المتكلم هذه الدلالات في هذا التركيب ؛ إذ تضمّن أسلوب الاستفهام: الإنكار و النفي و التعجب و الاستغراب و التهكم .

ولا يقتصر هذا الشكل – ضغط الدلالة في التركيب – على استعمال الأساليب فقط ؛ وإنما هناك مظاهر أخرى تتعدد الدلالة فيها بالتركيب الواحد ، كما في تعدد المحذوف واحتمال إرادة جميع دلالاته المتعددة ، أو استعمال صيغة تحتمل أكثر من إعراب في التركيب لا يمنع السياق من أنها جميعا مراد المتكلم ، كما سيأتي .

وبناء على ما تقدّم فإن الدلالة المكتنفة في التراكيب تكمن في المعاني المعجمية للمفردة المكونة للتراكيب ، و في الوظائف النحوية لهذه المفردات مع طبيعة العلاقات الرابطة بين وظائفها ؛ فكل هذه العناصر تلتقي و تتفاعل فيما بينها ؛ لتكتيف الدلالة في التركيب .

(١) نهج البلاغة : ٨١ .

(٢) ينظر: شرح نهج..(القرن الثامن) : ٤٤٦ .

(٣) ينظر: شرح نهج..(المجلسي): ٥٦٨ / ٣ .

## المبحث الأول

### تعدد الوسائل لتركيـز الدلالة في التركيب

تبيّن فيما سبق أن التكتيف للدلالة يتحقق بالشكل و المضمون للتركيب ؛ وعلى هذا الأساس فإن التركيز الحاصل لدلالة معينة من جهة الشكل يحقق المبالغة ؛ كما لو يركز المتكلم في كلامه على دلالة التعظيم أو التعجب أو غيرها ؛ فيستعمل تركيباً بطريقة يجمع فيه أكثر من وسيلة تدل على هذه الدلالة أو تلك ، وكذا يحقق التأكيد ؛ كما لو يجمع بين مؤكدات عدّة، تكثف من تأكيد الدلالة المرادة .

### أولاً: تكتيف الدلالة بأسلوبين نحويين :

#### ١- التعظيم بالاستفهام و التكرار:

ومن موارد قوله ( عليه السلام ) في مالك الأشتر : (( مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ وَ اللهُ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا ، وَ لَوْ كَانَ حَجْرًا لَكَانَ صَلْدًا ، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ ))<sup>(١)</sup> ، مالك : مبتدأ ، والجملة التي بعده – وما مالك - خبر له ، وتكرار المبتدأ بلفظه أكثر ما يكون في مواضع التعظيم و التفضيم<sup>(٢)</sup> ، جاء في ( الخصائص ) (( إنما يعاد لفظ الأول في مواضع التعظيم و التفضيم ))<sup>(٣)</sup> ، فقد أفاد التكرار دلالة التعظيم و التفضيم .

وبعد فإن استعمال ( ما ) الاستفهامية يدل على التعظيم و التفضيم – أيضاً- ورد في ( شرح الرضي على الكافية): (( ما الاستفهامية تفيد التفضيم كما في قوله تعالى: { الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ } [القارعة: ١ ، ٢] ))<sup>(٤)</sup> ، وفي كلامه ( عليه السلام ) ( مالك وما مالك ) جمع بين التكرار والاستفهام ؛ ليكتف من دلالة التعظيم و التفضيم من الممدوح .

وليس هذا فقط ؛ فلو تابعنا النص ؛ لو جدنا أن قوله ( عليه السلام ) : ( وَ اللهُ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا )<sup>(٥)</sup> ، وَ لَوْ كَانَ حَجْرًا لَكَانَ صَلْدًا ، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ ( جاء جواباً مفسراً للسؤال بـ ( ما ) الاستفهامية ؛ فإن السؤال بـ ( ما ) يكون إذا طلبت (( تصور ماهية المعنى ، أي: تطلب تفصيل ما

(١) نهج البلاغة : ٥٥٤ .

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢٠٤ / ١ .

(٣) الخصائص : ٥٦ / ٣ .

(٤) شرح الرضي : ٢٢٤ / ١ .

(٥) الفند: المنفرد من الجبال: اختيار مصباح السالكين : ٦٧٨ .



دل عليه الاسم إجمالاً ؛ لتمييزه من غيره في الذهن تمييزاً تاماً ((<sup>(١)</sup>)؛ فتقول: ما الغول ؟ تريد أي شيء هو من الأشياء؟<sup>(٢)</sup> ؛ فأنت تسأل عن ماهية الشيء وما يميزه من غيره بـ ( ما ) ، وعندما تكون ماهية مالك الأستر - رضي الله عنه - كالجبل العظيم الشامخ ، وكالحجر الصلد الذي لا يُخترق<sup>(٣)</sup> ؛ فهو حقاً ، ظاهراً وباطناً ، بهذه الفخامة و العظمة والقوة من الإيمان .

ومما كثفت فيه دلالة التعظيم و التفضيم قوله (عليه السلام) لقائل قال بحضرتة : استغفر الله ، فقال له : (( أَ تَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ ، الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ ، وَ هُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةِ مَعَانَ ... ))<sup>(٤)</sup>، جمع في هذا التركيب بين الاستفهام بالهمزة و الاستفهام بـ ( ما ) ، زيادة على إعادة الاسم المراد تعظيمه - الاستغفار - بلفظه ؛ إذ يستطيع القول: هو درجة العليين ، كما جاء في تنمة الكلام قوله ( عليه السلام ) : (( وَ هُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةِ مَعَانَ )) ، وكل ذلك تضمن دلالة التعظيم والتفضيم للاستغفار ؛ فإن قوله : ( أ تَدْرِي ) يستفاد منه معنى التعظيم ، حاله حال قوله تعالى: { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } [الانفطار: ١٧] ، وقولك: لله دره أي رجل كان<sup>(٥)</sup> ، وإن كان حاملاً معنى الإنكار إلا أن هذا الإنكار متضمن للتعظيم ، جاء في ( دلائل الإعجاز ) في باب ( تفسير الاستفهام الدال على الإنكار ) : (( واعلم أننا وإن كنا نُفسر "الاستفهام" في مثل هذا بالإنكار فإن الذي هو محض المعنى: أنه لِيَتَنَبَّه السامع حتى يَرَجَعَ إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب إماماً لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه... وإما لأنه هم أن يفعل ما لا يستصوب فعله<sup>(٦)</sup>)) ، و الاستغفار هو طلب المغفرة ، لكن ليس باللفظ فقط وبهذه السهولة ؛ وإنما ( هُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةِ مَعَانَ ... ) ؛ لذا إن معنى الاستغفار - هنا - هو ما يرتقي بصاحبه ويرفعه شيئاً فشيئاً (( ارتفاع بعد ارتفاع وكأنه لا غاية له ))<sup>(٧)</sup> ، فلا حدّ لارتقاء المستغفر نحو الكمال الحقيقي ؛ فمن أراد الوصول إلى الله يتدرج بالاستغفار ، جاعلاً الاستغفار مطيئته التي ترتقي به نحو غايته ؛ وعليه فمن المناسب أن يأتي بهذا التكثيف من دلالة التعظيم والتفضيم لمعنى الاستغفار المراد .

## ٢- التحقير بالذم والدعاء :

استعمل الامام ( عليه السلام ) أنماطاً لغوية مختلفة و في مقامات متفاوتة تضمنت دلالة التحقير و التقليل منها قوله ( عليه السلام ) في أصحابه : (( لَوَدِدْتُ وَ اللَّهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ

(١) المنطق: ٨٩ / ١ .

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤ / ٦٨٤ .

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٤٧٣ .

(٤) نهج البلاغة: ٥٤٩ .

(٥) ينظر: شرح الرضي : ٤ / ٢٣٤ .

(٦) دلائل الإعجاز: ١ / ١١٩ .

(٧) معاني القرآن للفراء : ٣ / ٢٤٧ .

بِالذَّرْهِمْ))<sup>(١)</sup> ، قال الشارح الخوئي: (( و لا يخفى ما في هذا الكلام من وجوه التحقير حيث جعل ( عليه السلام ) أهل الشَّام بمنزلة الذهب و جعل أصحابه بمنزلة الفضة ))<sup>(٢)</sup> ، ومنها : قوله ( عليه السلام ) لأحدهم و قد أنكروا عليه خشونة ملبسه و خشونة مأكله ؛ إذ قال: (( يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَ جُشُونَةِ مَأْكَلِكَ ، قَالَ: وَيَحْكُ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ))<sup>(٣)</sup> فقوله ( عليه السلام ) : ويحك ، ضمن التركيب دلالة التحقير و الاستهانة .

غير أنه في كلا المثالين لم تكن دلالة التحقير بشكل مركز ، كما هو الحال في كلام له ( عليه السلام ) قاله للبرج بن مسهر الطائي و قد قال له بحيث يسمعه: ( لا حكم إلا لله ) ، و كان من الخوارج: (( اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَيْئًا شَخْصًا ، خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ ))<sup>(٤)</sup> ، فقوله ( عليه السلام ) ( اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ ) في كل عنصر منه جاء حاملا دلالة التحقير و التصغير للمذموم ؛ إذ إن فعل الأمر ( اسكُت ) جاء الأمر فيه حقيقيا من العالي إلى الداني وهي (( كلمة استصغار ؛ لأن كلامه يغضب الرحمن ... اسكُت فالكلام عليك حرام و أنت تعصي الله في حديثك ))<sup>(٥)</sup> ، والابتداء بهذا الفعل – اسكُت – يصور نبرة المتكلم المستهين بالمخاطب .

ثم جاء بـ ( قبحك الله ) و هذا الاستعمال يُؤتى به في ذم أفعال الآخرين ؛ ف (( الْقُبْحُ: نقيض الحسن... وَقَبْحَةُ اللَّهِ، أَي نَحَاهُ عَنِ الْخَيْرِ، فَهُوَ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ))<sup>(٦)</sup> ، بمعنى (( جَعَلَهُ قَبِيحًا بَيْنَ النَّاسِ فِي أَعْمَالِهِ أَي: مَذْمُومًا ))<sup>(٧)</sup> ، وقد (( قيل قبيح كأنه جاء بعيب ؛ لأن القبيح عيب ))<sup>(٨)</sup> ، والعيب من النقصان<sup>(٩)</sup> ، فالمعنى : جعلك الله من المبعدين عن الخير لعيب أفعالك<sup>(١٠)</sup> ، غير أن التأمل في هذا الاستعمال يظهر لنا التكتيف من دلالة التحقير و الاستصغار للمخاطب من جهة أفعاله و ما يصدر عنه ؛ وما يدعم ذلك:

١- لم يستعمل الإمام ( عليه السلام ) في نصوص نهج البلاغة ( قبحك الله ) إلا في هذا النص ؛ الذي طغت فيه دلالة الذم و التحقير .

(١) نهج البلاغة: ١٤١ .

(٢) منهاج البراعة : ٧ / ١٢٨ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٢٤ .

(٤) نهج البلاغة: ٢٦٨ .

(٥) شرح نهج..(السيدعباس): ٣ / ٢١٠ .

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( قبح ) : ١ / ٣٩٣ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٢٧ .

(٨) الفروق اللغوية بترتيب وزيادة : ٢٨٣ .

(٩) ينظر: المحيط في اللغة ( عاب ) : ٢ / ١٥٢ .

(١٠) ينظر: بهج الصباغة : ١٠ / ٤١٣ .

٢- قيل في تفسير قوله تعالى: {وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} [القصص: ٤٢] أن (من مقبوحين) بمعنى: من المشوهين في الخلقة<sup>(١)</sup> أو المذمومين<sup>(٢)</sup>؛ لكن لو راجعنا سياق الآيات التي تقدمت هذه الآية؛ لانتضحت لنا دلالة الاستصغار والاحتقار التي لا يبعد إرادتها في جعل المذموم (من المقبوحين)، قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} [القصص: ٣٨ - ٤٢]؛ إذ نلاحظ أن نهاية العلو والاستكبار والطغيان لفرعون وجنوده هو الاستصغار والاحتقار؛ بل أشد الاحتقار والاهانة؛ لأن النهاية هي القيامة إذ لا نهاية بعدها.

وعلى هذا الأساس؛ فدلالة (قبحك الله) الدعاء عليه بجعله من المحقرين المستصغرين لعباءة أفعاله التي أوصلته إلى هذا التسافل، فما جاء به هذا الخارجي من فعل يدل على نقصان في عقله وتفكيره؛ إذ إن ما أَرَادَهُ الخوارج بقولهم (لا حكم إلا لله) ((أنه لا حاجة إلى الدولة والرئيس، وإنما كل إنسان يعمل بنفسه فيما فهم أنه حكم الله))<sup>(٣)</sup> وما أسفه هذا التفكير وأنقصه!

زيادة على أنه بعد قوله (عليه السلام) (قبحك الله) أُرْدِفَ القول بـ (يا أترم) مستعملاً أسلوب النداء زيادة في التقليل والتحقير من شأن المخاطب؛ إذ جاء النداء بصفة للمخاطب وليس باسمه، والأترم: من سقط ثنايا أسنانه، فصار مشوهاً عند التكلم والضحك<sup>(٤)</sup> ((وكان البرج ساقط الثنية فأهانته بأن دعاه به، كما يهان الأعور بأن يقال له يا أعور))<sup>(٥)</sup>، وهذه إهانة لعاهة فيه، استلزمها المقام؛ فالبرج بن مسهر شاعر من الخوارج يهجو أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين بيده راية الحق، والمعتدي عليه معتد على الحق؛ فلا ضير في هجائه بما يحقره ويصغره؛ بذكر عيوبه المعنوية وعيوبه الظاهرة للتكثير به؛ لذا جاء الجمع بين الأمر الحقيقي والدعاء والنداء؛ مكتفياً من دلالة التحقير والتقليل منه.

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٤٠٢/١٧، وروح المعاني: ٢٩١/١٠.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: ١٠٧/٢٠، و التفسير الحديث: ٣١٦/٣.

(٣) توضيح نهج البلاغة: ١١٦/٣.

(٤) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١١٦/٣.

(٥) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٣٠/١٠.

### ٣- التعجب بأكثر من أداة:

للتعجب أساليب مختلفة تنحصر بقسمين: ما هو سماعي و لا حصر له كقولهم: سبحان الله أو الله دره أو يا للهول ، ومنها ما هو قياسي وضع للتعجب ، و له صيغ ثلاث على اختلاف : ما أفعله ، و أفعل به<sup>(١)</sup> و فَعُل<sup>(٢)</sup> ، و التعجب هو انفعال في النفس بسبب التأثير بموقف ما أو من أمر عظيم أو مستعظم ، خفي سببه أو خرج عن نظرائه أو قل نظيره<sup>(٣)</sup>؛ فيعبر المتعجب عن هذا الشعور و التأثير بأساليب مختلفة تبين مدى تعجبه واستغرابه .

وقد جاءت دلالة التعجب في نصوص نهج البلاغة بكلا القسمين القياسي منها والسماعي كما في قوله ( عليه السلام ) معظما نعمة الله تعالى وقدرته : (( و مَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا ))<sup>(٤)</sup> ، وقوله : (( سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ ))<sup>(٥)</sup> .

إلا أن هناك تراكيب تضمنت دلالة التعجب بشكل مكثف ؛ إذ جمع فيها أكثر من وسيلة لتدل على التعجب و الاستغراب ؛ فما أعمق الدلالة المكثفة في كلامه ( عليه السلام ) بعد تلاوته لقوله تعالى: { أَلْهَأَكُمُ النَّكَاتُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } [النكاث: ١ ، ٢] ؛ إذ قال : (( يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ ))<sup>(٦)</sup>، ففي قوله ( يا له مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ ) كثف من التعجب ؛ إذ جاء بأكثر من وسيلة في هذا التركيب تدل على التعجب ، قال الشارح الخوئي: (( و فيه من الدلالة على المبالغة في التعجب ما لا يخفى، حيث أتى ببناء التعجب أولا ، و بلام التعجب ثانيا، و بالضمير المبهم المفسر بما بعده لوقعه في النفوس ثالثا ، و بـ ( ما ) التعجب رابعا ، و بـ ( أفعل ) التعجب خامسا ، و المعنى: يا عجباً من مرام هو من البعد بمكان، و بالغ في التعجب به غاية<sup>(٧)</sup>؛ فقد جمع بين نداء التعجب ( يا له مراما ) و فعل التعجب ( ما أبعده ) ؛ فإن الـ ( يا ) للنداء محذوفة المنادى ، و ( اللام ) للتعجب وهي (( تدخل على المتعجب منه صلة لفعل مقدر قبله ... كقوله: يا لزيد فارسا ، أي: اعجبوا لزيد فارسا ))<sup>(٨)</sup>، والتقدير: يا قوم اعجبوا له ، و الضمير المبهم ( الهاء ) جاء متعجبا منه زيادة في المتعجب منه ؛ إذ لم يعرف المقصود منه كما لو تقول - مثلا - : جاءني زيد، فيا له رجلا ، جاء في (شرح الرضي على الكافية) أن هذا الضمير إنما يؤتى به في الأغلب (( فيما فيه معنى

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش : ٤ / ١٢٠ ، شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٢٢٧ .

(٢) ينظر: المقرب: ١ / ٧٢ ، و معاني النحو : ٤ / ٢٧٨ .

(٣) ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٦٢ ، المقرب: ١ / ٧٢ ، شرح الرضي : ٤ / ٢٢٨ .

(٤) نهج البلاغة: ١٥٨ .

(٥) نهج البلاغة: ٢٣٩ .

(٦) نهج البلاغة: ٣٣٨ .

(٧) منهاج البراعة : ١٤ / ٢١٢ .

(٨) اللامات: ٨٠ .

المبالغة والتفخيم كمواضع التعجب نحو: ياله رجلاً<sup>(١)</sup>، ثم فُسِّر - الضمير المبهم - بالتمييز (مراما) ، (( و هذا من جملة المواضع التي جَوَّزوا فيها عود الضمير على المتأخَّر لفظاً و رتبة ))<sup>(٢)</sup> ؛ ولهذا التفسير بعد الإبهام وقع في النفس ؛ (( لأنه تتشوق النفس إلى معرفة ما أبهم عليها و ... إذا فسرتة بعد الإبهام فقد ذكرته إجمالاً وتفصيلاً ))<sup>(٣)</sup> ؛ غير أن الألف في (مراما) مع ما تحمله من مد للصوت زادت في التعجب و إظهاره بحسرة وتوجع ؛ وذلك نحو قوله تعالى على لسان يعقوب ( عليه السلام ) : { وَقَالَ يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ } [يوسف: ٨٤] (( فإن فيه مد الصوت بالألف للدلالة على شدة الأسف وتمكنه من نفس قائله ... فيما كان فيه عاطفة قوية عميقة، فيمد الصوت إظهاراً لذلك ))<sup>(٤)</sup> .

أما (ما أبعد) فالـ ( ما ) جاءت للتعجب مع ( أفعل ) التعجب الدال على المبالغة في الفعل ؛ إذ قال ابن جني : (( نعتقد في الفعل المبني منه فعل التعجب أنه قد نُقِلَ عن فَعَلٍ وفَعِلٍ إلى فَعُلٍ، حتى صارت له صفة التمكّن والتقدم، ثم بُنِيَ منه الفعل، فقيل: ما أفعله، نحو: ما أشعره، إنما هو من شَعُر... وكذلك ما أقتله وأكفره: هو عندنا من قَتَلٍ وكَفُرٍ تقديرًا ))<sup>(٥)</sup> ؛ ويقول سيبويه : (( تقول: ما أقبحه، وإنما تريد أنه قبيح في عينك، وما أقدره، إنما تريد أنه قدرٌ عندك ))<sup>(٦)</sup>؛ وعليه فإن عبارة ( ما أبعد ) تفيد التعجب الانفرادي على وجه المبالغة .

وقد اختلف الشراح في المتعجب منه ؛ فذهب بعضهم إلى أن الامام ( عليه السلام ) تعجب من تفاخر القوم بالموتى<sup>(٧)</sup> ؛ وبعضهم ذهب إلى أنه تعجب من سفاهة عقولهم حيث أوصلتهم إلى التفاخر بالموتى<sup>(٨)</sup> ، وقسم يرى أنه تعجب من التكاثر نفسه أو أنه تعجب من غاية التكاثر التي لا تدرك ولا تنال بكثرة الأولاد والمال<sup>(٩)</sup> ، وغيرهم جمع بين التفاخر و التكاثر ؛ فقال: (( و تعجبه [الامام ( عليه السلام )] من التكاثر و التفاخر ))<sup>(١٠)</sup> .

غير أن الباحث يرى أن كل ما ذكر هو مدعاة للتعجب ولا يوجد مانع من إرادته ؛ وذلك أن التفاخر بما لا يضر و لا ينفع – ومنه التفاخر بالموتى - دليل على تسافل العقول و سخافة أصحابها ؛ فهو بعيد

(١) شرح الرضي : ٥٩ / ٢ .

(٢) منهاج البراعة : ٢١٠ / ١٤ .

(٣) شرح الرضي : ٧٢ / ٢ .

(٤) معاني النحو : ٢٩١ / ٤ .

(٥) الخصائص : ٢٢٧ / ٢ .

(٦) الكتاب لسبويه : ١٠٠ / ٤ ، وينظر: معاني النحو : ٢٨٥ / ٤ .

(٧) ينظر: شرح نهج... (ابن ابي الحديد): ١١ / ١٤٥ ، وبهج الصباغة: ٢٢١ / ١١ .

(٨) ينظر: شرح نهج... (السيد عباس): ١٣ / ٤ .

(٩) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣٥١ / ٣ .

(١٠) منهاج البراعة : ٢١٢ / ١٤ .

كل البُعد عن التفاخر ؛ فمن مات أصبح عظة وعبرة لغيره لا فخر له<sup>(١)</sup> ، وكذا التكاثر فهو بحد ذاته عجيب ؛ إذ إن الغاية التي ينشدها الانسان من التكاثر لا يدركها ، و إن أدرك حبه لهذا التكاثر في الأموال و الأولاد ، ولعل في قوله ( عليه السلام ) ( ما أبعد ) بصيغة ( ما أفعله ) الدالة على التعجب الانفرادي ؛ دلالة على أنه ( عليه السلام ) يلحظ جهة لا يلحظها غيره ؛ فيتعجب لذلك ؛ وبذلك – والله أعلم – يشير إلى الدافع الذاتي و الغريزي في الانسان الذي يدفعه إلى التكاثر و التناسل مع علم ذلك الانسان بفناء كل شيء مهما تكاثر ! ؛ فيكون التكاثر هو مقصد التكاثر ! ؛ فيتعجب الامام ( عليه السلام ) من ذلك ، استعظاما لقدرة الله و حكمته عزوجل .

ومن بديع ما كُتف فيه دلالة التعظيم و التفضيم كلام له ( عليه السلام ) وهو يعظ الناس ، قال: (( فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِهِ بِهِ ))<sup>(٢)</sup> علق الشارح الخوئي على هذا التعبير بالقول : (( و هو من أفصح الكلام و أحسنه في تأدية المرام يعرف ذلك من له دراية في صناعة البيان و إحاطة بلطائف فنّ المعان ))<sup>(٣)</sup> ، إذ تعجب ( عليه السلام ) باستعمال لفظ ( سبحان الله ) ، و صيغة التعجب ( ما أقرب الحي ) ، والمعنى: أن كل حي قريب من الموت<sup>(٤)</sup> ، وهذا القرب قرب زمان فالحي مطلوب للموت في كل لحظة و الموت مدركه<sup>(٥)</sup> ، و التعجب من هذا القرب الذي قد نتصوره بعيدا بين من هو حي و من هو ميّت .

وقد كُتف ( عليه السلام ) هذا التعجب ليس باستعمال الصيغتين – سبحان الله و ما أقرب - فقط ؛ بل بتقديم قوله ( الحي من الميت ) على ( للحاقه به ) ؛ إذ إنه ( عليه السلام ) يستطيع القول : وما أقرب لحاق الحي بالميت ، أو ما أقرب أن يلحق الحي بمن مات أو بالميت ، إلا أن في كل هذه التعابير وما سواها يفقد التعجب شدته و غرابته ؛ فقوله ( عليه السلام ) : ( ما أقرب الحي من الميت ... ) شديد الغرابة و التعجب ؛ إذ شتان ما بين الحياة و الموت ! ، وكل هذا التكتيف دليل إلى قُصر هذه الفاصلة الزمنية بين الحياة و الموت ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (( والذي نفس محمد بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روعي، ولا رفعت طرفي و ظننت أني خافضه، حتى أقبض، ولا تلقت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ))<sup>(٦)</sup> ، فما أقرب هذه اللحظة و ما أعجبها و أعجب وقوعها ! .

(١) ينظر: شرح نهج... (السيد عباس): ١٣ / ٤ .

(٢) نهج البلاغة: ١٦٩ .

(٣) منهاج البراعة: ٦٢ / ٨ .

(٤) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢١٩ / ٢ .

(٥) ينظر: شرح نهج... (السيد عباس): ٢٩٥ / ٢ .

(٦) بحار الأنوار: ١٦٦ / ٧ .

#### ٤- التنكيل بالتوكيد والوصف:

ولا يخفى بديع النظم ودقّة اختيار الألفاظ والأوصاف في تكثيف دلالة التنكيل والتوبيخ التي نجدها في قوله ( عليه السلام ) في الدنيا وأصحابها : (( وَ اللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوُنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ ))<sup>(١)</sup> فقد نكّل بمن رغب فيها وصاحبها أشد تنكيل مستعملا في ذلك الإضافة والتوكيد والوصف ؛ وذلك أنه ( عليه السلام ) قال: لدنياكم ، ولم يقل: الدنيا هذه ...؛ إذ أضافهم إلى الدنيا ؛ لتوبيخهم ، سابقا هذه الإضافة بـ القسم ( والله ) المؤكد ، و ( اللام ) الشديدة التأكيد والتحقيق<sup>(٢)</sup> ، و تبع قوله : ( لدنياكم ) بالضمير ( هذه ) زيادة في دلالة تحديدها ؛ بمعنى: التي أنتم تطلبونها لا غيرها .

ثم زاد ( عليه السلام ) في تأنيبهم وذمهم على تعلقهم بالدنيا ؛ إذ جاء بوصف حقّر فيه الدنيا أشد تحقير ؛ قائلا: (أَهْوُنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ ) ، قال: ( عراق خنزير ) ، و ( عراق ) (( جمع عرق ، و هو: جمع غريب كتوأم، و توأم ... و هو في غاية بيان كراهية الدنيا عنده و التّنفير عنها ))<sup>(٣)</sup> ، ولم يقل ( عليه السلام ) - مثلا - : أهون من خنزير أو من عرق خنزير ؛ بل ( عراق خنزير ) تكثيفا للذم و التنفير ؛ فالخنزير لا يرغب في النظر إليه أحد ، قال الجاحظ في كتاب ( الحيوان ) : (( العين تكره الخنزير جملة من دون سائر المسوخ ، لأن الفرد وإن كان مسيخًا، فهو مستملح، والفيل عجيب ظريف بهي وإن كان سمجًا قبيحًا ))<sup>(٤)</sup> ، فما بالك بعراقه ! .

ثم لم يكتفِ بذلك الوصف ؛ بل زاد فيه وقال ( عليه السلام ) : هذا الشيء المستقبح - عراق الخنزير - ( في يد مجذوم ) ، ويد المجذوم : يد شوهاها الجذام<sup>(٥)</sup> تشمئز النفس منها ؛ فهي يد متقرحة خبيثة ، أخبر الامام ( عليه السلام ) فيها عن خساسة الدنيا ومن تعلق بها<sup>(٦)</sup> ، وفي كل هذا الوصف المحقّر للدنيا تنكيل و توبيخ لمن تعلق بها ؛ فضلا عن أن هذا الوصف قد سبقه الفعل: ( أهون... ) تأكيدا ومبالغة في الهوان .

#### ٥- التحذير<sup>(٧)</sup> بـ (إيا) و (الواو) :

هناك أنماط لغوية مختلفة تستعمل للدلالة على التحذير ؛ إلا أن في بعضها يكون الاستعمال مكثفا للدلالة ، ومن ذلك استعمال ( إيا ) مع ( الواو ) كقولهم: إياك و الأسد<sup>(٨)</sup> ؛ فهو يختلف عن استعمال فعل

(١) نهج البلاغة: ٥١٠ .

(٢) ينظر: اللامات : ٧٨ .

(٣) اختيار مصباح السالكين : ٦٣٣ .

(٤) الحيوان : ٢٢ / ٧ ، وينظر: شرح أبيات مغني اللبيب : ٢٢١ / ٥ .

(٥) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: ٣٧٩ .

(٦) ينظر: حدائق الحقائق: ٦٦٥/٢ .

(٧) وهو: تنبيه المخاطب على أمر مكروه؛ ليجتنبه ؛ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٧٠ / ٤ .

(٨) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش : ٣٨٩ / ١ .

الأمر أو النهي ؛ إذ إن ( إِيَا ) اسم مضمَر منصوب الموضع بفعل محذوف وجوبا ، و ( إِيَاك ) كناية عن المنع والتحذير ، أي: التباعد عن الشيء ، بمعنى: باعد<sup>(١)</sup> ؛ فالتحذير بـ ( إِيَا ) (( هو منع عام بصيغة التباعد المطلق، في حين أن التحذير بالفعل مقيد بمعنى ذلك الفعل ؛ فقولك ( احذر ) مقيد بمعنى: فعل التحذير، و ( أعظك ) مراد منه الوعظ ، و ( أنهاك ) مراد به معنى النهي ، وهكذا ))<sup>(٢)</sup> ، فضلا عن أن لهذا الحذف الواجب دلالة تُضاف للتحذير ؛ إذ جاء في (الإتقان) للسيوطي أن الفائدة من الحذف في باب التحذير هي (( التنبيه على أن الزمان يتقاصر على الاتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم ))<sup>(٣)</sup> ؛ لذا نلاحظ هذا الفرق بين قوله (عليه السلام): (( انقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمِ ))<sup>(٤)</sup> ، وقوله : (( إِيَاكُمْ وَ النَّدَابِرَ وَ النَّقَاطِعَ ... فَيُؤَلِّي عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ))<sup>(٥)</sup>؛ ففي الأول : جاء بفعل الأمر الدال على التحذير مع السياق الذي فيه متسع من الوقت ؛ فالتحذير من المعصية الخفية ، و كون الذي يرى فعل المعصية في الخلوات هو نفسه الحاكم يوم القيامة<sup>(٦)</sup> ، أما في الثاني: فقد جاء بـ ( إِيَا ) مع السياق الذي لا يوجد فيه متسع من الوقت ؛ بدلالة حرف ( الفاء ) مع النتيجة المترتبة مباشرة مع عدم الأخذ بالتحذير ، قال: (فَيُؤَلِّي عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ...).

زيادة على أن ( الواو ) أشركت المُخَاطَبَ – المراد تحذيره – و المُحذَرَّ منه – الأسد في قولك: إِيَاكَ و الأسد - في المباحة ؛ إذ (( إنَّ البُعدَ والقُربَ بالإضافة، فقد يكون الشيء بعيدًا بالإضافة إلى شيء، وقرينًا بالإضافة إلى شيء آخر غيرهِ، وههنا إذا تَبَاعَدَ عن الأسد، فقد تَبَاعَدَ الأسدُ عنه ؛ فاشتركا في البُعد ))<sup>(٧)</sup> ، قال (عليه السلام) : (( انقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ ))<sup>(٨)</sup>، ولم يقل: إِيَاكُمْ و مدارج الشيطان ؛ وذلك أن فعل الاتقاء من جهة واحدة ، من ( المتَّقِي ) ، أما الجهة الثانية ( الشيطان ) ؛ فعلى العكس مستمر في نصب مكائده وإن ابتعدت عنه ؛ فهو يحاول الاقتراب منك بشتى الطرق<sup>(٩)</sup>، ولو قال الامام ( عليه السلام ): إِيَاكَ و مدارج الشيطان ؛ لنفى خطر الشيطان من العبد المتَّقِي و محاولات اقترابه التي تتجدد من أول

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش : ٣٨٩ / ١ .

(٢) معاني النحو: ١١٠ / ٢ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن : ١٩٠ / ٣ .

(٤) نهج البلاغة: ٥٣٢ .

(٥) نهج البلاغة: ٤٢١ .

(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٤١٩ / ٤ .

(٧) شرح المفصل لابن يعيش : ٣٨٩ / ١ .

(٨) نهج البلاغة: ٢١١ .

(٩) قال تعالى على لسان ابليس لعنه الله : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } [الأعراف: ١٦، ١٧]



مرة اتقاه العبد فيها – والله أعلم - ؛ لذا إن التحذير من الشيطان ومكائده يحتاج إلى تجدد هذا التحذير فنراه ( عليه السلام ) في أكثر من نص يجدد هذا التحذير<sup>(١)</sup> .

ومما كثفت فيه دلالة التحذير باستعمال ( إيا ) قوله ( عليه السلام ) : (( إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ ؛ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّنْبِ ))<sup>(٢)</sup>؛ كثف في هذا النص دلالة التحذير من الفرقة ؛ باستعمال ( إيا ) مع ( الواو ) ، والجملة التعليلية بقوله: ( فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ) ، و التشبيه ( كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّنْبِ ) .

حذر الامام ( عليه السلام ) من الفرقة باستعمال ( إياكم و الفرقة ) ؛ فالفرقة نقيض الوحدة ؛ والتحذير يشمل الأشخاص و الفئات الصغيرة المعزولة عن المجتمع الإسلامي<sup>(٣)</sup> ؛ إذ لا بد من أن يبتعدوا عن الفرقة مطلقا ؛ فلا مناص إما أن تكون مع الوحدة أو تنفرد ، و زاد في هذا التحذير بدفع سؤال محتمل ، ولقائل يقول: إذ يمكن أن ينفرد الشخص عن الجماعة ؛ فما الذي يحصل؟! ؛ لذا قال ( عليه السلام ) : ( فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ) أي: سيكون الشاذ – هذا المنفرد عن الناس<sup>(٤)</sup> - لُقمة سائغة و سهلة للشيطان ، وإن توقع أنه سيكون على حق إن تفرّد و انعزل ، ثم جاء بالتشبيه في قوله : ( كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّنْبِ ) ؛ إذ شبّه ( الناس ) بـ ( الغنم ) – وهما العنصران اللذان يجب أن يحذرا - ، و شبّه ( الشيطان ) بـ ( الذنب ) – وهما العنصران اللذان يجب الحذر منهما و الابتعاد عنهما - ؛ و وجه الشبه الفرقة و الانعزال والذي يجب الابتعاد عنه .

و في ذلك قد يرد إشكال : إن الامام ( عليه السلام ) كثف دلالة التحذير من الفرقة و الانفراد عن الأكثرية أو الجماعة أو السواد الأعظم ؛ فماذا لو كانت الأكثرية على باطل؟! أ ننساق معهم أم نفارقهم؟! .

والجواب: بالتأكيد لا ننساق معهم ؛ فما قصده ( عليه السلام ) (( من مسايرة الجماعة ، بمعنى: الأكثرية الموصوفة بالإيمان والقيم الأخلاقية و المبادئ الإنسانية ))<sup>(٥)</sup>؛ وذلك أنه ( عليه السلام ) قال ( الشاذ ) ، ولم يقل: المنفرد أو المفارق أو غيرها من الألفاظ التي تؤدي معنى الانفراد و العزلة ، وإنما قال ( عليه السلام ) : الشاذ ، بمعنى: من انحرف عن العقيدة و المسار الصحيح و المبادئ والقيم و المثل العليا الإسلامية و الإنسانية و الأخلاقية كمنظومة كبرى ؛ لذا جاء بالتشبيه ليبيد كون معنى ( الشاذ ) هو

(١) إذ قال عليه السلام: ((و اعلموا أنّ الشيطان إنّما يسئلي لكم طرفه ليتبعوا عقبه)) ، وقال: (( إنّ الشيطان يسئلي لكم طرفه و يريد أن يحلّ دينكم عفةً و عفةً و يعطيكم بالجماعة الفرقة و بالفرقة الفتنة فاصدقوا عن نرغاته و نقاته )) ، وقال أيضا:

(( فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه و أن يستفرقكم بديائه )) : نهج البلاغة: ١٩٦ ، ١٧٧ ، ٢٨٧ .

(٢) نهج البلاغة : ١٨٤

(٣) ينظر: نفحات الولاية: ٢١٣/٥ .

(٤) ينظر: بهج الصباغة: ٣٥١ / ١٠ .

(٥) نفحات الولاية: ٢١٥/٥ .

( المنفرد ) فقط ؛ فالشاذة من الغنم هي (( القاصية الناحية... والناحية هي التي غفل عنها وبقيت في ناحية ))<sup>(١)</sup>، فضلا عن أن هناك نصوصا إسلامية توصي بمفارقة الأكثرية الفاسدة ، ومنها قوله تعالى: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ١٠٠] ، وقوله ( عليه السلام ) في موضع آخر: (( لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ ))<sup>(٢)</sup>.

## ٦- الحث بالأمر والنداء:

من جميل ما كُنَّفت فيها دلالة الحث و الترغيب ، قوله ( عليه السلام ) في الحث و الترغيب بالتقوى ؛ قال: (( أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ زَادٌ مُبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ ))<sup>(٣)</sup> ؛ إذ جاء بالفعل المضارع الدال على الأمر المستمر ( أوصيكم ) ، و النداء ( عباد الله ) ، مع توضيح سبب الحث بـ ( الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ زَادٌ مُبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ ) ، وفي كل ذلك تكثيف للحث و الترغيب بالتقوى ؛ وذلك : أن الفعل ( أوصيكم ) ؛ جاء الأمر فيه على سبيل النصح والإرشاد ؛ كقوله تعالى على لسان لقمان ( عليه السلام ) لابنه: {يَابْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧] ؛ ف (( تلك الأوامر التي ترد على السنة الوعاظ والمرشدين والموجهين؛ فهم يريدون منها النصح والإرشاد، وأن يعبروا عما يضمرونه من حب وإخلاص لأتباعه. وهذا هو سر التعبير في أسلوب الأمر ))<sup>(٤)</sup> ، مضافا إلى ذلك : أنه ( عليه السلام ) جاء بالفعل ( أوصيكم ) المتضمن دلالة الوصية ، ولم يأت بالفعل ( أحتكم ) أو ( آمركم ) أو غيرها من الأفعال التي تتضمن معنى الحث على الفعل ، كما في قوله : (( وَ أَحْتَكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبُغْيِ ))<sup>(٥)</sup> ، وقوله : (( اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا سُمْعَةٍ ))<sup>(٦)</sup> ، وقوله: (( فَأَعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ ))<sup>(٧)</sup> ؛ ف ( أوصيكم ) بتضمنه معنى الوصية ؛ تضمن (( حثًا على سلوك طيب نافع، حبًا فيمن توجه إليه الوصية، و رغبة في رفعة شأنه و جلب الخير له ))<sup>(٨)</sup>، ولا خير يعلو التقوى ! ؛ إذ ( هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ زَادٌ مُبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ ) .

(١) مجمع بحار الأنوار (شذذ) : ٤٨٦ / ٥ .

(٢) نهج البلاغة: ٣١٩ .

(٣) نهج البلاغة: ١٦٩ .

(٤) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة: ٣٦١ .

(٥) نهج البلاغة: ١٤١ .

(٦) نهج البلاغة: ٦٤ .

(٧) نهج البلاغة: ٢٨١ .

(٨) في تاريخ الأدب الجاهلي: ٢٦٨ .

وقد جاء النداء ( عباد الله ) المحذوف الأداة – والتقدير: يا عباد الله - ؛ دالا على الإغراء<sup>(١)</sup> و الاختصاص ، جاء في (المقتضب): (( وَأَيْمًا حَقَّ النَّدَاءُ أَنْ تَعَطَّفَ بِهِ الْمُخَاطَبَ عَلَيْكَ، ثُمَّ تَخْبِرُهُ، أَوْ تَأْمُرُهُ، أَوْ تَسْأَلُهُ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَوَقَّعَهُ إِلَيْهِ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ مِنْ غَيْرِهِ فِي قَوْلِكَ: يَا زَيْدَ، وَيَا رَجُلًا؛ فَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا أَيْتَهَا الْعِصَابَةَ فَأَنْتَ لَمْ تَدْعِ الْعِصَابَةَ، وَلَكِنَّكَ اخْتَصَصْتَهَا ))<sup>(٢)</sup> ، وقد فرق ابن يعيش بين اختصاص النداء و غيره ، بقوله: (( و الفرق بين هذا الاختصاص واختصاص النداء أنك في النداء تختصّ واحدًا من جماعةٍ ليعطّف عليك عند توهم غفلةٍ عنك ))<sup>(٣)</sup> ؛ فكأنه ( عليه السلام ) بهذا النداء يوصيهم و يخصهم واحدا واحدا ؛ زيادة في الترغيب والحث .

ثم إنه ( عليه السلام ) كرر لفظ الجلالة بقوله: ( بتقوى الله ) ، ولم يقل – مثلا - : أوصيكم عباد الله بالتقوى ، أو كما في قوله ( عليه السلام ) في موضع آخر: (( فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ ))<sup>(٤)</sup> ؛ وذلك أن لفظ الجلالة باعث على الاطمئنان ؛ وفي تكراره ما يطمئن له المرء و يرغب فيه ، قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨] .

فضلا عن أن في حذف حرف النداء – في: عباد الله – دلالة على القرب المعنوي - و إن دلّت على القرب المكاني أيضا<sup>(٥)</sup> - ، كقوله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ: ١٣] ؛ فنداء (( الاختصاص الذي لا يؤتى فيه بحرف النداء البتة ))<sup>(٦)</sup> ، و في مقام الحث و الترغيب ؛ يعطي قربا دلاليا للمرغّب من المرغّب فيه .

وعليه فإن لحذف الـ ( يا ) في قوله ( عليه السلام ) ( أوصيكم عباد الله بتقوى الله ) ؛ دلالة تصبّ في الحث والترغيب بتقوى الله ، ومثله قوله ( عليه السلام ) : (( أوصيكم أيها الناس بتقوى الله ))<sup>(٧)</sup> ؛ فإن في حذف حرف النداء الـ ( ياء ) وفي هذا المقام – الحث والترغيب بتقوى الله - ؛ دلالة إلى: الاختصاص المرغّب – إن صح التعبير - ؛ إذ (( لا يجوز أن تقول: يا أيها الرجل، ولا يا أيها العصابة؛ لأنك لا تنبه

(١) وقد يخرج النداء إلى أغراض مختلفة منها: الإغراء ... قول المتنبي: يا أعدل الناس إلّا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم : أساليب بلاغية : ١٢٩ .

(٢) المقتضب : ٢٩٨ / ٣ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش : ٣٧٢ / ١ .

(٤) نهج البلاغة: ٣١٢ .

(٥) قد يكون الحذف لقرب المنادي من المنادى، سواء كان القرب حقيقيا ماديا، أم معنويا فكأن المنادي لقربه لا يحتاج إلى واسطة لندائه، ولو كان حرف نداء كأن تقول لمن تتأديه وهو قريب منك: (خالد أتدري ماذا حل بفلان)؟ : معاني النحو : ٤ / ٣٢٥ .

(٦) معاني النحو : ١٢١ / ٢ .

(٧) نهج البلاغة: ٢٧٨ .

إِنْسَانًا إِنَّمَا تَخْشَى و (يَا) إِنَّمَا هِيَ زَجْرٌ وَتَنْبِيهِ))<sup>(١)</sup> ، وحذفها ؛ تحاشيا دلالة الزجر التي تتضمنها - ال (ياء) - ، على العكس من قوله ( عليه السلام ) في مقام التنبيه والتنفير من الدنيا : (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ ))<sup>(٢)</sup> .

وما يدعم ذلك الاستعمال القرآني - أيضا- ؛ إذ وجد البحث أن استعمال ( يا أيها ) جاء في جميع الآيات التي هي في مقام التحذير أو التنبيه الشديد أو التقرير... وما إلى ذلك من سياقات تتطلب الشدة في التعبير ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: ٦] ، وقال عزوجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١] ... وما سواها من الآيات<sup>(٣)</sup>، في حين نجده تعالى ، وفي استعمال واحد جاء بـ ( أيها ) من دون ( يا ) ؛ وذلك قوله عزوجل: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} [النساء: ١٣٣] ، ولو راجعنا سياق الآيات التي تقدمت و التي تأخرت عن هذه الآية ؛ للاحظنا أن سياقها لا يحتاج إلى تفرع وشدة في التنبيه ؛ فسباق سورة ( النساء ) بشكل عام يعمل (( بجد وجه في محو ملامح المجتمع الجاهلي- الذي منه التقطت المجموعة المسلمة- ونبذ رواسبه وفي تكييف ملامح المجتمع المسلم، وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه ))<sup>(٤)</sup>، وقد تقدم الآية - في المثال - وتأخر عنها آيات<sup>(٥)</sup> مثلت توصيات أخلاقية تخص المجتمع و الأسرة ؛ فإن احتياج إلى تنبيه ؛ جاء هذا التنبيه بأسلوب لين و بطريقة مُرغبة ، نحو: استعمال ( أيها ) - فهي تتضمن التنبيه - من دون زيادة في التنبيه ليصل حد التقرير .

(١) المقتضب: ٢٩٩ / ٣ .

(٢) نهج البلاغة: ٥٣٩ .

(٣) ينظر: [البقرة: ١٦٨] ، و [النساء: ١] ، و [الأعراف: ١٥٨] ، و [يونس: ٢٣] ، و [لقمان: ٣٣] ، و [الحج: ٤٩] ، و [فاطر: ٥] .

(٤) في ظلال القرآن: ٥٥٥ / ١ .

(٥) قوله تعالى : {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ، وَلَنْ نَسْطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ، وَإِنْ يَتَقَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ، وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ، وَبَلَّغْنَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ... مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء: ١٢٨-١٣٣]

## ثانياً: تكثيف الدلالة بالمؤكدات المتعددة :

يؤكد المتكلم كلامه بأساليب مختلفة و متفاوتة ؛ لتمكين المعنى في النفس، وتقريره<sup>(١)</sup> ، و (( إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك ... وما خالجه من شبهات ))<sup>(٢)</sup> ، ويتمثل بوسائل عدّة مستعملة أو مبتكرة في التوكيد ، منها: التوكيد بالألفاظ التي تفيد التوكيد حيثما وقعت ، كما في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: ٢٠] ، و التوكيد بألفاظ تفيد التوكيد في مواطن من دون أخرى ، كالتوكيد بـ ( البناء ) الزائدة في قوله تعالى: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦] ، و مثله قوله تعالى: { وتوبوا إلى الله جميعاً } [النور: ٣١] ؛ ف ( جميعاً ) أفادت التوكيد المعنوي<sup>(٣)</sup> ، و التوكيد بالتكرار نحو قوله تعالى: { فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً } [الإنشراح: ٥ - ٦] ، ونحو قوله تعالى: { وكلم الله موسى تكليماً } [النساء: ١٦٤] ، و التوكيد بالقسم ، كقوله تعالى: { وتالله لأكيدن أصنامكم } [الأنبياء: ٥٧] ، ... وما إلى ذلك من وسائل وأساليب مستعملة في التوكيد<sup>(٤)</sup> .

ونجد أن ما يحدد استعمال هذه الوسائل والأساليب هو حاجة المقام و السياق بصورة عامة ؛ إذ إن في بعض التراكيب يأتي المتكلم بمؤكد واحد ، وفي بعضها بمؤكدين، وفي أخرى يطغى التأكيد على التركيب ؛ ويأتي المتكلم بما يركز التأكيد في التركيب ، جاء في ( البرهان ) : (( إِذَا قَصَدُوا مُجَرَّدَ الْخَبَرِ؛ أَتَوْا بِالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ ، وَإِنْ أَكَّدُوا ؛ فَبِالْإِسْمِيَّةِ ، ثُمَّ بِيَنَّ ، ثُمَّ بِهَا وَبِاللَّامِ ، وَقَدْ تُوكَّدُ الْفِعْلِيَّةُ بِقَدْ ، وَإِنْ أَحْتِجَّ بِأَكْثَرَ جِيءَ بِالْقَسَمِ مَعَ كُلِّ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ ، وَقَدْ تُوكَّدُ الْإِسْمِيَّةُ بِاللَّامِ فَقَطُّ نَحْوُ: لَزِيدٌ قَائِمٌ ، وَقَدْ نَجِيءٌ مَعَ الْفِعْلِيَّةِ مُضْمَرَةً بَعْدَ اللَّامِ ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْخِطَابَ عَلَى دَرَجَاتٍ ))<sup>(٥)</sup> .

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن تكذيب رُسل عيسى ( عليه السلام ) : { إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [يس: ١٤ - ١٧] ؛ إذ يمكن ملاحظة فرق التوكيد بين قوله: ( إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ) في الجملة الأولى ، وبين قوله: ( رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ) في الجملة الثانية ؛ مع أن كلتا الجملتين جاءتا رداً من الرسل على تكذيبهم ؛ غير أن

(١) ينظر: الباب في علل البناء والإعراب: ٣٩٤/١ .

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٥٢ ، وينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ١٤٦ ..

(٣) أذ إن في تعابير أخرى تفيد معنى غير التوكيد كقوله تعالى: { ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً } [النور:

٦١] ، أي: مجتمعين أو متفرقين، وقال: { تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى } [الحشر: ١٤] ، أي: تحسبهم مجتمعين، وهم

متفرقون : ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٨ / ٥ ، و تفسير الراغب الأصفهاني: ٣٩٦ / ٥ .

(٤) لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها إن، وأن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة

(كتفعل واستفعل) والتكرار، وقد، وأما الشرطية، وإنما وإسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي: جواهر

البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: ٥٨ .

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣٩١ / ٢ .

الفرق ؛ (( إذ كُذِّبُوا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى: - {إِنَّا إِلَيْكُمْ مَرْسَلُونَ} {يس: ١٤} - ؛ فأكد بأن واسمية الجملة، وفي المرة الثانية: - {رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ} {يس: ١٦} - فأكد بالقسم و (إن) واللام، واسمية الجملة ؛ لمبالغة المخاطبين في الإنكار، حيث قالوا: {ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون} {يس: ١٥} ))<sup>(١)</sup>، فضلا عن أنه جاء بقوله: (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) بعد قوله : ( .... لمرسلون ) زيادة في التأكيد ؛ فعمل الرسول هو الإبلاغ ، لكنه جاء بهذا التذييل موازيا لإنكارهم بالقول: ( ما أنتم إلا بشر مثلنا ) ، وجاءت جملة : ( رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ ) ردا على قولهم: ( ما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ) .

ولو قارنا بين جملة المنكرين وجملة الرسل - من حيث التوكيد - ؛ لوجدنا أن ما قاله الرسل حقق تأكيدا مركزا ؛ أثبت الدلالة و كثفها ؛ فالمنكرون ادَّعوا بقولهم : ( ما أنزل الرحمن من شيء ... ) ، و الرسل: أقسموا ( ربنا يعلم )<sup>(٢)</sup> ؛ و لعل في ذلك دلالة على أن الرسل في المرة الأولى: عندما كُذِّبُوا ؛ جاءوا بما يثبت مدعاهم - من أنهم رسل من الله تعالى - ، لكن في المرة الثانية: حين أنكروهم - على الرغم من وجود الدليل - أصبح إنكار المنكرين ادَّعَاءً - ( ما أنزل الرحمن من شيء ... ) - ؛ فاحتاج إلى قسم يبطل ادعاء المنكرين ، وما يدعم ذلك ما روي عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ، قوله : (( الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ))<sup>(٣)</sup>؛ لذا فمن المتوقع أن بعد قول المنكرين : ( ما أنزل الرحمن من شيء ) أن يؤتوا بالدليل ؛ لكنهم جاءوا بجملة النفي والاستثناء ( إن أنتم إلا تكذبون ) المفيدة ادعاء ثانيا ، غير مثبت ؛ بل يمكن أن يتجدد ويدعى غيره ؛ بدلالة الجملة الفعلية ( تكذبون ) .

في حين أن في قول المرسلين: ( ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ) جاء ب ( القسم ) ، و( إن ) و ( اللام ) ، و الجملة الاسمية المفيدة الثبوت ، وفي كل هذا التعدد ما يركز التوكيد ، ويكثف دلالة التركيب والمراد منه ؛ إذ كثف هذا التوكيد المركز ؛ ثبات الرُّسُل و صدق ما يقولون ، و أحقيّة مدعاهم ، واصرارهم للحق .

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٢١٧ / ٣ .

(٢) اعربت ( ربنا يعلم ) : ربنا: مبتدأ ، وجملة: يعلم خبر ، وفاعل يعلم مستتر تقديره هو ، و قيل: وفي قوله: ( ربنا يعلم ) تأكيد رابع وهو اجراء الكلام مجرى القسم في التأكيد به وفي أنه يجاب بما يجاب به القسم: إعراب القرآن وبيانه : ١٨٥ / ٨ .

(٣) وسائل الشيعة : ٢٧ / ٢٨٢ ، وينظر: السنن الصغير للبيهقي : ٢٥٧ / ٣ .

ومثل ذلك قوله ( عليه السلام ) في عمرو ابن العاص : (( عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً <sup>(١)</sup> ، وَ أَنِّي أَمْرٌ تَلْعَابَةٌ <sup>(٢)</sup> أَعَافِسُ وَ أَمَارِسُ <sup>(٣)</sup> ؛ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ أَثِمًا ، أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ ، وَ يُسْأَلُ فَيَبْخُلُ وَ يُسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ... أَمَا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ )) <sup>(٤)</sup>؛ نلاحظ الفرق في التوكيد بين قوله عليه السلام: ( إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ) و قوله: ( يَعِدُ فَيُخْلِفُ... ) ، وبين قوله ( عليه السلام ): ( أَمَا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ) وقوله: ( وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ ) .

ففي قوله ( عليه السلام ): ( إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ) أكد بمؤكدين ، هما : إن - وهي حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد ، بمعنى: حَقَّقَتْ وَ أَكَّدَتْ <sup>(٥)</sup> - ولام التوكيد - و تسمى لام التوكيد ، واللام المزحلقة ، ولام الابتداء <sup>(٦)</sup> ... - ، في حين لم يؤكد الجمل التي بعده ، وجاءت خالية من التوكيد ( يَعِدُ فَيُخْلِفُ ، وَ يُسْأَلُ فَيَبْخُلُ ، وَ يُسْأَلُ فَيُلْحِفُ... ) ؛ والحال أن كل ما ذكر هي صفات قبيحة يتصف بها ابن العاص؟! .

و الفرق أن تأكيده لصفة الكذب بهذا الرجل من دون غيرها مناسب للسياق العام للنص ؛ فالنص جاء ردًا على ما زعم ابن العاص من قول ؛ فأكد ( عليه السلام ) اتصاف ابن العاص بالكذب ، وبشكل مستمر و من دون تورع ؛ وذلك بدلالة حرف ( الفاء ) و الفعل المضارع ؛ إذ جاء كلا الفعلين - يقول و يكذب - دالين على الحال و الاستقبال ، والمعنى : أن ابن العاص يقول القول و سرعان ما يكذب في قوله وهو مستمر بهذا الطبع القبيح ، ومن أكاذيبه هذه الكذبة ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، يبدو أن هذا التأكيد جاء لخصوصية في الكذب نفسه من دون غيره من الصفات ؛ فهو أقبحها و أكثرها مذمة ؛ ف (( قباحتها معلومة من حيث العقل و النقل )) <sup>(٧)</sup> ، وقد روي عن الامام العسكري ( عليه السلام ) قوله: (( جُعِلَتْ الْخَبَائِثُ كُلُّهَا فِي بَيْتٍ وَ جُعِلَ مِفْتَاحُهَا الْكَذِبُ )) <sup>(٨)</sup> ، فما يجعل ابن العاص يخلف بوعده و يبخل ... و يفعل كل هذه الصفات الذميمة ؛ هو اتصافه بالكذب و استمراره عليه بلا ورع منه ، فضلا عن أن في سياق النص ما يثبت ذلك ؛ إذ تقدّمه قوله ( عليه السلام ): ( أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ

(١) الدعابة - بالضم - : المزاح واللعب : ينظر: أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٨٧ .

(٢) تلعباة - بكسر التاء - : كثير اللعب : ينظر: أعلام نهج البلاغة(السرخسي): ٨٧ .

(٣) أعافس : أعالج الناس و أضرابهم مزاحا ، ويقال: معالجة النساء بالمغازلة . والممارسة كالمعافسة : ينظر: أعلام

نهج البلاغة(السرخسي): ٨٧ .

(٤) نهج البلاغة: ١١٥ .

(٥) ينظر: شرح الرضي : ٤ / ٣٣١ .

(٦) ينظر: أعلامات : ١٤٨ .

(٧) منهاج البراعة: ٦ / ٧٦ .

(٨) بحار الأنوار : ٦٩ / ٢٦٣ .

الكَذِبِ ) ، ثم أن في النص ما يُعد ردًا على ابن العاص ؛ إذ جاء قوله ( عليه السلام ) : ( أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ) ؛ ردًا على افتراء ابن العاص .

ونلاحظ الفرق بين قوله ( عليه السلام ) : ( أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ) الذي تضمن أربعة مؤكدات - أما ، و القسم ( والله ) ، إن ، واللام - ، وبين قوله : ( وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ ) ؛ إذ تضمن مؤكدين - إن و اللام - .

وقد جاء بـ ( أما ) و القسم ( والله ) زيادة في التأكيد مع القول الأول ؛ فأما ( أما ) ؛ فهي حرف (( تَسْتَعْمَلُ فِي افْتِتَاحِ الْكَلَامِ لِلتَّأْكِيدِ وَالتَّنْبِيهِ ))<sup>(١)</sup> ، و تأكيد الحال<sup>(٢)</sup> ، وتكون بمعنى ( حقا ) أو ( قد ) ؛ قال سيبويه : إذا قال قائل (( أما أنه منطلقٌ ، فإنه يجعله كقولك : حقا أنه منطلقٌ ))<sup>(٣)</sup> ، وقال ابن السراج: إن قولك (( أما والله إنه ذاهب ، كأنك قلت: قد علمت والله إنه ذاهب ))<sup>(٤)</sup> ؛ فـ ( أما ) (( تُحَقِّقُ الْكَلَامَ الَّذِي بَعْدَهَا ... فنقول: ( أما إن زيذاً عاقلٌ ) ، تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز... وإدخال ( أما ) على حرف القسم كأنه يُنبه المخاطب على استماع قسمه، وتحقيق المُقَسَمِ عليه ))<sup>(٥)</sup>؛ فهي تستعمل غالباً مع القسم .

أما جملة القسم ( والله ) ؛ فقد جاءت لتوكيد ما بعدها من كلام ؛ قال ابن جني: (( اعلم أن القسم ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبر آخر ))<sup>(٦)</sup>؛ فـ (( الغرض منه توكيد الكلام الذي بعده من إثبات أو نفي ))<sup>(٧)</sup> ، و ( الواو ) التي في ( والله ) تأتي مع القسم المحذوف فعله وجوبا ، فلا يقال: أقسم والله ؛ وذلك لكثرة استعمالها في القسم ؛ فهي أكثر استعمالاً من غيرها<sup>(٨)</sup> ؛ وعليه فإنها أثبت في دلالة القسم .

و لو قابلنا بين ما يختلف فيه التركيب الأول - أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ - عن الثاني - إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ - من ألفاظ أخرى - غير المؤكدات - ؛ لاتضحت نكتة زيادة التوكيد في الأول من دون الثاني ؛ إذ نجد الاختلاف في المانع و الممنوع منه ، أي في: ليمنعني ( من اللعب ذكر الموت ) ، ويمنعه ( من قول الحق نسيان الآخرة ) ؛ وتوضيحه : أن المانع للإمام ( عليه

(١) حروف المعاني والصفات : ١١ .

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش : ٤٤ / ٥ .

(٣) الكتاب لسيبويه : ١٢٢ / ٣ .

(٤) الأصول في النحو : ٢٧٠ / ١ .

(٥) شرح المفصل لابن يعيش: ٤٤ / ٥ .

(٦) اللمع في العربية لابن جني: ١٨٣ .

(٧) اللباب في علل البناء والإعراب : ٣٧٣ / ١ .

(٨) ينظر: شرح الرضي : ٣٠٠ / ٤ .



السلام) هو: ذكر الموت والممنوع عنه هو: اللعب ، أما المانع لابن العاص فهو: نسيان الآخرة والممنوع عنه هو: قول الحق .

وهناك ما هو مشترك بين مانع الامام ( عليه السلام ) والممنوع عنه ابن العاص ، وبين الممنوع عنه الإمام ( عليه السلام ) و مانع ابن العاص ؛ فـ ( اللعب ) و ( النسيان ) طبيعتان في الإنسان ، و الأولى تزيد على الثانية فهي مما يرغب فيه الانسان ، قال تعالى عن الإنسان : {ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ} [الزمر: ٨] ، وقال {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ٣٢] ، وقال أيضا: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ} [محمد: ٣٦] .

أما ( ذكر الموت ) و ( قول الحق ) فهما – من البديهي – فعلان من أفعال الانسان ، و ليسا مما جُبل عليه الإنسان ، وهنا تتضح النكته ؛ فعندما كان المانع لابن العاص هو النسيان – من طبع الانسان - ، والممنوع منه هو قول الحق – مما ليس من الطبع – لم يحتج إلا لمؤكدين – إن و اللام – يؤكدان الخبر للسامع .

لكن عندما كان المانع للإمام ( عليه السلام ) هو مما ليس من طبع الإنسان – ذكر الموت! - ، وكان الممنوع منه هو من طبع النفس الإنسانية – اللعب – احتيج إلى أربعة مؤكدات ، مؤكدين – إن و اللام – يؤكدان الخبر ، و مؤكدين آخرين – إما و القسم – يؤكدان نسبة الخبر للمخبر عنه ؛ فجاء بما يؤكد الخبر ونسبته- والله اعلم - وهذا من دقائق بديع استعمال اللغة منه (عليه السلام).

وبدلالة ( أما و القسم ) ؛ إذ كلاهما جاء لتوكيد الحال – كما تقدم – نعلم أن الإمام ( عليه السلام ) على ذكر دائم من الموت فلا يغفل و لا يلهو طرفة عين عن ذكره (١) ؛ وبذلك دليل إلى عصمته ( عليه السلام ) عن اللهو و السهو و الغفلة .

ومما فُرق فيه بتركيز التأكيد و من كلام له ( عليه السلام ) لما أظفره الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلانا شاهدنا ؛ ليرى ما نصررك الله به على أعدائك ؛ فقال له عليه السلام: (( أ هَوَىٰ أَخِيكَ مَعَنَا ؟ ، فَقَالَ: نَعَمْ ، قَالَ : فَقَدْ شَهِدْنَا ، وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَّرَ عَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَفْوَىٰ بِهِمُ الْإِيمَانُ )) (١) والفرق بين قوله عليه السلام: (فَقَدْ شَهِدْنَا) ، جاء بمؤكد واحد ( قد ) ، و قوله: (وَ لَقَدْ شَهِدْنَا...) جاء بـ ( اللام ) زيادة ، و معنى ( قد )

(١) ينظر: نفحات الولاية: ٣ / ٢٨٣ .

(٢) نهج البلاغة: ٥٥ .

((حَرْفٌ تَحْقِيقٌ وَهُوَ مَعْنَى التَّأَكِيدِ))<sup>(١)</sup> وإليه أشار الزمخشري في قوله تعالى : {وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١] ؛ إذ قال: (( فَقَدْ هُدِيَ ؛ فقد حَصَلَ لَهُ الْهُدَى لَا مَحَالَةَ ))<sup>(٢)</sup> ، فمعنى قوله ( عليه السلام ) : ( فقد شهدنا ) ، أي: حضر معنا و شاركنا هذا النصر لا محالة .

و ( اللام ) في ( لقد ) واقعة في جواب القسم محذوف تقديره : والله أو أقسم ، (( وَفَائِدَةُ زِيَادَتِهَا تَأَكِيدُ الْإِثْبَاتِ ))<sup>(٣)</sup>، جاء في ( الخصائص ) (( "قد" بما تدخل عليه من الأفعال، ألا تراها تعتد مع الفعل كالجاء منه ؛ ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على "قد" ))<sup>(٤)</sup>؛ فهي تجعل الفعل يقارب الاسم في الثبوت<sup>(٥)</sup> ، مع إفادتها تقريب الماضي من الحال<sup>(٦)</sup> ؛ وعليه فإن زيادة ( اللام ) جاءت للدلالة على بعدهم الزماني وتأكيد القرب و الحضور المعنوي من الحال المؤكّد له وهو: حضور أقوام لم يخلقوا بعد في انتصار معركة الجمل ، وما يدعم ذلك قوله ( عليه السلام ): ( سير عفا بهم الزمان ) ؛ إذ استعار لفظ الرُعاف ونسبه إلى الزمان ، لكونه من أسباب وجودهم<sup>(٧)</sup> .

و لا يبعد أن يكون قوله : ( لقد شهدنا في عسكرنا ... ) جاء تأكيدا لحضور أخي السائل كما يرى ابن ميثم ؛ إذ قال: هو (( تأكيد لحضور أخ القائل بالإشارة إلى من سيوجد من أنصار الحقّ الذابّين عنه و عباد الله الصالحين الشاهدين معه ( عليه السلام ) أيضا ))<sup>(٨)</sup>، وتبعه في ذلك الشارح الخوئي<sup>(٩)</sup>، وعلى هذا يكون المعنى: أنّه حضرنا أقوام لم يخلقوا بعد ؛ لأنّ هواهم معنا ؛ فكيف بأخيك الذي هو في زماننا و هواه معنا؟! .

ونجد التكتيف في بعض التراكيب يأتي بـ ( قد ) ؛ لتكثيف توكيد مضمون الخبر و الإقرار بثبوته ، كما في قوله ( عليه السلام ) في الزبير : (( يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ، فَقَدْ أَقْرَأَ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى الْوَلِيَجَةَ ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ ، وَ إِلَّا فَلْيُدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ ))<sup>(١٠)</sup>، قال ( عليه السلام ) : ( يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه ) ، إن الفعل ( زعم ) يأتي غالبا في سياق التقليل من صحة مضمون الخبر وثبوته قالوا : (( زعم فلان أن الأمر كيت وكيت زعماً وزعماً ومزعماً إذا شككت أنه حق أو باطل وأكثر

(١) البرهان في علوم القرآن : ٤١٧ / ٢ .

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣٩٣ / ١ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٨٠ / ٣ .

(٤) الخصائص : ٣٩٣ / ٢ .

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣٩١ / ٢ .

(٦) ينظر: شرح الرضي : ٣١٠ / ٤ .

(٧) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ١٠٥ .

(٨) شرح نهج..(ابن ميثم): ٢٨٨ / ١ .

(٩) منهاج البراعة : ١٨٢ / ٣ .

(١٠) نهج البلاغة: ٥٤ .

فـ ( الزعم ) هو الاعتقاد الباطل بتقول<sup>(١)</sup>، أو القول المشكوك في صحّة مضمونه ، قال تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا... } [التغابن: ٧] و هذا الزعم باطل وكذب ويحتمل أنه حق ؛ لذا قطع الاحتمال بقوله تعالى بعده : { قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ } [التغابن: ٧] ، ومثله قوله ( عليه السلام ) في الشورى : (( حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ))<sup>(٢)</sup> والحال أنّه ليس كأحدهم ؛ فهذا الزعم باطل ؛ إذ قال ( عليه السلام ) في نفس السياق : (( فَيَا لَلَّهِ وَ لِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّىٰ صِرْتُ أَقْرَبُ إِلَىٰ هَذِهِ النَّظَائِرِ ))<sup>(٣)</sup>، وقال في موضع آخر عن ابن العاص (( عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً... لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ أَنثَمًا ... إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ))<sup>(٤)</sup> ونلاحظ أن كلّ ما جاء في هذه النصوص من زعم ؛ أن الخبر فيها محل شك فيكذب المضمون لقطع هذا الشك ، وكذا لم تؤكد إلا بـ ( إن ) – زعم أنّي ، و يزعم ... أنّ - ، واستعمال ( إن ) يؤكد وقوع الخبر وصدوره<sup>(٥)</sup> ؛ فهم زعموا ذلك حقا ؛ أما كونه مطابقا للواقع أو لا ؟ فهذا شيء آخر .

في حين نلاحظ قوله ( عليه السلام ) في الزبير : ( يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبائع في قلبه ) جاء بـ ( قد ) مع ( إن ) ، والحال أن ما زعمه الزبير مطابق للواقع ؛ فهو قد بايع الإمام ( عليه السلام ) (( بيعة مكشوفة رآها العام و الخاص من دون إجبار و لا إكراه ))<sup>(٦)</sup>، و أضمر غاية تقدح في صدق نيّته من البيعة<sup>(٧)</sup> ؛ فإن مضمون الخبر مطابق للواقع ؛ لذا جاء بما يؤكد مضمونه وينص على صحته وهو حرف التحقيق ( قد ) ، بخلاف ما مرّ من أمثلة فالخبر فيها غير مطابق للواقع ؛ لذا لم يأت بـ ( قد ) ؛ وعلى هذا الأساس من الصحة بمضمون الخبر ؛ بنى الامام ( عليه السلام ) استدلاله على غدر الزبير وخيانتة ، ودعاه إلى البيعة الثانية ؛ إذ إن الزبير أراد أن يبطل بيعته الأولى ؛ فأدعى أنه ورى بها ، ولم تكن عن نية صادقة ، لكن الامام ( عليه السلام ) بإثباته لصحة مدعاه ، أبطل مراده .

ومن ذلك يمكن استنتاج أن حرف التحقيق ( قد ) يؤكد مطابقة الخبر للواقع ؛ إذا كان في الخبر ما يشكك في صحّة مطابقته أو لم يكن في الخبر ما يثبت صحّة ذلك؛ فهو ينص على صحته وثبوتته ؛ قال تعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [آل عمران: ١٧٣] ولم يأت بما ينفي به ما قاله الناس أو يثبته ؛ لكنه بحرف التحقيق ( قد ) ؛ دل

(١) ينظر: الكليات: ٤٨٨ .

(٢) نهج البلاغة: ٤٨ .

(٣) نهج البلاغة: ٤٨ .

(٤) نهج البلاغة: ١١٥ .

(٥) ينظر: شرح الرضي : ٤ / ٣٣١ .

(٦) شرح نهج..(السيد عباس): ١ / ١٣٥ .

(٧) ينظر: الدرّة النجفية: ٧٠ .

على ثبوت صحة مضمون الخبر؛ وما يدعم ذلك أن الآية نزلت قبل يوم الأحزاب أو أحد<sup>(١)</sup>، والمعنى: (( أَيِّ إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ))<sup>(٢)</sup>.

ونجد في بعض التراكيب أن الامام ( عليه السلام ) يوازن بين المؤكدات في التعبير الواحد ؛ ليكتفٍ من التساوي في الدلالة ، ومنه قوله ( عليه السلام ) في توبيخ الخارجين عليه من قريش: (( مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتَهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ ))<sup>(٣)</sup>؛ ففي قوله عليه السلام: ( والله لقد قاتلتهم ... ) جاء بالقسم ( والله ) و اللام ( و قد ) ، وفي: ( لأقاتلنهم مفتونين ) جاء بـ ( اللام ) و نون التوكيد المشددة ، وهي بمنزلة نونين ؛ ( لأن تكرار النون بمثابة تكرار التوكيد )<sup>(٤)</sup>، وبذلك ليكتفٍ الدلالة إلى أن ( الفتنة مساوية الكفر في الإحواج إلى المقاتلة )<sup>(٥)</sup>، و نون التوكيد هذه ( إن كَانَتْ خَفِيفَةً كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ تَأْكِيدِ الْفِعْلِ مَرَّتَيْنِ أَوْ شَدِيدَةً فَمَنْزِلَةُ تَأْكِيدِهِ ثَلَاثًا ))<sup>(٦)</sup>، فهي تدل على شدة الفعل قال تعالى على لسان زليخة: { وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيُسْجَنَنَّ } [يوسف: ٣٢] ؛ إذ أكدت النون المشددة - في ( ليسجنن ) - السجن بشدة<sup>(٧)</sup> ، وهي في قوله عليه السلام: ( لأقاتلنهم مفتونين ) ؛ دلت على شدة بطشه بهم ( عليه السلام ) كما عرفوها ببدر و أحد ... وما سواها من الحروب والغزوات التي خاضها ( عليه السلام ) مع الرسول ( صلى الله عليه وآله ) ؛ وفيه تهديد لهم وتذكير بما شاهدوه و لاقوه من أفعاله في الحرب عليه السلام<sup>(٨)</sup> وزاد من هذا التساوي في الدلالة قوله ( عليه السلام ) : ( وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ ) .

وكذا نجد في بعض التراكيب العكس ؛ إذ لا يساوي بين المؤكدات في التعبير الواحد ، لغاية دقيقة لا يتنبه لها إلا العالم البارع في استعمال اللغة ، ومنه قوله ( عليه السلام ) في كلام له قاله للخوارج وهم مصرّون على إنكار الحكومة: (( وَ اللَّهُ لَئِن أَبَيْتُهَا ( الحكومة في صفين ) مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَ لَا حَمَلْنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا ، وَ وَ اللَّهُ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ ))<sup>(٩)</sup> والفرق في المؤكدات بين قوله في الإباء ( والله لئن أبيتها ) جاء بمؤكدين : القسم ( والله ) و ( اللام ) ، وقوله ( عليه السلام ): ( والله إن جئتها إنِّي

(١) جاء: إن أبا سفيان كان أرسل يوم أحد أو يوم الأحزاب إلى قريش و غطفان وهوازن يستجيشهم على رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فأَنْزَلَ اللهُ { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ } الآية : الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٣٨٩ / ٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٦٩ / ٤ .

(٣) نهج البلاغة: ٧٧ .

(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٥٩١ .

(٥) شرح نهج.. (القرن الثامن): ٤١٢ .

(٦) البرهان في علوم القرآن : ٤٣٠ / ٤ .

(٧) البرهان في علوم القرآن : ٤٣٠ / ٤ .

(٨) ينظر: الدرّة النجفية : ٩٤ .

(٩) نهج البلاغة : ١٧٨ .

للمحق الذي يُتبع ( جاء بالقسم ( والله ) و إنَّ و واللام والجملة الاسمية ( لمحق ) و الوصف ( الذي يتبع ) ، والحال أن المخاطبين هم أنفسهم – خوارج النهروان - ، والموضوع واحد – مسألة التحكيم – غير أن في الأولى عنى : الامتناع عن إنهاء الحرب والذهاب إلى التحكيم ، وفي الثانية: الرضا بإنهاء الحرب والذهاب إلى التحكيم ؛ فلماذا هذا التفاوت؟ .

وقد لحظ الشارح الخوئي هذا التفاوت فتساءل و أجاب بقوله: (( فإن قلت: فلم أكد الكلام في جانب الإيابة بتأكيدين ... و في الجانب الآخر أتى بأربع تأكيدات ... و أكد خامسا بالوصف ... قلت: النكتة في ذلك أنّ مخاطبته بهذا الكلام لما كانت مع الخوارج الزاعمين لكون الأقدام على الحكومة معصية و حراما من دون الإيابة، و كانوا مصرّين على إنكارها استدعى المقام زيادة التأكيد ردّا لزعم المخاطبين، و إبطالا لإنكارهم ؛ و لهذه النكتة أيضا أتى بالموصول تفخيما لشأنه، و جعله وصفا تأكيدا لحقيقته ))<sup>(١)</sup> ، وبعبارة أوضح: أنه ( عليه السلام ) في العبارة الأولى ( والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ) عندما جاء بمؤكدين ؛ وذلك أن من المخاطبين من لم يكونوا ناكرين لموقفه من مخالفته ورفضه للتحكيم في بادئ الأمر ؛ بل كان فريق منهم قد حضر صفين وشاهد رفضه للتحكيم فلا يحتاج إلى توكيد هذا الخبر له ؛ لذا اقتصر التوكيد على الفريق الثاني الذي لم يحضر صفين ، و أما في العبارة الثانية ( والله إن جنتها إنّي للمحق الذي يُتبع ) عندما جاء بهذه المؤكيدات الخمسة ؛ لأنّ كل من خرج في النهروان من الفريقين – من حضر صفين ومن لم يحضر – كانوا منكرين لقبوله التحكيم ؛ فجاء بما يركز فيه التأكيد لإبطال إنكارهم و بيان حكمته ( عليه السلام ) ؛ فهو الذي يجب أن يؤخذ بأمره و نهيه ؛ وإن بدا تقصير ؛ فالحق (( على الخوارج الذين قبلوا بالحكومة و فرضوها على غيرهم ... ثم أرادوا الآن أن يرفضوها ))<sup>(٢)</sup>؛ فهذا التفاوت راجع إلى منتهى دقة المتكلم و فطنته في تشكيل عباراته ( عليه السلام ) ، و دقة انتباهه إلى من يسمعه ( عليه السلام ) ، وهذه الدقة لا تراها إلا في النصوص الإلهية الصادرة عن الربّ جل و علا ، أو عن طريق المعصوم ( عليه السلام ) .

وفي كل ذلك التركيز تكثيف إلى تأكيد بعده كلّ البعد ( عليه السلام ) عن أدنى تقصير ؛ إذ عمل بحسب المصلحة العامة للأمة الإسلامية ؛ فهو ( عليه السلام ) عندما رفض التحكيم ؛ لأنه كان يعدّه خدعة وحيلة ، ولما اختلف جيشه و أراد الأعم الأغلب منهم التحكيم ، رضي به دفعا للفتنة<sup>(٣)</sup> .

وقد جاءت تراكيب عدّة في نصوص نهج البلاغة كتّفت فيها الدلالة ؛ بتركيز التوكيد ، منها قوله ( عليه السلام ) في خطبته المعروفة بالشفقية: (( أما و الله لقد نَمَّصَهَا فُلَانٌ وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلٌّ

(١) منهاج البراعة: ٨ / ١٤٦ .

(٢) شرح نهج ... (السيدعباس): ٣٣٦/٢ .

(٣) ينظر: نفحات الولاية: ١٥٠ / ٥ .

الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى))<sup>(١)</sup> ، إذ استعمل ( عليه السلام ) في هذا التركيب التوكيد بشكل مركز ؛ تكتيفا للدلالة المرادة فيه ؛ إذ جاء بـ ( أما ) في قوله : ( أما والله لقد تقمّصها... ) ، والمعنى : ( حقا والله لقد تقمّصها... ) أو ( قد علمت والله... ) - كما بيّنا<sup>(٢)</sup> - ، وفي ذلك تحقيق و تأكيد للحال المقسم عليه ، وهو تقمّص الخلافة ، غير أنه ( عليه السلام ) - لعله - جاء بـ ( أما ) من دون ما في معناها - حقا أو قد - ؛ لصوت الهمزة فيها ، فهو صوت انفجاري خارج من الصدر ؛ مما يوحي باختناق في صدر المتكلم يحاول التنفيس عليه ؛ لذا ابتدأ الخطبة بهذا الصوت ، وما يدعم ذلك قوله ( عليه السلام ) لابن عباس في نهاية الخطبة عندما قاطعه أحدهم ، و ناشده ابن عباس مواصلة الخطبة ؛ فقال له : (( هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ<sup>(٣)</sup> هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ ))<sup>(٤)</sup> ، وجاء بالقسم ( والله ) ؛ فالغرض من القسم (( توكيد الكلام الذي بعده من إثبات أو نفي ))<sup>(٥)</sup> ، ثم إن (( الْجُمْلَةُ الْقَسَمِيَّةُ لَا تُسَاقُ إِلَّا تَأَكِيدًا لِلْجُمْلَةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهَا ))<sup>(٦)</sup> ، و جاء أيضا بـ ( لقد ) ، و ( إن ) المكسورة الهمزة ، و ( لام ) التوكيد ، و ( أن ) المفتوحة الهمزة ، وقد تبيّن كل منها في ما تقدم ، وفي كل ذلك تركيز لتوكيد الدلالة وتكثيفها - كما سيتضح - .

إذ نجد أن التأكيد بـ ( أما ، والقسم ، و لقد ) تقدّم قوله ( عليه السلام ) : ( تقمّصها فلان<sup>(٧)</sup> ) ؛ وذلك (( للدلالة على أن الأمر كذلك حتى لا يشك فيه شاك ))<sup>(٨)</sup> ؛ فـ ( الهاء ) في ( تقمّص ) تعود إلى ( الخلافة )<sup>(٩)</sup> ؛ و ( تقمّصها ) لفظة اکتنزت من الدلالة ما يناسب هذا السياق المركز التأكيد ؛ فمن تقمّص شيئا ، لبس ما ليس له<sup>(١٠)</sup> ؛ وبهذا أسقط شرعية خلافة الحاكم الأول ، وكذا من تقمّص شيئا ، لبس ما لا يصلح له ؛ فقد وضع نفسه في مكان غيره ، فضلا عن أنها توحى بأخذ الشيء بالحيلة و الخلسة و المكر ؛ فكأنّ المتقمّص للخلافة متربص بها ، وعلى إعداد و تدبير مسبق ، يفعل أيّ شيء للوصول إلى مبتغاه ، وهذا ما نستفيدة من بنية ( تفعل ) الدالة على الاتخاذ و التكلف كما في تجشّم - مثلا - ، و كذا فإن مادة ( قمص ) تحمل معنى السرعة والخفة (( يقال: قمص الغزال إذا قفز قفزة سريعة، و إنما سمّي القميص

(١) نهج البلاغة: ٤٨ .

(٢) ينظر: الكتاب لسبويه : ١٢٢ / ٣ ، و الأصول في النحو : ٢٧٠ / ١ .

(٣) الشفشقة: شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( شفشق ) : ١٥٠٣ / ٤ .

(٤) نهج البلاغة: ٤٩ .

(٥) اللباب في علل البناء والإعراب : ٣٧٣ / ١ .

(٦) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ١١٣ / ٢ .

(٧) فلان: يعني به الخليفة الأول ( ابو بكر ) ، وقد جاء في روايات أخرى للخطبة بـ ( ابن ابي قحافة ) ، و ( أخو تيم ) :

شرح نهج .. ابن أبي الحديد: ١ / ١٥١ ، وينظر: بهج الصباغة: ٤ / ٥ .

(٨) المسائل التطبيقية على الخطبة الشفشقية: ١٠ .

(٩) ينظر: شرح نهج.. (ابن ميثم): ٢٥٤ / ١ .

(١٠) ينظر: شرح نهج.. (السيد عباس): ٧٦ / ١ .

لأنّه أخفّ الأثواب و أسرعها لبسا ((<sup>(١)</sup>)؛ ولهذا قال عمر: ((كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً، وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا))<sup>(٢)</sup>،  
والفلتة: الفجأة<sup>(٣)</sup>.

ثم إن جواب القسم في التركيب هو ( لقد تقمّصها فلان ) ؛ (( لكن متعلق القسم ليس ( التقمّص ) ؛ بل  
هو لكونه مشتملا على ذي حال جعل مقدمة لبيان المقسم له الأصلي الذي هو قوله ( عليه السلام ) : ( وإنه  
ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ) ((<sup>(٤)</sup>) ، وهذا المقسم له حوى من المؤكّدات ما يزيد من  
التركيز للتأكيد ؛ إذ جاء بـ ( إنّ ) و ( اللام ) ، و ( أنّ ) ، و زاد بالتشبيه ؛ فقال ( عليه السلام ) : ( و  
إنّه ليعلم ... ) ، والواو : واو الحال ، وإنّ : حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد ، بمعنى: حقّقت و أكّدت<sup>(٥)</sup> ،  
والضمير في ( إنّه ) عائد على فلان - أبي بكر - ، و اللام: لام التوكيد ، وقد جاء بالفعل ( يعلم ) الدال  
على الحال و الاستقبال بعد فاعله ؛ ليدل بذلك على الاستمرار ، وأنه ( عليه السلام ) كان يجدد له هذا العلم  
ويذكره به دائما ، فأكد علم المتقمّص بمؤكدين ، ونسب العلم له ؛ فالضمير المستتر في ( ليعلم ) يرجع  
إلى مرجع الضمير في ( إنّه ) العائد إلى فلان المتقمّص للخلافة ؛ لذا كان من المناسب أن ينسب العلم له ؛  
ليدل على أن الحال ليس مجهولا عند أبي بكر ، ولم يكن بشاك ولا ظان ؛ بل كان عالما بالواقع علما  
قطعا لا لبس فيه ، وهذا يدلّ على أن غصبه للخلافة لم يكن عن جهل أو غفلة ؛ حتى يكون جاهلا قاصرا  
معذورا<sup>(٦)</sup>.

ثم أردف هذا التأكيد للعلم بـ ( أنّ محلي منها محل القطب من الرحي ) ، و ( أنّ ) مثل ( إنّ ) وهي  
تفيد التوكيد أيضا ، و شبّه محله ( عليه السلام ) بمحل القطب ؛ ليدل على عدله وأنه الرجل المناسب في  
المكان المناسب ، كما القطب أعدل المحال و أقومها للرحي<sup>(٧)</sup> ، وبتشبيهه نفسه ( عليه السلام ) بالقطب ؛  
دلّ على أن الخلافة و الحكومة لا يستقيم أمرها بدونها<sup>(٨)</sup> ؛ فهي مفتقرة له كما أن الرحي لا ينتظم دورانها  
و لا يستقيم أمرها بدون القطب ؛ وفي ذلك تأكيد لأفضليته على غيره ؛ إذ ذكر المعنى العقلي ثم عقبه  
بالتمثيل الحسي ؛ وبذلك نقل النفس من الغريب إلى القريب ، تأكيدا لحال المشبّه في نفس السامع وتقوية  
لشأنه<sup>(٩)</sup>.

(١) شرح نهج..(القرن الثامن): ٥٧ .

(٢) الشريعة للأجري : ١٧٣١ / ٤ ، و البدء والتاريخ : ١٩٠ / ٥ .

(٣) ينظر: العين : ١٢٢ / ٨ .

(٤) المسائل التطبيقية على الخطبة الشفوية: ١٠ .

(٥) ينظر: شرح الرضي : ٣٣١ / ٤ .

(٦) ينظر: شرح نهج..(القرويني) : ١٥٤ / ١ .

(٧) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم) : ٢٥٤ / ١ .

(٨) ينظر: شرح نهج..(السيد عباس) : ٧٦ / ١ .

(٩) ينظر: منهاج البراعة: ٨١ / ١ .

وكذا في هذا التأكيد – بـ ( إَنَّ ) و ( اللام ) و ( أَنَّ ) - أنزل المخاطبين منزلة المنكرين مع أنهم كانوا على علم بهذا الواقع ؛ ولكن لكون اعمالهم وحالاتهم و ما يشغلهم عن ذلك جعلهم بمنزلة المنكرين .

وفي كل هذا الجمع بين المؤكدات- أما ، و القسم ، و لقد ، إَنَّ و اللام ، و أَنَّ ، و التشبيه - و في هذا التركيب – خاصة - تكثيف لتأكيد أحييته بالخلافة من دون غيره ؛ فهي حقّه بلا شك أو ريبة ، و تعبيرا عن الواقع والحال المرير بسلبه هذا الحق ؛ إذ إن هذه المؤكدات جاءت في بداية الخطبة ، و ما جاء بعدها هو سرد لتفاصيل هذا الواقع المؤلم .



## المبحث الثاني: ضغط الدلالة في التركيب

كما لاحظنا في المستوى المعجمي والصرفي أن الكلمة يمكن أن تكون بؤرة لتكثيف الدلالة ، كذلك في التركيب يمكن أن يمثل البؤرة التي تكثف الدلالة بها ؛ فيستعمل المتكلم التركيب بطريقة يضغط الدلالة فيه .

### أولاً: تكثيف الدلالة في الأساليب

تتضمن اللغة العربية أساليب متعددة تأتي في التعبير لتأدية أغراض دلالية مختلفة ، يحددها طريقة الأسلوب و السياق الذي جاءت به ؛ فمثلاً قوله تعالى: { فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } [المائدة: ٩١] جاء التعبير بأسلوب الاستفهام ، وتقدمه قوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ } [المائدة: ٩١] ، أي : في سياق النهي عن الخمر والميسر ؛ فبالنظر إلى المتكلم – وهو الباري جل وعلا - نلاحظ أنه لم يأت الاستفهام لطلب جواب كما هو في غرض السؤال والاستفهام عن شيء عادة ؛ وبالنظر إلى السياق وما تقدم هذا السؤال المجازي ؛ نعلم أن الدلالة المرادة هي الأمر بالنهي عن الخمر والميسر ، أي: انتهوا عن الخمر والميسر<sup>(١)</sup> ، ثم إنه تعالى (( نهى بألطف الوجوه ؛ ليكون أدهى إلى الإلتفاء ))<sup>(٢)</sup>؛ إذ جعل في هذا السؤال المجازي المتضمن للأمر روحية الخيار للمخاطب ؛ بل وفيه إذعان و إجبار غير مباشر للمخاطب للامتثال للأمر المطلوب منه ؛ ((لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق، وللمعاندة بعد تجلي الحجة ما يضرب أسداداً بينه وبين الإذعان))<sup>(٣)</sup> ؛ فقد بين تعالى مضارّ الخمر والميسر ، بعدها أمرهم بالانتهاء فتضمن الاستفهام معنى الإقرار ، وهذا يستدعي التوبيخ و التهديد لمن تجلت له الحجة ويعاند ؛ فكأنه قيل لهم : قد علمتم ما في الخمر والميسر من موانع فهل بعد علمكم تنتهون؟<sup>(٤)</sup> ؛ فحقق الاستفهام معنى الزجر لهم ، فضلاً عن أن هذا الاستفهام جاء تأكيداً لما تقدّم من تحذير ؛ فجاء بالاستفهام زيادة في التحذير و الحث على الانتهاء<sup>(٥)</sup> .

و السؤال هنا: لِمَ جاء بالاستفهام من دون الأمر الصريح بالنهي ؟ وبعبارة أخرى: لم قال: فهل أنتم منتهون ، ولم يقل: انتهوا ؟ .

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن : ٢٧١ / ٣ .

(٢) روح البيان : ٤٣٦ / ٢ .

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣٤٧ / ١ .

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣٤٧ / ١ .

(٥) ينظر: روح المعاني : ١٧ / ٤ .

والجواب : ببساطة لو جاء بصيغة الأمر من دون الاستفهام ؛ لما تضمن التركيب كلّ هذه الدلالات من: أمر ، و إنكار، و تقرير المعنى ، والتهديد و التوبيخ ، والتأكيد للتحذير ؛ غير أن باستعمال أسلوب الاستفهام وفي هذا السياق جمع كلّ الدلالات المرادة مضغوطة فيه ، مستغنيا في ذلك عن تراكيب أخرى تؤدي الدلالات المرادة .

كما تتعدد أساليب الكلام في اللغة العربية ؛ فهناك أسلوب النفي ، وأسلوب الأمر ، وأسلوب الشرط ، وأسلوب النهي ، وأسلوب التعجب ...وما سواها من أساليب تأتي بتعابير مختلفة قد تضغط الدلالة في بعضها كما سنلحظ في بعض سياقات نصوص نهج البلاغة .

### ١- أسلوب النفي:

النفي هو (( أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول ، وهو أسلوب نقض و إنكار يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب ))<sup>(١)</sup> ، وله أدوات يعرف بها ( لا ، ما ، إن ، لم ، لمّا ، لن ، لات ، ليس ، غير ) ، قال تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص: ٣] ، فقد نفى الفعل ب ( لم ) للدلالة على أن النفي مستمر لم ينقطع و لا ينقطع<sup>(٢)</sup> ، ونحو قوله تعالى : {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} [البقرة: ١٠٢] ؛ إذ نفى عنه أي مرتبة من مراتب الكفر<sup>(٣)</sup>، ومنه قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ} [الأعراف: ٦١] ، وهو ردّ من نوح ( عليه السلام ) لما اتهموه به ، قال تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الأعراف: ٦٠] ؛ فجاء رده ( عليه السلام ) نافيا هذا الادعاء<sup>(٤)</sup> ، وفي كل الأمثلة جاء النفي في سياق دلالة نفي الخبر ، توسع أو ضاق بحسب دلالة الأداة المستعملة ؛ لكنه لم يتضمن دلالة أخرى .

غير أنه هناك سياقات جاءت بأسلوب النفي إلا أنها تضمنت مع دلالاته دلالات أخرى ، كما نلحظ في قوله تعالى: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ} [النساء: ١٤٨] ، فقد جاءت الآية بأسلوب النفي تخبر بعدم رضا الله ونبذه الجهر بالسوء إلا المظلوم فله أن يجهر بظلامته بالدعاء أو غيرها<sup>(٥)</sup>، وقد أفاد النفي عدّة دلالات أوضحها النهي ؛ ف (( صِيغَةُ ( لَا يُحِبُّ ) بِحَسَبِ قَوَاعِدِ الْأُصُولِ ، صِيغَةُ نَفْيِ الْإِذْنِ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ التَّحْرِيمُ ، وَهَذَا الْمُرَادُ هُنَا ؛ لِأَنَّ ( لَا يُحِبُّ ) يُفِيدُ مَعْنَى: يَكْرَهُ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى النَّهْيِ ))<sup>(٦)</sup>؛ فدلّ على أنه تعالى ينهى عن الجهر بالسوء .

(١) في النحو العربي نقد و توجيه: ٣٤٦ .

(٢) ينظر: معاني النحو : ١٨٩ / ٤ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٦١٨ / ٣ .

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه : ٣٧٤ / ٣ .

(٥) ينظر: أوضح التفاسير: ١١٩ / ١ .

(٦) التحرير والتنوير : ٦ / ٦ .

ولمّا لم يقل تبارك وتعالى: لا تجهروا بالسوء - بصيغة النهي الصريح - وقال: ( لا يحب الجهر بالسوء ) - بصيغة الخبر المنفي - ؛ ضمّن هذا التركيب دلالات أخرى ، وهي : (( أن الله يحب الجهر بالحسن من القول ))<sup>(١)</sup> كالذكر والكلام الطيب اللين ؛ فهذا ما يدل عليه مفهوم ( لا يحب ) ؛ لأن ما يقابله ( يحب )<sup>(٢)</sup>؛ فلو قال : ( لا تجهروا ) لقابله ( اجهروا ) وهو المنهي عنه ، فلم يتضمن التركيب إلا دلالة واحدة ، وفي هذا النفي وما يقابله حث منه تعالى على الأخلاق الحميدة و القيم والمثل العليا ؛ فإن (( عباده المؤمنين يجب أن يكرهوا ما يكره ربهم ، ويحبوا ما يحب ))<sup>(٣)</sup>، وكذا تضمن الترغيب ؛ وذلك أن الأمر الصادر من العالي - وهو الباري جل و علا - إلى الداني - الانسان المكلف - بصيغة محببة ، وهذا المعنى مناسب لسياق سورة النساء حيث جاءت آياتها لتعالج قضايا اجتماعية بأسلوب مُرغَّب و مُحبَّب ؛ لذا نجد أن هذا التركيب تضمن دلالة ( النهي و الحث و الترغيب ) جُمعت و ضُنِغت في تركيب واحد .

ومثله قوله ( عليه السلام ) : (( لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى وَ كَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَّقَلُّ ))<sup>(٤)</sup>، والمعنى: نفي قلة ثواب العمل مع التقوى ؛ لأنه مقبول عند الله<sup>(٥)</sup> ، قال تعالى: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة: ٢٧] ، وهذا يعني: أن ثواب العمل مع التقوى كثير ، ويعني : أن العمل مع التقوى مهما كان قليلا ؛ فهو كثير عند الله ، وبالمقابل: (( لا يقبل الله عملا بدون تقوى مهما كان العمل كبيرا ))<sup>(٦)</sup> ، و في ذلك أمر و حث على العمل مع التقوى ، وأيضا فيه (( ترغيب في الأمرين المذكورين ))<sup>(٧)</sup>، قال تعالى: { اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } [التوبة: ١٠٥] ، وقال جل و علا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ } [آل عمران: ١٠٢] .

ولو لم يأتِ ( عليه السلام ) بأسلوب النفي ؛ لما جمع هذه الدلالات في تركيب واحد ، و لاقتصرت دلالة التركيب على دلالة معينة ، كما لو قال : كثير ثواب العمل مع التقوى عند الله لأنه مقبول ؛ فهنا قد دلّ على أن العمل قد يكون كثيرا وقد يكون قليلا ، وما من شيء يلفت المتلقي في هذا الاخبار ، لكن عندما قال ( عليه السلام ) : ( لا يقل عمل... ) أفاد أن الثواب كثير حتى لو كان العمل قليلا ، فضلا عن الدلالات التي ذُكرت .

(١) تفسير الشعراوي : ٢٧٥٨ / ٥ .

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٢١٢ .

(٣) أيسر التفاسير للجزائري : ٥٦٤ / ١ .

(٤) نهج البلاغة: ٤٨٤ .

(٥) ينظر: اختيار مصباح السالكين : ٥٩٩ .

(٦) شرح نهج..(السيدعباس): ٢٧٣ / ٥ .

(٧) شرح نهج..(ابن ميثم): ٢٨٨ / ٥ .

و يرى الدكتور فاضل السامرائي أن بعض أدوات النفي في استعمالها تعطي أكثر من معنى ، كما في استعمال ( غير ) ؛ إذ قال: (( لا) النافية ... وهي عند الكوفيين اسم بمعنى ( غير ) ، والحق أنها لا تطابق (غير) ؛ فإن استعمال (غير) يمكن أن يعطينا أكثر من معنى ، فأنت تقول مثلا: (جئت بلا سلاح) ، أي: لا سلاح معك عند مجيئك ، وتقول: (جئت بغير سلاح) وهذا يحتمل معنيين ، المعنى الأول: هو نفي وجود السلاح معك كأولى... والمعنى الآخر: أنك جئت بسلاح آخر غير ذلك السلاح))<sup>(١)</sup>؛ فاستعمال ( غير ) ضمن التركيب هذين المعنيين .

و لعل في كلامه نظرا ؛ إذ إن للسياق أثرا مهما في إعطاء هذا التعدد للمعنى ، وبعبارة أخرى: تعدد المعنى رهن بالسياق الذي ترد فيه الأداة لا بالأداة نفسها ؛ فقولك مثلا: جئت بلا سلاح ناري ، وقولك: جئت بغير سلاح ناري ؛ فإنه في كلا التعبيرين يحتمل أنه جاء بسلاح غير ناري ، فضلا عن أنه في بعض السياقات يمكن معرفة المراد ، وبالاغتماد على قرائن أخرى تحدد ذلك ، كأن ترى المتكلم وهو يقول لك: جئت بغير سلاح ، وأنت تراه لا يحمل أي سلاح ؛ فتستطيع إبعاد الدلالة الثانية .

في حين نجد في بعض السياقات لا توجد قرينة تدل على هذه الدلالة أو تلك ؛ فيبقى احتمال الداليتين قائما ، ويتضمنهما التركيب معا ، ومثل ذلك قوله ( عليه السلام ) في رفع السماوات : (( وَ رَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ ))<sup>(٢)</sup> باستعمال ( غير ) ، أو قوله ( عليه السلام ) : (( فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مَوْطِدَاتِ بِلَا عَمَدٍ ))<sup>(٣)</sup> باستعمال ( لا ) ؛ وفي كلا التعبيرين يحتمل : أنه ( عليه السلام ) نفى أي دعائم رفعها أو عمد ووطدتها ؛ والمعنى: لا توجد دعائم ترفع السماوات أو عمد توطدها ، ويحتمل : أنه ( عليه السلام ) نفى هذه الدعائم أو الأعمدة الحسية المعروفة و لم ينف وجود دعائم أو أعمدة غيرها ؛ فتكون الدلالة أن السماوات مرفوعات بدعائم أو موطدات بأعمدة قد تكون غير حسية ؛ فلا وجود لقرينة تحدد المراد ؛ وذلك مدعاة للحيرة و التعجب من إبداع البارئ جل و علا ، ومدعاة للتفكير و التدبر .

ومنه أيضا قوله في خطبة وهي من أفصح كلامه ( عليه السلام ) ، و فيها يعظ الناس و يهديهم من ضلالتهم ، و يقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة و الزبير- كما قال الشريف الرضي ( رحمه الله ) - وقد ابتدأها ( عليه السلام ) بالقول: (( بِنَا اِهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ ... )) ، وأنها بقوله ( عليه السلام ): (( مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ ))<sup>(٤)</sup>، والشاهد قوله : ( ... لم يظمأ ) ؛ فقد اختلف في هذا النفي: أ هو نفي مطلق ؛ فيكون المعنى : أنه لا يظمأ أبدا ؟ ، أم هو نفي مقيد ؛ فيكون المعنى قد يظمأ ؟ .

(١) معاني النحو : ٢٠٧ / ٤ .

(٢) نهج البلاغة: ٢٧٥ .

(٣) نهج البلاغة: ٢٦٠ .

(٤) نهج البلاغة: ٥١ .

والحقيقة أن منشأ هذا الاختلاف هو الاختلاف فيما قصده الإمام ( عليه السلام ) من لفظة ( ماء ) ؛ فمن قال : أنه ( عليه السلام ) (( استعار لفظ الماء: لما اشتمل عليه من العلم و كيفية الهداية به إلى الله ))<sup>(١)</sup> ؛ جعله نفياً مقيداً ، قال ابن أبي الحديد : (( وليس يريد النفي المطلق ؛ لأن الواثق بالماء قد يظماً ، و لكن لا يكون عطشه على حد العطش الكائن عند عدم الماء ، و عدم الوثوق بوجوده ))<sup>(٢)</sup> ، و على هذا تكون الدلالة أنه عليه السلام: (( نبّه به على وجوب الثقة بما عنده ، أي: إنكم إن سكنتم إلى قلبي و وثقتم به كنتم أقرب إلى اليقين و الهدى و أبعد عن الضلال و الردى كما أنّ الواثق بالماء في أداوته آمن من العطش و خوف الهلاك و بعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك ))<sup>(٣)</sup> .

أما من يرى أنه (( يريد ( عليه السلام ) بالماء الموثوق به نفسه الشريفة المقدّسة ))<sup>(٤)</sup> ؛ فقد جعل النفي نفياً مطلقاً ، والمعنى: من وثق به ( عليه السلام ) (( فإنه لن يضل و لن ينحرف و لن يقع في المتاهات و الظلام ))<sup>(٥)</sup> أبداً ؛ ف (( من كان على الحقّ و أيقن على ذلك و اعتمد على ربّه و توكل عليه ؛ لا يبالي على ما وقع فيه ، كما أنّ من ائتمن بماء لم يفزعه عطشه ))<sup>(٦)</sup> .

وأقول: أن المراد في التركيب كلا المعنيين – للنفي - ؛ وذلك أن المُخاطبين هم المسلمون ، والمسلمون في الوثوق به ( عليه السلام ) على درجات ؛ فمنهم من يثق بعلمه وقوله ( عليه السلام ) فقط ، كمن قال ذات يوم: (( أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ ))<sup>(٧)</sup> ، وقال: (( لا يفتنّ أحد في المسجد و علي حاضر ))<sup>(٨)</sup> ؛ فهذا يثق بعلمه و ما يفعله ( عليه السلام ) ، لكنه لا يبعد أن يكون من الهالكين ، ومنهم من وثق به ( عليه السلام ) كلّ الثقة حتى أنه ( عليه السلام ) يتحسر لهم و يشناق ، وهو القائل فيهم: (( أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ عَمَّارٌ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ))<sup>(٩)</sup> .

و على هذا الأساس فإن المراد في قوله : ( مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ ) ، تنبيه على أن من يثق بعلمه و قوله ( عليه السلام ) فليضعف هذه الثقة حتى يبتعد أكثر عن الهلاك و الضلال ، و من كان يثق به فليبق على ثقته ولا يبالي بشيء ما دام مع الحق – والله أعلم - .

(١) اختيار مصباح السالكين: ٩٩ .

(٢) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٢١٢ / ١ .

(٣) شرح نهج..(ابن ميثم): ٢٧٤ / ١ .

(٤) الأمثال والحكم : ٥٠٧ ، و ينظر: شرح نهج..(القرن الثامن) : ١٠٨ .

(٥) شرح نهج..(السيد عباس): ١٢٣ / ١ .

(٦) منهاج البراعة: ٣ / ١٣٣ .

(٧) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٣٧١ / ٢ .

(٨) بحار الأنوار : ٤١ / ١٤١ .

(٩) نهج البلاغة: ٢٦٣ .

## ٢ - أسلوب الاستفهام:

جاء في التعريفات: (( الاستفهام: استعمال ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور ))<sup>(١)</sup>؛ فهو من الأساليب الطلبية، وله أدوات يعرف بها، وهي تقسم إلى نوعين: منها، حرفا الاستفهام ( الهمزة، وهل )، والقسم الآخر: أسماء الاستفهام ( كيف، أين، أنى، متى... )، و العلاقة بين أدوات الاستفهام و السياق الذي ترد فيه و القرائن المحيطة بالاستفهام؛ لها أثر مهم في توضيح الدلالة والكشف عنها؛ قال السكاكي: (( اعلم أن هذه الكلمات كثيراً ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونة قرائن الأحوال؛ فيقال: ما هذا؟، ومن هذا؟ لمجرد الاستخفاف والتحقير، ومالي للتعجب، قال تعالى حكاية عن سليمان: {مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ} [النمل: ٢٠]، وأي رجل هو للتعجب، وأيما رجل، وكم دعوتك للاستبطاء، وكم تدعوني للإنكار، وكم أحلم للتهديد، وكيف تؤذي أباك للإنكار والتعجب والتوبيخ...))<sup>(٢)</sup>، ومن هنا نعلم أن أسلوب الاستفهام لعله من أوسع الأساليب التي تكثف الدلالة فيه - فضلا عن أنه يخرج عن معناه الأصلي إلى أغراض دلالية أكثر من غيره من الأساليب<sup>(٣)</sup> -؛ إذ يمكن جمع أكثر من معنى مراد في استعمال أسلوب الاستفهام، كما نجد في قوله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠]؛ فهنا حمل هذا التركيب الاستفهامي معاني عدة؛ فقد دلّ على: النفي، أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان<sup>(٤)</sup>، و دلّ على التقرير و الحث؛ ف (( تلك حقيقة مقررة، لا يُعارض فيها عاقل، ولكن فرق بين الدلالة عليها بالاستفهام والدلالة عليها بطريق النفي المعهود؛ إن في الاستفهام تحريكاً للفكر وتنبهياً للعقل وحثاً على النظر والتأمل ))<sup>(٥)</sup>، و على هذا تكون الدلالة (( أن كل من أحسن أحسن إليه ))<sup>(٦)</sup>.

فضلا عن أن فيه دلالة (( التوبيخ والتعجب معاً: ودلالاتها عليهما من إطلاق اللزوم وإرادة الملزوم؛ لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجب منه؛ وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما، وهذا يستلزم الجهل بهما، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما ))<sup>(٧)</sup>؛ فالاستفهام إنكاري، والإنكار على المخاطب يلزمه التوبيخ؛ بل و في غفلته أو إنكاره لمثل هذه الحقيقة المتسالم عليها - جزاء الإحسان الإحسان - يستلزم التعجب؛ لذا نجد أن استخدام أسلوب الاستفهام - هنا - ضغط الدلالات المرادة في

(١) التعريفات: ١٨ .

(٢) مفتاح العلوم: ٣١٣ .

(٣) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: ٨٣ .

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٦ / ٣ ، المنهاج الواضح للبلاغة: ١٠٣ / ٢ .

(٥) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة: ٣٩٠ .

(٦) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٥٣ / ٤ .

(٧) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع: ٢٢٠، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٦ / ٣ .

تركيب واحد ؛ إذ جمع النفي و التقرير والحث و التوبيخ و التعجب ، ويمكن أن يضاف لها دالتان : الأولى : الأمر الضمني بالإحسان، قال تعالى: { وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة: ١٩٥] ، والثانية: الترغيب في طاعة الله و جنته ؛ فقد ورد (( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [ وآله ] وَسَلَّمَ: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } ، وَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ ، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : يَقُولُ هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ ))<sup>(١)</sup>.

ومن لطيف استعمال الاستفهام قوله ( عليه السلام ) : (( لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، اللَّهُ أَبُوهُمْ وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟! ؛ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَى السُّنَيْنِ ))<sup>(٣)</sup>؛ ففي قوله : ( وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟! ) حمل هذا التركيب دلالات عدّة ؛ إذ دلّ على النفي ، أي: لا أحد منهم أشد لها وأقدم فيها مقاماً مني ، كما في قوله تعالى: { هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } [الأنعام: ٥٠] ، ودلّ على الإنكار و التوبيخ و الاستهزاء بهم ويقولهم ؛ إذ جاء هذا الاستفهام رداً على قريش الذين اتهموه بعدم علمه ( عليه السلام ) بالحرب على الرغم من اعترافهم بشجاعته و بسالته التي ذاقوها من قبل ؛ فهو ( عليه السلام ) يقول: (( هل أنا لا أعرف السياسة ؟ ، أو أنا لا أعلم فنون الحرب ؟ ؛ فهل يوجد في هذا الزمان من دخل ساحة الوغى قبلي أو قضى الكثير من عمره في منازلة الأبطال و مقاتلة الشجعان مثلي ؟ ، و هل يوجد شخص له ممارسة بالحرب أكثر مني؟! ))<sup>(٤)</sup>.

وكذا دلّ على التعجب ؛ بدلالة قوله : ( لله أبوهم ) ؛ إذ تستعمل للتعجب<sup>(٥)</sup> ، وتعجبه ( عليه السلام ) من علمهم بالوقائع والحروب التي خاضها من أيام الرسول صلى الله عليه وآله ، و حتى ما بعد ذلك في أيام الحكومات التي سبقته ( عليه السلام ) ومع ذلك يكابرون ؛ لذا قال: ( لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السُّنَيْنِ ) ، وفي ذلك تهديد لهم حيث ذكرهم بالحروب التي خاضها و كيف صنع فيهم عليهم السلام؟! ، وهنا ضغط ( عليه السلام ) الدلالات المرادة من: الإنكار و التوبيخ و التعجب و التهديد و الاستهزاء و التذكير ، وكل ذلك في تركيب الاستفهام هذا .

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٢٨٦ / ٤ ، وجاء بتعبير آخر: (( كَأَنَّهُ قَالَ: هَلْ جَزَاءُ الطَّاعَةِ إِلَّا التَّوَابُ! )): البرهان في علوم القرآن : ٢٨٣ / ٢.

(٢) ذرّفت - بتشديد الراء- : زدت : اختيار مصباح السالكين : ١٣١ .

(٣) نهج البلاغة: ٧٠ .

(٤) شرح نهج..(القزويني): ١٧٤ / ٢ .

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٢٥ / ٣ .

ولنا أن نستظهر الدلالات المضغوطة في استعمال أسلوب الاستفهام في قوله ( عليه السلام ) : (( مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ وَ أَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ ))<sup>(١)</sup> ؛ فإن استعمال ( ما لي أراكم ... ) استفهام يأتي للتعجب ، قال تعالى: { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يس: ٢٢] ؛ بل وفي قول الإمام ( عليه السلام ) جاء (( للمبالغة في التعجب ))<sup>(٢)</sup> ؛ إذ إنه ( عليه السلام ) جاء بهذا الاستفهام بعد أن أخبرهم بأخبار مستقبلية و فتن تعصف بهم ؛ فتعجب ( عليه السلام ) من عدم رؤيته لردود الفعل من الناس إزاء ما أخبرهم به<sup>(٣)</sup>.

وقد يحمل دلالة العتاب لهم ، كما في قوله تعالى: { يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ } [غافر: ٤١] ؛ فهو ( عليه السلام ) في وادٍ و يراهم في وادٍ آخر شاردي الذهن عنه ؛ لذا إن كلامه ( عليه السلام ) (( عتاب لهم، في مكان «ما لكم» ، و إنما ينسب الاستفهام إلى نفسه ؛ للإشارة إلى أن المطلوب من الغرابة ))<sup>(٤)</sup> ؛ فهو ( عليه السلام ) يحدثهم بأخبار تهمهم ومع ذلك لا يهتمون! ، ثم أنه ( عليه السلام ) ضمن هذا الاستفهام دلالة التوبيخ والتأنيب ؛ إذ جاء بما يذمهم ويحط من عقولهم و قدرهم ؛ ف (( كنى بكونهم ( اشباحا بلا ارواح ) عن: غفلتهم و عدم انتفاعهم بعقولهم فيما ينبغي من طاعة الله ، و ( ارواحا بلا اشباح ) قيل: هو مع ما قبله في معرض التنقيص لهم ... و هذا من تنمة التأنيب ، أي: أنكم ناقصون كالروح بلا جسد، أو الجسد بلا روح الذي لم ينفع كل واحد منهما من دون الآخر ))<sup>(٥)</sup>.

ولا يبعد أن في هذا الاستفهام تنبيهها للمخاطبين ؛ إذ إن فيه عدولا من لهجة أخف ( ... قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ وَ وَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَ أَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا وَ ظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا ) إلى لهجة عتاب تصل حد التوبيخ والتأنيب ( مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ وَ أَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ ... رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَ تَفَرَّقَتْ بِشُعْبَيْهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَ تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا نُفَالَةٌ كُنْفَالَةٌ الْقُدْرُ<sup>(٦)</sup> ) ، والغرض من هذا التنبيه الالتفات لكلامه ( عليه السلام ) و الأخذ بما ينصح ويوصي به ( عليه السلام ) في مواجهة هذه الأحداث والفتن ؛ لذا قال بعدها ( فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ وَ أَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ وَ اسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَ لِيُصَدِّقَ رَائِدُ أَهْلِهِ وَ لِيَجْمَعَ شَمْلُهُ وَ لِيُحْضِرَ ذَهْنَهُ ... ) إلى آخر الخطبة حيث تضمنت أحداثا وعلامات جسيمة<sup>(٧)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ١٥٦ .

(٢) منهاج البراعة : ١ / ١٥١ .

(٣) ينظر: نجات الولاية: ٤ / ٣٣٦ .

(٤) توضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٦٨ .

(٥) اختيار مصباح السالكين : ٢٥٥ .

(٦) وهي ما يستقر تحته: بهج الصباغة : ٦ / ١٦٤ .

(٧) ينظر: نهج البلاغة: ١٥٨ .



ومن أروع ما ضغط فيه الدلالة باستعمال الاستفهام قوله (عليه السلام): (( فَيَا لَللَّهِ وَ لِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ ))<sup>(١)</sup>؛ إذ جاء به للتعجب والإنكار ، والتحسر والاستصغار ؛ فقد تعجب ( عليه السلام ) مما زعمه عمر ناكرا زعمه ؛ حيث جعله في جماعة الشورى الستة ، قال ابن أبي الحديد : (( ثم تعجب من ذلك ؛ فقال: متى اعترض الشك في مع أبي بكر ، حتى أقرن بسعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف و أمثالهما ))<sup>(٢)</sup>؛ لذا أنكر ( عليه السلام ) - على عمر - زعمه بلهجة حادة ؛ إذ إن حقه ( عليه السلام ) مقدم على الخليفة الأول أصلا، فكيف بهؤلاء الخمسة وهم دون الأول؟! <sup>(٣)</sup>.

وقد تضمن هذا الاستفهام دلالة التحسر و الألم منه ( عليه السلام ) ، وما يدل على ذلك ما تقدم من قول ( فيا لله والشورى ) ؛ فقد (( أطلقها كلمة استغاث فيها.. إنها ( يا لله ) كلمة تخرج من قلب مجروح مكلوم.. يا لله و للشورى التي وضعني عمر فيها و جعلني أحد أفرادها... يا لله و للشورى الظالمة التي أنزلت عليا عن مكانته و حطته إلى درجة بلغت ذروتها فصار يقال علي أحد ستة.. و متى كان علي يساوى بأبي بكر حتى نزل سهمه فصار يساوى بهؤلاء ))<sup>(٤)</sup>، وفي ذلك استصغار لمن سبقه ولمن قرن معهم ، وما يدعم ذلك عدم تصريحه بهم ؛ فقد كنى عن أبي بكر بـ ( الأول ) ، ولم يقل: الخليفة الأول - مثلا - أو كنيته ، وجاء بالضمير في ( منهم ) ولم يقل: من الخلفاء ؛ وفي كل ذلك دلالة على عدم استحقاقهم عنوان الخلافة فضلا عن منصبها<sup>(٥)</sup>.

### ٣- أسلوب الأمر:

الأمر في اللغة نقيض النهي<sup>(٦)</sup> ؛ فالأمر: افعل<sup>(٧)</sup> ، والنهي: لا تفعل ، والأمر (( طلب إيجاد الفعل ))<sup>(٨)</sup> ، أو هو (( طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء ))<sup>(٩)</sup> من العالي إلى الداني ، وهذا الأمر الحقيقي، أما إذا كان من الداني إلى العالي أو بين المتساويين ؛ فيسمى: دعاء ، كقوله تعالى: { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا }

(١) نهج البلاغة: ٤٨ .

(٢) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١ / ١٨٤ .

(٣) ينظر: منهاج البراعة: ٣ / ٧٣ .

(٤) شرح نهج..(السيد عباس): ١ / ٩١ .

(٥) ينظر: المسائل التطبيقية على الخطبة الشقشقية: ٥٢ .

(٦) ينظر: العين: ٨ / ٢٩٧ .

(٧) التعريفات: ٣٧ .

(٨) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: ٨٤ .

(٩) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣ / ٨١ .

[آل عمران: ١٤٧] ، أو التماسا كقولك: ( يا صديقي أعطني الكتاب ) ، و يكون الأمر فيها مجازا ، وقد يخرج إلى أغراض مجازية أخرى ، كالنصح و الإرشاد ، أو التمني ، أو التخيير ، أو التهديد ...<sup>(١)</sup> .  
ولصيغة الأمر صور أربع<sup>(٢)</sup> :

- ١- فعل الأمر ، كقوله تعالى: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} [آل عمران: ٢٠٠].
- ٢- المضارع المقرون بلام الأمر، كقوله تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} [قریش: ٣] .
- ٣- اسم فعل الأمر، كقولك لآخر: ( صه عن الغيبة والنميمة ) ، أي كف عنهما، ونحو: ( حي على الفلاح ) ، أي: أقبل على ما فيه الخير والسعادة .
- ٤- المصدر النائب عن فعل الأمر ، كما في قوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [البقرة: ٨٣] ، أي: أحسنوا إلى والديكم .

إن ضغط المعاني و تكثيفها باستعمال أسلوب الأمر يتحقق بصورتين :

الصورة الأولى: يعتمد فيه الأسلوب على السياق الذي يرد فيه ؛ فالسياق يجعل من الأسلوب مضغوط الدلالة ، مثلا قوله تعالى حكاية عن نوح ( عليه السلام ) : { وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ } [هود: ٤٢] ؛ فإن قوله ( اركب معنا ) أمر حقيقي ؛ لكنه تضمن النصح والارشاد ؛ بدلالة قوله ( يا بني ) تلمظا منه ولينا ، وليس هذا فقط ؛ فالموقف حرج جدا لا يتطلب تضييع الوقت ؛ إذ الفلك و سط الطوفان ( وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ) ؛ فدلالة الأمر على الإسراع و الحث بالصعود معهم ؛ بل ودل على التحذير ؛ فإن لم يركب يكون ( مَعَ الْكَافِرِينَ ) إذ ( لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ) ، فدلّ هذا الأمر على النصح والارشاد و التلطف و الحث و الإسراع و التحذير ؛ فهنا جاء الأسلوب متناسبا مع حال المخاطب و سياق المقام .

ومن موارد في نهج البلاغة قول الامام علي ( عليه السلام ) من حكمة له : (( اخْبُرْ ثَقْلَهُ ))<sup>(٣)</sup> ، و(اخبر) فعل أمر من ( خَبِرَ ) باب ( قتل ) بمعنى ( علم ) ؛ فهو من ( الاختبار ) ، و ( ثقله ) فعل مضارع مجزوم بعد الأمر ، و( الهاء ) للسكت<sup>(٤)</sup> ، والمعنى: (( اخبر الناس و جربهم تبغضهم، فإن

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ١٥٦ / ٣ .

(٢) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة : ٨٩ / ٢ .

(٣) نهج البلاغة: ٥٥٣ .

(٤) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٤ / ٤٦٩ ، و في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٤٦٨ .

التجربة تكشف لك عن مساويهم و سوء أخلاقهم، فضرب مثلا لمن يظنّ به الخير و ليس هناك))<sup>(١)</sup> ؛ فهو أمر في معنى الخبر و النصح والإرشاد ، أي: من خبرت باطنه و انكشف لك ما يستره ظاهره ؛ أبغضته .

وهذا النصح و الإخبار منه ( عليه السلام ) ليس اعتباطا ؛ بل هو الناصح الأمين و {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد: ٤٣] ؛ ونتاج تجربة خاضها في الحياة ( عليه السلام ) و مع المجتمع الإسلامي خاصة ؛ لذا فالإخبار يحمل معنيين ، المعنى الأول: بأخذ الكلام على إطلاقه ،أي: أن كل من خبرت باطنه أبغضته ؛ فيكون الكلام (( مسوق مساق الأكثرية حيث أغلب الناس باطنهم سوء و خبث و عداوة للحق و أهله ))<sup>(٢)</sup> ، وما يدعم ذلك قوله تعالى: {وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [المؤمنون: ٧٠] ، وقوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦]<sup>(٣)</sup> .

والمعنى الثاني: بأخذ الكلام من جانب أخص ؛ فيكون الكلام: (( كناية عن اختلال ظاهر حال المسلمين من الدلالة على حسن باطنهم و الاعتماد عليهم في الأمور كما يتوقع من مسلم سالم ))<sup>(٤)</sup>؛ إذ ينبغي التجربة والكشف عن الباطن ؛ حتى يُعلم مطابقته للظاهر الحسن أو العكس .

ومن جميل تطبيقاته قوله ( عليه السلام ) في الاستعداد إلى الموت: (( وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ))<sup>(٥)</sup>، دل هذا الأمر على النصح والموعظة ، والمعنى: ((اعملوا قبل أن يوافيكم الأجل فكان الإنسان و الأجل يتبادران ؛ فالإنسان يريد أن يعمل قبل أن يموت و الموت يريد أن يأخذ الإنسان قبل أن يعمل ))<sup>(٦)</sup> ، وكذا دلّ على التنبيه و المبالغة في الحث و الترغيب و التنفير ، قال ابن ميثم: (( و حاصل هذه الموعظة التنفير من الدنيا و الترغيب في الآخرة و ما يكون وسيلة إلى نعيمها و الترهيب ممّا يكون سببا للشقاء فيها ...فيه تنبيه على وجوب لزوم الأعمال الصالحة، و حثّ عليها بالأمر بمسابقة الآجال و على توقّع سرعة الأجل و إخطاره بالبال ))<sup>(٧)</sup>، و هذا يكون بالابتعاد عن المعاصي والمحرمات ؛ للاقتراب من الطاعة و الحسنات ، حتى يتطبّع الإنسان على الأعمال الحسنة قبل حلول أجله المفاجئ .

والصورة الثانية : هو باستعمال بعض صيغ الأمر التي تكون متضمنة لدلالات أكثر من كونها أمرا – وهنا أيضا ليس بمعزل عن السياق – كما لو يستعمل صيغة الفعل المضارع مع لام الأمر ( ليفعل ) بدل (

(١) شرح حكم نهج البلاغة : ٧٦ ، وينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٨٠ / ٢٠ .

(٢) شرح نهج..(ابن ميثم): ٥٥٢ / ٥ .

(٣) وقوله: {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٨] ، وقال: { إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ فَاعْبُدُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ } [يونس: ٦٠] .

(٤) منهاج البراعة: ٥١١ / ٢١ .

(٥) نهج البلاغة: ٩٥ .

(٦) توضيح نهج البلاغة: ٢٤٩ / ١ .

(٧) شرح نهج..(ابن ميثم): ١٦٢ / ٢ .

افعل) للمُخاطَب ؛ (( فإن الأصل في المُخاطَب أن يؤمر بفعل الأمر، لا باللام ))<sup>(١)</sup> ؛ فإذا جيء بها كان ذلك لمعنى آخر زائداً على الطلب ، كأن يراد (( معنى التلطف وبذل النصيحة ))<sup>(٢)</sup> ، أو المبالغة في تأكيد طلب الفعل ؛ فنحو قولهم : (( إِنْ زُرْتِنَا فَلْنُكْرِمَكَ يُرِيدُونَ تَأْكِيدَ إِجَابِ الْإِكْرَامِ عَلَيْهِمْ ))<sup>(٣)</sup> ، قال تعالى : { لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ } [الطلاق: ٧] ؛ أكد وجوب النفقة<sup>(٤)</sup> ، وبصورة لطيفة لا تحمل المأمور أكثر من طاقته<sup>(٥)</sup> .

وَجُعِلَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا } [مريم: ٧٥] ؛ فقد أفاد الأمر الإخبار ؛ ((لِتَضْمِنِهِ اللَّزُومَ))<sup>(٦)</sup> ؛ بل وبصورة مؤكدة محققة ، والمعنى (( فسيد له الرحمان مَدًّا، أَي: أَنْ ذَلِكَ وَقَعَ لَا مَحَالَةَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي إِمْهَالِ الضَّلَالِ ))<sup>(٧)</sup> ، وفي ذلك تهديد و وعيد بأسلوب الأمر ، كما في قوله تعالى: { وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [العنكبوت: ٦٦] ، وما يدعم ذلك قوله تعالى في سورة أخرى: { إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } [آل عمران: ١٧٨] ؛ فقد جمع في أسلوب الأمر دلالة الإخبار والتهديد والوعيد .

ومن مصاديقه في نهج البلاغة قوله (عليه السلام): (( وَ لَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا ؛ فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ))<sup>(٨)</sup>؛ فالفعل ( فليتَّبِعُوا ) (( صيغته الأمر ومعناه الخبر ))<sup>(٩)</sup> ، والمعنى: (( فليتخذ ، يقال : تَبَوَّأَ الدَّارَ اتَّخَذَهَا مَبَاءً ، أَي: مَسْكَنًا وَمَنْزَلًا ... وَمَعْنَاهُ خَبَرَ يَعْنِي فَانِ اللَّهُ بِوَأَهِّ مَقْعَدَهُ ، أَي: مَوْضِعَ قَعُودِهِ ))<sup>(١٠)</sup> من النار ، وفي ذلك تهديد و وعيد للكاذبين على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ؛ فكأن هذا الإخبار بصيغة الأمر يصور للكاذب أنه متعمد للنزول في النار كما تعمد الكذب ؛ ف (( هذا أمر لا يقدم عليه إلا مجرم محترف ))<sup>(١١)</sup> ، زيادة على أنه دلّ بمفهومه على التحذير والنهي شديد من الكذب عليه ( صلى الله عليه وآله ) ؛ لما له من آثار جسيمة على الأمة<sup>(١٢)</sup> .

(١) معاني النحو : ٧ / ٤ .

(٢) نحو الفعل : ٥٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٣٥١ / ٣ .

(٤) ينظر: التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة: ١٥٩ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير : ٣٣١ / ٢٨ .

(٦) البرهان في علوم القرآن : ٣٥١ / ٣ .

(٧) التحرير والتنوير : ١٥٦ / ١٦ .

(٨) نهج البلاغة: ٣٢٥ .

(٩) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٤٠ / ١١ .

(١٠) روح البيان : ٥٤٨ / ٣ .

(١١) شرح نهج..(السيد عباس) : ٣ / ٤٦٥ .

(١٢) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم) : ١ / ٢١٢ .

ومما تُكثف فيه الدلالة باستعمال أسلوب الأمر – في الصورة الثانية - كما لو يستعمل المصدر الدال على الأمر ، نحو قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ} [محمد: ٤] ، قال الزمخشري: (( فَضَرْبِ الرِّقَابِ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول ، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه))<sup>(١)</sup>، ف (( والمصدر أقوى وأثبت من الفعل، ثم أن المصدر هو الحدث المجرد والفعل هو الحدث المقترن بالزمن فأنت حين تأمر بالمصدر فقد أردت بالحدث المجرد وهو أكد من الفعل لمجئنا بالحدث وحده))<sup>(٢)</sup> .

ويرى الدكتور تمام حسان استعمال المصدر لا يساوي الفعل من حيث الدلالة ، فالفعل للطلب المحض و لكن المصدر يفيد إلى جانب الطلب دلالة تفصح عن معنى انفعالي ، وهو الحثّ والحض على الفعل<sup>(٣)</sup> ، فهو بالنسبة إلى المخاطبين (( في معنى الأمر والإغراء))<sup>(٤)</sup> .

أما بالنسبة إلى السياق الذي ورد فيه هذا الحثّ و الإغراء و التأكيد على الفعل ؛ ففيه تهديد للمشركين<sup>(٥)</sup> ؛ فقد (( عبر عن القتل بضرب الرقاب تصويراً له بأشنع صورة وهو جز الرقبة وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه))<sup>(٦)</sup> .

ومن بديع تطبيقاته في نهج البلاغة قوله ( عليه السلام ) في الحثّ و الأمر على العمل: (( اَعْمَلْ اَعْمَلْ ))<sup>(٧)</sup> ، والمعنى: ((اعملوا العمل ... ادأبوا عليه ليلاً و نهاراً))<sup>(٨)</sup>؛ فأفاد المصدر التوكيد على فعل العمل الصالح الموصل إلى رضا الله ، ويرى ابن أبي الحديد أن المصدر منصوب (( على الإغراء ، و حقيقته فعل مقدر ، أي: الزموا العمل ، و كرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدر، و الأشبه أن يكون اللفظ الأول هو القائم مقام الفعل ؛ لأنه في رتبته ، أمرهم بلزوم))<sup>(٩)</sup> .

وبالتدبر في السياق نلاحظ أنه ( عليه السلام ) عدل من فعل الأمر ( افعَل ) إلى صيغة المصدر الدال على الأمر ؛ إذ تقدم قوله ( عليه السلام ) أوامر تخص القرآن الكريم : ( أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَّتِهِ وَ اتَّبَاعِهِ وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤ / ٣١٦ .

(٢) معاني النحو : ١٦٧ / ٢ .

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٥ .

(٤) الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ١٨٠ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير : ٩٠ / ٢٦ .

(٦) روح البيان : ٤٩٨ / ٨ ، وينظر: في ظلال القرآن : ٦ / ٣٢٨٠ .

(٧) نهج البلاغة: ٢٥٢ .

(٨) توضيح نهج البلاغة : ٦٢ / ٣ .

(٩) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٢٤ / ١٠ .

أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغْشَوْا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ ، العمل العمل ... ) جاءت أفعال الأمر : فكونوا ، استدلوه ، استنصحوه ، اتهموا ، استغشوا ، ثم عدل إلى الأمر بالمصدر ؛ ليدل على الحدث و يؤكد عليه ، وفي ذلك إخبار أن العمل هو (( الترجمة الفعلية عما يعتقد الإنسان و يؤمن به ))<sup>(١)</sup> ؛ فكأن هذه الأوامر ( فكونوا ، استنصحوه ... ) لا تتحقق على أرض الواقع إلا بالعمل .

#### ٤- أسلوب النهي:

والنهي لغة : المنع<sup>(٢)</sup> ، و الكف عن الفعل، يقال : نهيت الرجل عن الأمر، أنهاه نهياً<sup>(٣)</sup> ، وقال الراغب الأصفهاني (( النهي: الرّجْر عن الشيء ، قال تعالى: { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْدًا إِذَا صَلَّى } [العلق: ٩ ، ١٠] ))<sup>(٤)</sup> ، أما في الاصطلاح فلا يبتعد عن المعنى اللغوي (( وهو طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء ... وصيغته ... (لا تفعل) ب ( لا ) الجازمة ))<sup>(٥)</sup> ، كما في قوله تعالى: { لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا } [النور: ٢٧] ، وهذا النهي الحقيقي ، لكن قد يخرج النهي إلى معانٍ مجازية أخرى كالدعاء ، قال تعالى: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة: ٢٨٦] ، أو التوبيخ كقوله تعالى: { لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ } [الحجرات: ١١] ، أو الالتماس أو التبييس ...

ومن موارد تكثيف الدلالة باستعمال أسلوب النهي ، قوله تعالى في المنافقين: { لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [التوبة: ٦٦] ؛ ف ( لا ) ناهية جازمة و ( تعتذروا ) فعل مضارع مجزوم ، وقد جاء هذا النهي في معنى الإخبار ، قال الفراء: لا تعتذروا ، أي: (( لا عُذْرَ لَكُمْ ))<sup>(٦)</sup> ؛ فأعذاركم غير مقبولة و لا صدق لها ؛ لأنه أنكشف ما كنتم تُضمرون<sup>(٧)</sup> ، فضلا عن أن هذه الآية جاءت ضمن آيات<sup>(٨)</sup> إخبارية عدّة.

وقد تضمن النهي دلالة التبييس لهم<sup>(٩)</sup> ، فالنهي ليس عن الاعتذار ؛ لأن الاعتذار قد وقع منهم ، و إنما نهوا عنه ؛ لأن ما يدعونه كذب قد كشف الله بطلانه لنبيه ( صلى الله عليه وآله ) ؛ فاعتذارهم في غير

(١) شرح نهج..(السيدعباس): ١٤٥ / ٣ .

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( نهى ) : ٢٥١٧ / ٦ .

(٣) ينظر: جمهرة اللغة ( ن هـ ا ) : ١٨٣ / ٣ ، و تاج العروس ( نهى ) : ١٤٨ / ٤٠ .

(٤) : المفردات في غريب القرآن : ٨٢٦ .

(٥) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٤٧٠ / ١ .

(٦) معاني القرآن للفراء : ٤٤٨ / ١ .

(٧) ينظر: في ظلال القرآن : ١٦٩٥ / ٣ .

(٨) قال تعالى: { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ فَلِئْسَ هُمْ بِمُحْجَرٍ مِمَّا تَحْذَرُونَ ، وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَلِئْسَ مِنْ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ، الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَالْهُم عَذَابٌ مُقِيمٌ } [التوبة: ٦٤ - ٦٨]

(٩) ينظر: الإيقان في علوم القرآن : ٢٧٩ / ٣ ، و البلاغة العربية : ٢٣٤ / ١ .

محله<sup>(١)</sup> ؛ لذا جاء هذا النهي متضمنا دلالة التوبيخ و الزجر و الاستهزاء - أيضا - مقابل استهزائهم بكلام الله عزوجل ؛ فكأنه قيل لهم بأسلوب زاجر ((وفروا عليكم معاذيركم... فلا جدوى للقول ولا معول على الكلام))<sup>(٢)</sup> .

ومن دقيق الاستعمال ما جاء في نهج البلاغة وفي قوله ( عليه السلام ) : (( وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّدَابُرَ وَ التَّقَاطُعَ لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ سِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ))<sup>(٣)</sup> ، هنا جاء النهي حقيقيا ، متضمنا معنى الأمر ، أي: لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و (( قوموا بهما ؛ لأنهما فرضان أوجبهما الله ))<sup>(٤)</sup> ؛ فقد تضمن النهي الشديد و الأمر الحثيث ؛ بل و التحذير من عدم الامتثال ؛ وذلك أن النتيجة مخوفة مهولة ؛ ف (( عاقبة التقصير في هذين الواجبين و أن نتيجة تركهما أن يتولى الأشرار على رقاب العباد ؛ فيفسدوا حال الأمة و تعم الفوضى و تتعطل أحكام الدين و تبطل سنة سيد المرسلين ، و أيضا نتيجة لهذا الأمر لا يستجاب دعاء الأبرار و العلماء فضلا عن عامة الناس ؛ لاختلال شروط قبول الدعاء ، و منها و أهمها عدم القيام بهذين الواجبين ))<sup>(٥)</sup> ، وكذا فإن السياق سياق تحذير ؛ فقد تقدم قوله ( عليه السلام ) : (( إِيَّاكُمْ ... ) محذرا .

ولو تأملنا السياق و استعمال أسلوب النهي الذي تضمن الأمر من دون الاتيان بالأمر نفسه ؛ للاحظنا دلالة أخرى أضفاها النهي ، وهي دلالة الاستمرار و المداومة على فعل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ؛ فعدم ترك الفعل هو المداومة على الفعل ، كما لو تقول لأحدهم في وقت الصلاة : صلّ - بصيغة الأمر - ، و تقول لآخر : لا تترك الصلاة ؛ فإن الأول: يحتمل المعنى أنه تأمره بأداء هذه الصلاة ، أما الثاني : فالمعنى أنه داوم و استمر على أداء الصلاة و ليس هذه الصلاة فقط .

ومثله قوله ( عليه السلام ) لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل: (( تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُولُ ))<sup>(٦)</sup> ؛ فإن ( ولا تنزل ) نهي شديد و مبالغ بعدم الزوال مطلقا<sup>(٧)</sup> ؛ إذ جعل أمر زواله بمنزلة المحال ؛

(١) ينظر: روح المعاني : ٣٢٠ / ٥ .

(٢) في ظلال القرآن : ١٦٩٥ / ٣ .

(٣) نهج البلاغة: ٤٢١ .

(٤) شرح نهج..(السيدعباس): ٤ / ٤٩٠ .

(٥) شرح نهج..(السيدعباس) ٤ / ٤٩١ .

(٦) نهج البلاغة: ٥٥ .

(٧) ينظر: شرح نهج..(ابنميثم): ٢٨٧ / ١ .

فالمعنى: حتى لو حصل المستحيل و زالت الجبال الثقيلة الثابتة ، فأنت محال أن تزول أو تتحرك <sup>(١)</sup> ، و هذا يستلزم الأمر المؤكّد بالثبات والصمود أمام الأعداء مهما حصل <sup>(٢)</sup> .

### ثانياً: تعدد الدلالة بتعدد تقدير المحذوف

إن ظاهرة الحذف من الظواهر التركيبية التي لا يمكن لباحث في الدراسة الدلالية أن يتجاوزها ؛ فهو من الظواهر الأكثر وضوحاً في اللغة العربية ؛ لما تمتاز به من ميل إلى الإيجاز والاختصار في الكلام ؛ فالعرب (( إلى الإيجاز أميل، وبه أعنى وفيه أرغب )) <sup>(٣)</sup> ؛ فهو عجيب الأمر شبيه بالسكر ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر (( والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون مبيئاً إذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تُخبر وتُدفعها حتى تنظر )) <sup>(٤)</sup> .

غير أن للحذف مظاهر متعددة و أقساماً متنوعة و مستويات متفاوتة <sup>(٥)</sup> ، قال ابن جني: (( قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته )) <sup>(٦)</sup> ، نحو قوله تعالى: { وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا } [النحل: ٣٠] أي: أنزل خيراً ، وما دلّ على الفعل المحذوف هو الفعل المتقدّم في: ( ماذا أنزل ربكم ) <sup>(٧)</sup> ، ومثله قوله: { فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } [البقرة: ٦٠] ؛ أي: فاضرب فانفجرت .

وما دامت الدلالة هي المعيار في هذا البحث ؛ فالحذف قسمان : قسم يتعين فيه المحذوف و لا يؤدي إلى إطلاق الدلالة و تعدد احتمالها - كما في الأمثلة السابقة - نحو قوله تعالى: { وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } [البقرة: ١٨٥] والمعنى: فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ؛ فهي محددة لا

(١) ينظر: الأمثال والحكم: ٩٣ .

(٢) ينظر: شرح نهج..(القرويني): ١ / ٢٣٠ ، و شرح نهج..(القرن الثامن): ١٥٣ .

(٣) الخصائص : ٨٧ / ١ .

(٤) دلائل الإعجاز: ١ / ١٤٦ .

(٥) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٥ .

(٦) الخصائص : ٣٦٢ / ٢ .

(٧) ينظر: الكتاب لسبويه : ٤١٧ / ٢ .



تحتمل غيرها<sup>(١)</sup> ، ومثله قوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] (( أَي: أَهْلَهَا إِذْ لَا يَصِحُّ إِسْنَادُ السُّؤَالِ إِلَيْهَا ))<sup>(٢)</sup> ، و هذا القسم لا يتحقق فيه معنى التكتيف الدلالي ، وإن تحقق به الإيجاز .

وقسم آخر: لا يتعين فيه المحذوف ؛ بل يحتمل تقديرات عدّة مما يؤدي إلى إطلاق الدلالة و تعدد احتمالها ، وفي هذا القسم يتحقق التكتيف للدلالة ؛ غير أن شرط تحققه - في هذا القسم - هو أن لا يبعد إرادة جميع التقديرات للمحذوف و لا وجود لمانع من احتمال إرادتها جميعا ؛ فتكون الدلالات مضغوطة في التركيب ، كما في قوله ( عليه السلام ) وهو يعظ الناس : (( وَ بَيِّنُونَ مَشِيداً وَ يَجْمَعُونَ كَثِيراً ))<sup>(٣)</sup> ، يحتمل السياق أنهم يجمعون مالا كثيرا ، وتكون الدلالة أنهم يجمعون المال بكثرة من نقود وجواهر<sup>(٤)</sup> ... وهذا يبين حبه الشديد للمال، ويحتمل أنهم يجمعون وقتا كثيرا بالمال ، وتكون الدلالة أن في أملهم وحسابهم أنهم يبقون مدة مديدة فيحتاجون لتلك الأموال<sup>(٥)</sup> فيقضون وقتهم بجمع المال ، ولا مانع أن المراد في التعبير كل الدلالات المذكورة ؛ فجمعت في تركيب واحد .

#### - تعدد تقدير المضاف المحذوف:

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه بدلا عنه وارد كثيرا في الكلام العربي<sup>(٦)</sup> ، كما نجده في قوله تعالى: {فَلْيَذُغْ نَادِيَهُ} [العلق: ١٧] فـ ( نادية ) مضاف إليه ، والتقدير: فليذع أهل نادية<sup>(٧)</sup> ، ومثله قوله تعالى: { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ } [البقرة: ٩٣] أي: حبّ العجل ؛ فالعجل لا يشرب ؛ وإن كان إسناد الشرب للعجل فيه توسع للمعنى ؛ فالمعنى: (( أن قلوبهم كأنما أشربت عجل الذهب حقيقة فكان في تكوينها وتركيبها ))<sup>(٨)</sup> غير أنه لم يحصل تكتيف للدلالة - من جهة الحذف - ؛ فالمحذوف محصور التقدير .

ومن بديع التعبير بحذف المضاف قوله ( عليه السلام ): (( فَرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ ))<sup>(٩)</sup> ، حيث تعددت تقديرات المضاف المحذوف في كلا المضافين ( إلى الله من الله ) ، فيحتمل : فرّوا من عذاب الله وعقابه إلى رحمته ورافته<sup>(١٠)</sup> ، ومن غضبه وسخطه إلى رضاه و عفوّه ، ومن معصيته إلى طاعته<sup>(١١)</sup> ، وكذا

(١) ينظر: الخصائص : ١٧٧ / ٣ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن : ١٣٧ / ٣ .

(٣) نهج البلاغة: ١٩٠ .

(٤) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس): ٣٨٨ / ٢ .

(٥) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٢٩٤ / ٢ .

(٦) ينظر: معاني النحو: ١٢٢ / ٣ .

(٧) ينظر: شرح شذور الذهب : ٨١ .

(٨) معاني النحو : ١٤٣ / ٣ .

(٩) نهج البلاغة : ٦٦ .

(١٠) ينظر: شرح نهج .. (ابن أبي الحديد) : ٣٣١ / ١ .

(١١) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم) : ١٥ / ٢ ، و شرح نهج..(السيدعباس): ٢٠١ / ١ .

فَرَّوْا مِنْ ذُنُوبِكُمْ إِلَىٰ تَوْبَتِهِ<sup>(١)</sup> ، وَمِنْ خَوْفِهِ إِلَىٰ أَمَانِهِ ، وَمِنْ عَدْلِهِ إِلَىٰ فَضْلِهِ وَكِرْمِهِ وَإِحْسَانِهِ<sup>(٢)</sup> ... وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ الْمَرَادُ فِي التَّعْبِيرِ جَمِيعَ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ ، وَلَا يَحْقُقُ الضَّغْطُ لَهَا فِي تَرْكِيْبِ وَاحِدٍ سِوَى الحَذْفِ ، حَتَّىٰ يَكُونَ التَّعْبِيرُ مَخْتَزِلًا لِلدَّلَالَةِ يَشِيءُ بِكَثِيرٍ مِنَ المَعَانِي الرَّفِيعَةِ<sup>(٣)</sup> ، أَوْضَحَهَا أَنْ لَا مَلْجَأَ وَلَا مُؤَثِّرَ فِي الوجودِ غَيْرِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ أَرَادَ بِالإنْسَانِ شَيْئًا فَلَا مَانِعَ وَلَا صَادِلَ لَهُ سِوَاهُ جَلِّ وَعَلَا ، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: ١٧] ، وَمَا نَسْتَفِيدُهُ مِنَ الفِعْلِ (فَرَّوْا) ، وَتَقْدِيمِ حَرْفِ الجَرِّ (إِلَى) مِنْ دُونِ (مِنْ) ؛ أَنْ الفِرَارَ عَادَةً يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ إِلَىٰ شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} [المدثر: ٥١، ٥٠] ، أَمَا الفِرَارُ إِلَىٰ شَيْءٍ وَمِنْ نَفْسِ الشَّيْءِ! ؛ ففِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنْ الغَايَةَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَمِنْهُ البَدَايَةُ – وَهَذَا مَا لَا يَنْكُرُهُ عَاقِلٌ – وَإِلَيْهِ المَالُ فِ {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣] ؛ لِذَا قَدِمَ (إِلَى) مِنْ دُونِ (مِنْ) ، وَكُلُّ هَذِهِ المَعَانِي - طَاعَتِهِ وَرِضَاؤُهُ وَرَحْمَتُهُ ... - هِيَ وَسَائِلُ مَوْصَلَةٍ لَهُ ، وَحَتَّىٰ مَعَانِي - سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ وَمَعْصِيَتِهِ ... - هِيَ دَوَافِعُ نَحْوِهِ ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} [البقرة: ٢٢٢] ؛ فَالتَّوْبَةُ تَسْبِقُهَا مَعْصِيَةٌ أَوْ ذَنْبٌ دَفَعَ العَبْدَ إِلَى التَّوْبَةِ ، وَبَيْنَ (إِلَى) وَ (مِنْ) دَلَالَةٌ أَعْمَقُ وَ هِيَ أَنَّهُ لَا فِرَارَ مِنَ اللَّهِ حَتَّىٰ لَوْ اخْتَارَ العَبْدُ غَيْرَ الطَّرِيقِ المَوْصِلِ إِلَى اللَّهِ - بِتَصَوُّرِهِ - فَإِنَّهُ سَيُؤَدِّي بِهِ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ} [النور: ٣٩] ، وَقَالَ: {كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} [الأنبياء: ٩٣] .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (( وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا ، إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِاللَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ ))<sup>(٥)</sup> ؛ ففِي قَوْلِهِ : (إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِاللَّهِ) حَذْفُ المِضَافِ وَ أَقَامَ المِضَافَ إِلَيْهِ (لِلفِظِ الجَلَالَةِ) ، وَ قَدَّرَ الشَّرَاحُ تَقْدِيرَاتٍ عِدَّةً لِهَذَا المَحذُوفِ مِنْهَا: إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِأَمْرِ اللَّهِ ؛ فَالدَّلَالَةُ تَكُونُ بِأَنْ أَقِيمَ فِيمَكُمُ أَمْرَ اللَّهِ وَ دِينَهُ<sup>(٦)</sup> ، وَ يَحْتَمِلُ: إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ ؛ فَأَخَذَ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الهِدَايَةِ وَ النِّجَاةِ<sup>(٧)</sup> ، وَ يَحْتَمِلُ: أَنِّي أُرِيدُكُمْ لِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ<sup>(٨)</sup> ، وَ كَذَا أُرِيدُكُمْ لِطَاعَةِ اللَّهِ<sup>(٩)</sup> ... وَ غَيْرَهَا مِنَ المَعَانِي<sup>(١٠)</sup> الَّتِي لَا يَبْعُدُ أَرْدَتُهَا فِي هَذَا التَّرْكِيبِ ، فَالتَّكْثِيفُ الحَاصِلُ لِدَلَالَةِ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَا يَطْلُبُهُمْ لِنَفْسِهِ كَمَا هُمْ يَطْلُبُونَهُ ؛ بَلْ يَرِيدُهُمْ لِكُلِّ مَا

(١) ينظر: شرح نهج..(القرن الثامن): ٣٠٣ .

(٢) ينظر: نفحات الولاية: ٤٧ / ٢ .

(٣) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس): ٢٠١ / ١ .

(٤) ينظر: بهج الصباغة: ٢٧٨ / ١٠ .

(٥) نهج البلاغة: ١٩٤ .

(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣٠ / ٢ .

(٧) ينظر: حدائق الحقائق: ٦٠٨ / ١ .

(٨) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٣٢ / ٩ .

(٩) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم): ١٦٤ / ٣ .

(١٠) ينظر: منهاج البراعة: ٣٣٢ / ٨ .

يريده الله ؛ لذا حذف المضاف حتى يحتمل التركيب كلّ ما يريده الله ، وفي ذلك إشارة عميقة منه ( عليه السلام ) ؛ لينبه السامع إلى أنه الممثل الحقيقي لله على أرضه - فالسياق جاء تعريضا ببيعة أبي بكر (١) - فلا إرادة له غير إرادة الله عزوجل .

### - تعدد تقدير المبتدأ أو الخبر المحذوف :

يُحذف المبتدأ أو الخبر من الكلام بقرائن قياسية لفظية أو قرائن حالية تدل عليهما ، قال ابن يعيش: (( اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة، فلا بدّ منهما، إلا أنه قد تُوجَد قَرِينَةٌ لفظيةٌ، أو حاليةٌ تُغني عن النُطْق بأحدهما، فيُحذف لدالاتها عليه ))(٢)، فمن حذف المبتدأ - كما في الاستفهام - قوله تعالى: { وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ، نَارٌ } [القارعة: ١٠، ١١] ، أي: هي نار ، ومن حذف الخبر قوله تعالى: { فَصَبِرْ جَمِيلٌ } [يوسف: ٨٣] وذلك أن ( صبر ) مبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى: فصبر جميل أجمل من غيره أو فعندي صبر جميل(٣) ، واستعمال الجملة الأسمية هنا دليل على الاستقرار و الثبات.

ومما كثفت فيه الدلالة بحذف المبتدأ قوله ( عليه السلام ) من خطبة يحث الناس فيها على التقوى : (( فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أُنَارَ طَرَفِهِ ، فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ))(٤) ؛ فقوله ( عليه السلام ) : ( فشقوة لازمة ) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف (( تقديره: فغايبتكم أو فجزاؤكم أو فشانكم ))(٥) أو فعاقبتكم(٦) ، والتكثيف إلى بيان اختيار الإنسان فهو من يحدد غايته التي يسعى لها ، وهو من يعلم بجزاء اختياره وعاقبته ، وكذا بيده أن يجعل شأنه من أهل الشقاء أو السعادة ؛ فالسياق يحتمل كلّ التقديرات و الدلالات .

ومن تعدد تقدير الخبر المحذوف قوله ( عليه السلام ) قبل موته: (( وَ أَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَ لَكُمْ ، إِنَّ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَةِ فَذَلِكَ ، وَ إِنْ تَدَحَّضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَ مَهَابِّ رِيَّاحٍ وَ تَحْتِ ظِلِّ غَمَامٍ ))(٧) ، و ( في هذه المزلة ) جعل ( عليه السلام ) (( الدنيا مزلة حيث لا ثبات لقدّم الإنسان فيها، و هو فيها في كلّ ساعة مظنة للوقوع و السقوط فيها من آفاتها و مصيبتها ))(٨) ، ومن

(١) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس): ٢ / ٤٠١ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش : ١ / ٢٣٩ .

(٣) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ١ / ٣٩٠ .

(٤) نهج البلاغة: ٢٢١

(٥) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٩ / ٢١٢

(٦) ينظر: منهاج البراعة : ٩ / ٣١٤

(٧) نهج البلاغة: ٢٠٧ .

(٨) بهج الصباغة : ١١ / ٤٠ .

شواهد هذه المصيبات جراحه ( عليه السلام ) ؛ فما أراحه بقوله ( عليه السلام ): ( إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة ) ، معافاته و سلامته من جراحه عليه السلام<sup>(١)</sup> ، و ( إن ) أفادت التشكيك ؛ فالبقاء على قيد الحياة وعلى هذه الحالة محل شك<sup>(٢)</sup> .

والحذف للخبر جاء بعد قوله ( عليه السلام ): ( فذاك .. ) ، وعلى هذا قدر الشراح تقديرات لا مانع من إرادتها جميعا ؛ فقد قدر ( فذاك أمر الله )<sup>(٣)</sup> أو تقديره تعالى<sup>(٤)</sup> ، وهنا تكون الدلالة التسليم لله عزوجل والرضا بأمره و قضائه .

و قدر الخبر المحذوف بـ ( فذاك المرجو )<sup>(٥)</sup> ، وعلى تقديره تكون الدلالة في معنيين ، بمعنى: فذاك المرجو وهو البقاء على قيد الحياة والمعافاة من الجراح ، وبمعنى: المرجو هو الثبات في محل المزلّة وهي الدنيا<sup>(٦)</sup> ، ولا مانع من إرادة المعنيين ، خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين ؛ إذ استبعد الدلالة الأولى معللا ذلك بقوله: (( فعليه يتبين أن الإمام ( عليه السلام ) كانت له رغبة في البقاء على هذه الحياة وهذا يعارض قوله ( عليه السلام ) : ( اللهم إني مللتهم وملوني .... ) )<sup>(٧)</sup> ، وأقول: أين المانع من أن يطلب الإمام ( عليه السلام ) العافية والشفاء من هذه الضربة؟! وهو القائل ( عليه السلام ): (( مَا أَهْمَنِي ذَنْبٌ أُمَهَلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ وَ أَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ))<sup>(٨)</sup> ، ثم إن قوله ( عليه السلام ) : ( اللهم إني مللتهم وملوني ... ) جاء به توبيخا لتناقل أصحابه عن الجهاد ؛ بل بعده قال ( عليه السلام ): (( أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ ))<sup>(٩)</sup>؛ حتى يكمل طريق الهداية وإعلاء راية الحق ، والمخاطبين في هذا النص - في المثال - هم خاصته و أهل بيته ( عليهم السلام ) ، فضلا عن أنه وردت الخطبة برواية ثانية ؛ إذ وردت: ( فَذَاكَ الْمُرَاد )<sup>(١٠)</sup> .

و قدر - أيضا - ( فذاك الذي تطلبونه ) أو ما تبغونه<sup>(١١)</sup> من بقائي على قيد الحياة ؛ وفي هذا ما يدعم ما تقدّم من دلالة ، ويبدو أن في حذفه و إطلاقه إشعار منه ( عليه السلام ) لأهله و أصحابه بأن ما يطلبونه

(١) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٩ / ١١٨ .

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢٠٧ .

(٣) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٩ / ١١٨ .

(٤) ينظر: شرح نهج..(السيدعباس): ٢ / ٤٥٧ .

(٥) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٢ / ٣٥٦ .

(٦) ينظر: الدرّة النجفية : ١٨٢ .

(٧) الحذف صورته ودلالاته في كتاب نهج البلاغة: ٢٥ .

(٨) نهج البلاغة: ٥٢٨ .

(٩) نهج البلاغة: ٦٧ .

(١٠) ينظر: منهاج البراعة : ٩ / ١٢٢ .

(١١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة : ٢ / ٣٥٢ .

بعيد المنال ، وما يدعم ذلك دلالة ( الكاف ) مع اسم الإشارة ( ذا ) ؛ إذ تدل على أن المشار إليه بعيد ؛ و (( تلحق آخر أسماء الإشارة عند استعمالها للشيء أو الشخص البعيد فقط... فهي ... حرف للخطاب لا للمخاطب ))<sup>(١)</sup> ، وما أوضح هذا المعنى للمخاطبين في كلامه قد يكون إشارة أو حركة منه بيّنت هذا الشعور لهم أثناء كلامه ( عليه السلام ) .

#### - تعدد تقدير الموصوف المحذوف:

قد يحذف الموصوف و تقام الصفة مقامه ، وأكثر ما يكون ذلك في النصوص ذات الروح الشعرية<sup>(٢)</sup> ؛ لذا يشترط في حذف الموصوف شرطان ، أحدهما: أن تكون الصفة خاصة بالموصوف ، أي: غير عامة ؛ حتى يحصل العلم بالموصوف ، والثاني: الاعتماد على مجرد الصفة من حيث هي لتعلق غرض السياق بها ؛ ومعرفة غرض القول من مدح أو ذم منها<sup>(٣)</sup> ، نحو قوله ( عليه السلام ) (( يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ كَذَّبَ وَ الْعَظِيمِ ))<sup>(٤)</sup> ، والتقدير: كذب والله العظيم ؛ و (( إِنَّمَا قَالَ: وَ الْعَظِيمِ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِأَنَّ ذَكَرَ الْعِظْمَةَ هُنَا أَنْسَبَ لِلرَّجَاءِ ))<sup>(٥)</sup> .

وقد يتعدد تقدير الموصوف المحذوف ؛ فالصفة تتعلق بأكثر من موصوف في بعض السياقات التي تمتلك قوة و طاقة تُختزل فيها الدلالات ، ومما تعدد فيه تقدير الموصوف قوله ( عليه السلام ) وهو يحذر من فتنة مستقبلية : (( وَ تَخَدَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ ))<sup>(٦)</sup> قال ابن أبي الحديد مقدر الموصوف : (( و الكواذب هاهنا الأمانى ؛ فحذف الموصوف و أبقى الصفة ))<sup>(٧)</sup> أو الأوهام الكواذب – كما قدر الشارح الخوئي<sup>(٨)</sup> - ، وقدّر بعضهم الأقوال الكواذب أو الدعاوى الكواذب<sup>(٩)</sup> ، ولا يبعد من إرادة جميع هذه المعاني للتكثيف من التحذير من مخاطر الفتنة ؛ فالأمانى و الأوهام منشأها الشخص نفسه وقد يتصور الشخص هذه الكواذب ف (( الْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ))<sup>(١٠)</sup> ، أما الأقوال و الدعاوى فمنشأها – عادة – شخص آخر قد يخدع بها المقابل فيتبعها ، وهذه الدلالات هي نتاج الفتنة و آثارها ؛ لذا كُنُفَتِ الدلالة في هذا الحذف للتحذير من أي أمر مشكوك في صحته في وقت الفتنة .

(١) النحو المصفى: ١٦١ ، وينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ١ / ١٤١ .

(٢) ينظر: الخصائص : ٣٦٨ / ٢ .

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٥٤ .

(٤) نهج البلاغة: ٢٢٥ .

(٥) شرح نهج..(ابن ميثم): ٣ / ٢٨٢ .

(٦) نهج البلاغة: ١٥٦ .

(٧) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٧ / ١٩٠ .

(٨) ينظر: منهاج البراعة: ٧ / ٣٠٠ .

(٩) ينظر: شرح نهج..(السيد عباس): ٢ / ٢١٩ .

(١٠) نهج البلاغة: ٥٢٤ .

## - تعدد تقدير المفعول به المحذوف:

المفعول به مما يتعلق بالفعل وهو فضلة يمكن الاستغناء عنه من غير أن يفسد معنى التركيب ؛ ف ((الأغلب أن يؤدي المفعول به معنى ليس أساسياً في الجملة))<sup>(١)</sup> ؛ لذا إن حذفه كثير ، وهو على نوعين<sup>(٢)</sup> :

١- يُحذف من الكلام لفظاً ويراد معنىً وتقديراً ، وبقريئة تدل على حذفه ، نحو قوله تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: ١١] ، أي: من خلقته ؛ لأن الاسم الموصول لا بد له من عائد ، ومنه قوله تعالى: {وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} [طه: ٧٩] والتقدير: وما هداهم ، غير أن هذا الحذف يحقق أغراضاً بلاغية - فضلاً عن الإيجاز باللفظ<sup>(٣)</sup> - ؛ ففي قوله تعالى: ( وما هدى ) دلالة تستشف من هذا الحذف (( وذلك أنه أخرجه مخرج العموم أي أن فرعون لا يتصف بصفة الهداية البتة وذلك أنه لو قال (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيداً بقومه إذ يحتمل أنه هدى غيرهم لكنه قال (وما هدى) أي ما هدى أحداً))<sup>(٤)</sup> .

٢- لا يذكر المفعول به في الكلام ؛ كونه غير مراد و ليس له تقدير ولا نية ، ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [المائدة: ٥٥] ، فلم يذكر لمن يؤتون الزكاة ؛ لأن الكلام لا يتعلق به .

ومما يمكن أن تُكتف فيه الدلالة ، هو النوع الأول ؛ وذلك لإرادته معنىً وتقديراً ، فقد يتعدد تقديره في بعض السياقات ، ويكون ممن (( تشدد الحاجة إليه ... فلا يمكن الاستغناء عنه ))<sup>(٥)</sup> ، كقول الإمام ( عليه السلام ) : (( هَلْكَ مَنْ ادَّعَى وَ خَابَ مَنْ افْتَرَى ))<sup>(٦)</sup> ؛ فالفعل ( ادَّعَى ) يحتاج إلى تقدير مفعول ، وقد قدره ابن أبي الحديد بـ ( هلك من ادعى الإمامة ) ، معتمداً في هذا التقدير على دلالة السياق الذي وردت فيه العبارة ؛ إذ قال : (( لا بد من تقدير ذلك ؛ لأن الدعوى تعم الصدق والكذب ، و كأنه يقول: هلك من ادعى الإمامة... لأن كلامه ( عليه السلام ) في هذه الخطبة كله كنايةات عن الإمامة لا عن غيرها ))<sup>(٧)</sup> ، وهنا ابن أبي الحديد قدر ما يناسب سياق التعريض لمعاوية ، ودعواه للإمامة ؛ فاللفظ عام وخرج لسبب خاص<sup>(٨)</sup> ؛ لذا فمن دلالة عموم اللفظ قدر بعض الشراح : هلك من ادعى ما ليس حقاً له<sup>(٩)</sup> ، وذهب آخرون

(١) النحو الوافي : ١٧٩ / ٢ .

(٢) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب : ٧٩ ، وينظر: معاني النحو : ٩٤ / ٢ .

(٣) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : ١٩٦ / ١ .

(٤) معاني النحو : ٩٣ / ٢ .

(٥) النحو الوافي : ١٧٩ / ٢ .

(٦) نهج البلاغة: ٥٨ .

(٧) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ٢٧٧ / ١ ، وينظر: الأمثال والحكم : ٤٧٥ .

(٨) ينظر: اختيار مصباح السالكين : ١١١ .

(٩) ينظر: بهج الصباغة: ٤ / ٥٤٣ ، وينظر: حدائق الحقائق : ٢٠٣ / ١ .

إلى أبعد من ذلك حتى (( قيل: من ادعى مطلقاً ))<sup>(١)</sup>، ولعل المقصود بـ ( مطلقاً ) ، أي : هلك من ادعى دعوة كاذبة أو باطلة أو بغير حق أو ما ليس له أهلاً – كما ذهب ابن ميثم<sup>(٢)</sup> - ، وكذا هلك (( من ادعى أمراً بدون بينة تشهد بصدقه و حجة تقوم بدعواه ))<sup>(٣)</sup> ؛ وعليه يمكن القول: (( إنّ الأولى حمل العبارة على المعنى الأعمّ منه و من غيره ، و المعنى : أنّه هلك من حيث لا يحتسب من ادعى ما ليس باهل له سواء كان المدعى الإمامة أو الرّسالة أو الألوهيّة أو غيرها حتّى الأمور الاجتماعيّة و المناصب و المقامات الدنيويّة ))<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا تبين أن الحذف الحاصل في هذا التركيب جعل منه يختزل هذه المعاني ؛ حتى تكون الدلالة عند السامع مكثفة يطبقها على كلّ مصاديقها ، وأوضح مصداق لها الإمامة – بقرينة السياق العام للنص - ؛ فلو حدد الإمام ( عليه السلام ) المحذوف وذكر ( الإمامة ) صريحاً ؛ لما أعطى السامع مساحة من التفكير ؛ حتى يتبادر إلى ذهنه معنى ( الإمامة ) ويحس بالذلة الاكتشاف ؛ فتكون المعلومة أرسخ و أبين له ؛ ولما اكتسب التعبير هذه المساحة من التقديرات التي لا يبعد أن تكون مرادة جميعها من المتكلم ؛ فهذا شأن كلّ نص ينبض بالحياة .

#### - تعدد تقدير المحذوف بتعدد الأوجه الإعرابية :

قد يتعدد و يختلف تقدير المحذوف بتغير القرينة الدالة عليه ؛ فيتعدد لتعدد القرينة كما في قوله ( عليه السلام ) في الإخبار عن فتنة بني أمية : (( فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَأْخِذَهُ ، وَ رَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ، وَ عَظُمَتِ الطَّأْغِيَةُ ))<sup>(٥)</sup> ؛ فـ ( الطاغية ) يمكن أن تكون بمعنى المصدر ، أي: الطغيان ، ويمكن أن تكون صفة لفاعل محذوف<sup>(٦)</sup> ؛ فمن قال بالمصدر ، قدر : طغيان الباغيين أو ضلال الباغيين<sup>(٧)</sup> ، وعلى هذا التقدير تكون الدلالة: أن الطغيان يكبر ويتسع حتى يكون على مستوى المجتمع<sup>(٨)</sup> ، أما من قال بأن ( الطاغية ) صفة لفاعل محذوف ؛ فقد قدر هذا المحذوف بالفئة أو الطائفة أو الفتنة الطاغية<sup>(٩)</sup> أو على

(١) حدائق الحقائق: ٢٠٣ / ١ .

(٢) شرح نهج..(ابن ميثم): ٣٠٦ / ١ .

(٣) شرح نهج..(السيد عباس): ١٦١ / ١ .

(٤) معارج نهج البلاغة : ٩٩ .

(٥) نهج البلاغة: ١٥٦ .

(٦) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٩٢ / ٧ .

(٧) ينظر: منهاج البراعة: ٣٠٢ / ٧ ، و بهج الصباغة : ١٧١ / ٦ .

(٨) نفحات الولاية: ٣٤٥ / ٥ .

(٩) ينظر: شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٩٢ / ٧ ، شرح نهج..(ابن ميثم): ٤٧ / ٣ ، نفحات الولاية: ٣٤٥ / ٥ .

تقدير بعضهم: عظمت سلطة السلطان الطاغي وجعل ( التاء ) في ( عظمت ) للمبالغة<sup>(١)</sup>، وفي ذلك تكون الدلالة : أنه يستفحل أمر طائفة أو فئة طاغية ، أو أن الفتنة تتجاوز في عظمتها الحد و المقدار<sup>(٢)</sup> .

ولا مانع أن المراد كلتا الداليتين ؛ إذ بدل أن يقول: إن عظم الفتنة يجعل من الفئة الطاغية تصبح طائفة طاغية تستفحل في البلاد حتى تعم المجتمع ويكون الطغيان سائدا متسعا ؛ قال (عليه السلام): ( وعظمت الطاغية ) جامعا للداليتين في تركيب واحد ، وما يدعم هذا التدرج في سعة الطغيان من فئة إلى طائفة إلى مجتمع هو ما تقدم من قوله : (فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَ رَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ) ؛ فإنه يوحي بتمدد الباطل والجهل شيئا فشيئا حتى يطغى من تبعه و يكثر من انجرف معه .

ومن هذا النحو قوله ( عليه السلام ) في وصف المنافقين: (( قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَ صِفَاهُمْ نَقِيَّةٌ ، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ ))<sup>(٣)</sup> ، إن لـ ( الخفاء ) ثلاثة أوجه إعرابية ؛ الأول: منصوب بنزع الخافض ؛ فالمحذوف حرف جر ، قال ابن أبي الحديد : (( يمشون الخفاء ، أي: في الخفاء ثم حذف الجار فنصب ))<sup>(٤)</sup> ، والمعنى: أن حركاتهم القوليّة والفعلية فيما يريدونه من افهام الناس ونشر الفساد والضلال فيهم ؛ تكون في خفاء وعن خدعة وحيلة<sup>(٥)</sup> ، والوجه الثاني: أن يكون ( الخفاء ) مصدرا بمعنى الفاعل ؛ فيكون صفة مصدر محذوف ، والتقدير: يمشون المشي الخافي ، وهنا يبيّن صفتهم وكيفية سعيهم لتحقيق مرادهم ؛ فهم يتسترون على تحركاتهم كي لا يطلع عليها أحد ؛ فعملهم في المكان الخافي وبالمكر الخافي<sup>(٦)</sup> ، والوجه الثالث: يمكن أن تكون حال ، (( أي: يمشون لأجل الفساد، و تهيبج نائرة الفتنة، مستخفين ؛ فيكون ( الخفاء ) في موضع الحال ))<sup>(٧)</sup> ؛ فهم يفسدون المجتمع متخفين لا يظهرون أنفسهم كجرثومة السرطان تفسد الجسم من دون أن تظهر نفسها<sup>(٨)</sup> .

وكأها ، هذه الدلالات لـ ( يمشون الخفاء ) لا يبعد أن تكون مرادة ؛ فهي مناسبة للمناق الذي يظهر بعكس ما يبطن ؛ إذ إن حاله و كيانه و تحركاته يحاول أن يسترها ؛ فكأنهم الخفاء بعينه ، وهذا يدعو للحرر من المنافقين أشد الحرر .

(١) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٢ / ١٧٢ .

(٢) ينظر: شرح نهج..(ابن ميثم) : ٣ / ٤٧ ، و شرح نهج..(السيدعباس) : ٢ / ٢٢٠ .

(٣) نهج البلاغة: ٣٠٧

(٤) شرح نهج..(ابن أبي الحديد): ١٠ / ١٦٦ .

(٥) ينظر: الدرّة النجفية: ٢٢١ .

(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة : ٣ / ٢٤٧ ، و منهاج البراعة(راوندى) : ٢ / ٢٨٣ ، و أيضا: شرح نهج..(المجلسي): ٢ /

٥٢٧ /

(٧) حقائق الحقائق: ٢ / ١٣٩ .

(٨) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ١٧٧ .



# الخاتمة

## الخاتمة

### خلاصة بأهم نتائج البحث

بعد هذه الرحلة الممتعة مع نص الفصاحة نص نهج البلاغة ؛ نوجز أهم النتائج التي انتهى إليها البحث ، ويمكن إجمالها بما يلي:

١- أثبت البحث أن مصطلح التكتيف يمكن أن يكون من الأضداد - مثل جون للأبيض والأسود - ؛ فهو يجمع بين الإيجاز والاتساع ، و بين وحدة الدال لتعدد المدلول و تعدد الدال لوحدة المدلول ، وبين الغموض والإفهام<sup>(١)</sup>.

٢- التكتيف الدلالي هو ناتج عملية استعمال المبدع للغة على نحو يركز فيه على المراد بصهر جميع قدرات اللغة و استعمالها بطريقة تكون المفردات مشعة حبلية والتراكيب موجزة واضحة والدلالات عميقة و مضغوطة و مركزة ، وكل هذا يجعل من المفردة والتركيب والنص قابلا للتأويل والتحليل .

٣- بيّن البحث أن مصطلح التكتيف يفترق عن الإيجاز و الاتساع والاقتصاد اللغوي و الاختزال .

٤- أوضح البحث أن مكن التكتيف للمشارك اللفظي يكون في تعدد المعاني وتداخلها في اللفظ ، والذي يجعل الكلام يكتنفه الغموض ، ولا يمكن الوقوف على الدلالة إلا بعد بذل جهد وتفتيش في مرجعيات الألفاظ والسياق الذي ترد فيه .

٥- تبين أن التكتيف الدلالي هو نقطة اشتراك ، وبنفس الوقت هو نقطة افتراق ؛ وعليه فالجناس يمثل مظهرا لهذا المعنى .

٦- أظهر البحث أن التورية تمثل صورة من أدق صور التكتيف ؛ فهي من جانب تحمل معنيين كلاهما مقصود عند الكلام ، ومن جانب آخر فإن المعنى المراد خفي وغامض ، وهذا الخفاء والغموض يذهب به العقل أي مذهب فتتعدد تأويلاته ودلالاته .

٧- توصل البحث إلى أن التكتيف باستعمال لفظ التّضاد يتحقق باستعمال اللفظ الذي يتضمن المعنى وضده أو شيئا من ضده في حال التكلّم والإخبار؛ فقد يكون للكلمة أكثر من معنى وليس في العبارة ما ينص على أحدها أو يمنع من احتمال بقية المعاني ؛ و بذلك يمكننا استنتاج قاعدة عامة ، وهي: أن الأضداد إذا خلت من القرينة التي تدعم معنى من دون آخر في الاستعمال ؛ يمكن أن تحتل المعاني التي تدل عليها كلها ،

<sup>(١)</sup> ينظر: صفحة ( ١٥ ) من الرسالة .

نحو لفظ الأضداد ( عسّس ) في قوله تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَّسَ } [التكوير: ١٧، ١٨] ؛ إذ يقسم الباري عزوجل بكل حالات الليل من دنو وإقبال وإدبار ، جمعها في لفظ الأضداد هذا .

٨- أكد البحث أن ما يحدد كثافة الدلالة في مبحث الصيغة الصرفية – من جمع بين صيغتين أو زيادة المبنى – هو السياق بصورة عامة .

٩- بيّن البحث أن إبراز السياق و اعتماده على الصيغة الزائدة في مبنائها ؛ يجعل منها صورة من صور التكتيف الدلالي .

١٠- كشف البحث عن أن تكتيف الدلالة في التركيب يكون على شكلين :

الشكل الأول: تعدد الوسائل في التركيب لتكثيف الدلالة ؛ بمعنى : أن كل جزء أو عنصر في التركيب يكون فاعلا و موجّها إلى دلالة معينة كقوله تعالى: { الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ } [الحاقة: ١، ٢] فإن تكرار المبتدأ ( الحاقة ) هنا للتعظيم و التفضيم ، و مجيء ( ما ) الاستفهامية زيادة لدلالة نفسها .

الشكل الثاني: ضغط الدلالة في التركيب ؛ بحيث تكون الدلالة متعددة يجمعها تركيب واحد ، كقوله تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } [الرحمن: ٦٠] ؛ إذ جمع هذا التركيب الاستفهامي النفي و التقرير والحث و التوبيخ و التعجب .

١١- أكد البحث أن الدلالة المكثفة في التراكيب تكمن في المعاني المعجمية للمفردة المكونة للتراكيب ، و في الوظائف النحوية لهذه المفردات مع طبيعة العلاقات الرابطة بين وظائفها ؛ فكلّ هذه العناصر تلتقي و تتفاعل فيما بينها ؛ لتكثيف الدلالة في التركيب .

١٢- توصل البحث إلى أن ضغط المعاني و تكثيفها باستعمال أسلوب الأمر يتحقق بصورتين :

الصورة الأولى: يعتمد فيه الأسلوب على السياق الذي يرد فيه ؛ فالسياق يجعل من الأسلوب مضغوط الدلالة .

والصورة الثانية : هو باستعمال بعض صيغ الأمر التي تكون متضمنة لدلالات أكثر من كونها أمرا –وهنا أيضا ليس بمعزل عن السياق – كما لو يستعمل صيغة الفعل المضارع مع لام الأمر ( ليفعل ) بدل ( افعل ) للمخاطب .

١٣- توصل البحث إلى أن ما يجعل الدلالة مكثفة باستعمال الأصوات هو اعتماد المتكلم عليها في إيصال الدلالة ؛ فنراه يركز على أصوات من دون أخرى، أو قد يلتزم صوتا أو إيقاعا محددًا ، أو قد يلوّن من الأصوات ؛ بحسب ما يقتضيه السياق و المقام ، و حاجة الدلالة للأصوات ؛ فقد تكون الدلالة خفية لا

مسموعة ولا مرئية ؛ فيصورها بالأصوات كالخوف أو الوسوسة ، وقد تكون الدلالة صوتية فيكثف من الأصوات التي تناسبها كصوت شدة الريح ، أو قد تكون الدلالة مرئية تحصل بالمشاهدة فيقربها بالأصوات من الأذهان كالحركات مثلا .

١٤- كشف البحث عن أن تكثيف الدلالة وتجسيدها بجرس اللفظ يكون بنوعين من الاستعمال في نهج البلاغة ، الأول: استعمال الإمام ( عليه السلام ) لألفاظ لها معنى صوتي أو يرتبط بالصوت ، والثاني: استعماله ( عليه السلام ) لألفاظ موضوعة للصوت في الأصل ؛ و تكثيف الدلالة في كلا النوعين يعتمد على اختيار المفردة و السياق الذي ترد فيه ؛ فيحاكي جرسها الدلالة و يجسدها ، وهذه الألفاظ على مظهرين ، الأول: ألفاظ تشتمل على صوت أو أكثر يحاكي الدلالة ، نحو: يصطرخون ، والثاني: ألفاظ متكررة المقطع تحاكي الدلالة ، نحو: ككببوا أو وعوعة .

١٥- أكد البحث أن ما يمنح الألفاظ ذات المقاطع المتكررة هذه الصورة المكثفة للدلالة ؛ هو وضعها اللغوي مع اختيارها و استعمالها في السياق المناسب لها ؛ فيكون جرسها مصورا معناها و مكثفا للدلالة.

١٦- بيّن البحث كيف أن التلوين الصوتي في جرس الألفاظ و إيقاع الجمل يصور الدلالة ويكثف من مشهدها للمتلقي ؛ إذ يجعل المسموع محسوسا في ذهنه ؛ فالتلوين الصوتي لا يقتصر على جرس الألفاظ وحسب ؛ بل إيقاع الجمل وأنغام مقاطعها ، و ترتب هذه الأجراس و الإيقاعات داخل النص ، كلّها تتضافر بما يناسب دلالة النص وتكثف لها .

# المصادر والمراجع

## المصادر و المراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: الكتب المطبوعة:

- ١- إبراز المعاني من حرز الأمانى: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية .
- ٢- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر: ابن القَطَّاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ) ، تحقيق ودراسة: أ. د. أحمد محمد عبد الدايم ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ، عام النشر: ١٩٩٩ م.
- ٣- أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية : الدكتورة نجاته عبد العظيم الكوفي ، كلية البنات – جامعة عين شمس ، دار الثقافة : ١٩٨٩م.
- ٤- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ٥- الأثر القرآني في نهج البلاغة ، دراسة في الشكل والمضمون : الدكتور عباس علي الفخّام ، العتبة العلوية المقدسة ، النجف الأشرف ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
- ٦- اختيار مصباح السالكين : ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، تصحيح : محمد هادي الأميني ، مجمع البحوث الإسلامية التابعة للأستانة الرضوية المقدسة - مشهد - إيران ، الطبعة : الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ٧- إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العقاب: الحسن بن أبي الحسن محمد الذّيلمي - من أعلام القرن الثّامن ، تحقيق: السيّد هاشم الميلاني ، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام (١٤٢) ، إعداد : مركز الأبحاث العقائدية.
- ٨- أرشيف ملتقى أهل الحديث : المنتدى الشرعي العام ، الناشر: المكتبة الشاملة الرسمية ، في ٧ رمضان ١٤٢٩ هـ - ٧ سبتمبر ٢٠٠٨ م .
- ٩- أساس البلاغة : الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- ١٠- الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون ، الناشر : مكتبة الخانكي ، الطبعة: الخامسة ٢٠٠١ م .
- ١١- أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، الناشر: وكالة المطبوعات - الكويت ، الطبعة: الأولى ١٩٨٠ م .
- ١٢- أسرار البلاغة : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة .
- ١٣- أسرار البيان في التعبير القرآني : فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدي السامرائي ، أستاذ النحو في جامعة الشارقة .
- ١٤- أسرار الحروف: أحمد زرقعة ، الناشر: دار الحصاد - دمشق ، الطبعة: الأولى ١٩٩٣ م .
- ١٥- إسفار الفصيح : محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (ت ٤٣٣هـ) ، المحقق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ .
- ١٦- الأشباه والنظائر : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ١٧- اشكالية القراءة وآلية التأويل ، نصر حامد أبو زيد: الدار البيضاء - بيروت ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة: الخامسة ١٩٩٩م .
- ١٨- الأصوات اللغوية: الدكتور ابراهيم أنيس ، الناشر: مكتبة نهضة مصر .
- ١٩- الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان - بيروت .
- ٢٠- الأضداد: أبو بكر، محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان ، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢١- الأضداد في كلام العرب: أبي الطيب علي اللغوي الحلبي ( ٣٥١ هـ ) ، تحقيق: الدكتور عزة حسن ، ربيع الدار - سوريا ، الطبعة: الأولى ١٩٦٣م .

- ٢٢- إعجاز القرآن للباقلاني: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣ هـ) ، المحقق: السيد أحمد صقر ، الناشر: دار المعارف - مصر ، الطبعة: الخامسة ١٩٩٧ م.
- ٢٣- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم: مناهج جامعة المدينة العالمية ، الناشر: جامعة المدينة العالمية ، كود المادة: IUQR3213 ، المرحلة: بكالوريوس .
- ٢٤- إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين درويش ، الطبعة الرابعة دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص - سورية ، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ .
- ٢٥- إعراب القرآن لأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي النيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥ هـ) ، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد ، الناشر: غير معروف (مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) ، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٢٦- أعلام نهج البلاغة (السرخسي): علي بن ناصر السرخسي (ت بعد ٦٢٢ هـ) ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، نشر عطاردي - طهران ١٤١٥ هـ .
- ٢٧- الاقتراح في أصول النحو: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية ، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية ، دار البيروتية ، دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ — ٢٠٠٦ م .
- ٢٨- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: الدكتور فاضل مصطفى المساقى ، تقديم: الأستاذ الدكتور تمام حسان ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة العالمية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٢٩- الأمالي = شذور الأمالي = النوادر: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: ٣٥٦ هـ) ، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي ، الناشر: دار الكتب المصرية ، الطبعة: الثانية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٣٠- الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي(ت: نحو ٤٠٠ هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- ٣١- الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي ، مؤسسة النشر الاسلامي - قم ١٤٠٧ هـ .



٣٢- أنوار الربيع في أنواع البديع : صدر الدين المدني الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ) ، حققه وترجم لشعرائه : شاکر هادي شکر ، مطبعة النعمان - النجف الأشرف الطبعة : الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٣٣- أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م .

٣٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : عبد الله ابن هشام الانصاري (ت: ٧٦١هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٥- إيجاز البيان عن معاني القرآن : محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو ٥٥٠هـ) ، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .

٣٦- الإيجاز في كلام العرب و نص الاعجاز : د. مختار عطية ، دار المعرفة الجامعية .

٣٧- الإيضاح في علل النحو : أبو القاسم الزّجّاجي (ت: ٣٣٧ هـ) المحقق: الدكتور مازن المبارك ، الناشر: دار الفنائس - بيروت ، الطبعة: الخامسة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٣٨- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ) ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل - بيروت ، الطبعة: الثالثة .

٣٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٤٠- البارع في اللغة: أبو علي القالي(ت: ٣٥٦هـ) ، المحقق: هشام الطعان ، الناشر: مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م .

٤١- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي ( ت ١١١١ هـ ) ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٤٢- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر - بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٤٣- البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي (ت: نحو ٣٥٥هـ) ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد .

٤٤- البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجنائية: عمر بن محمد السبيل ، كلية الشريعة - جامعة أم القرى ، دار الفضيلة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٤٥- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه .

٤٦- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ) ، مكتبة الآداب ، الطبعة السابعة عشرة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٤٧- البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة : مناهج جامعة المدينة العالمية ، كود المادة: LARB4093 ، المرحلة: بكالوريوس ، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

٤٨- البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة : مناهج جامعة المدينة العالمية ، الناشر: جامعة المدينة العالمية ، كود المادة: LARB4103 ، المرحلة: بكالوريوس .

٤٩- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناحي رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت: ١٤٢٩ هـ) ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر ، الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م .

٥٠- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: محمد إبراهيم شادي ، الناشر: الرسالة - جامعة الأزهر ، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٥١- البلاغة العربية : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٥٢- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقى التستري(ت ١٤١٤ هـ) ، دار أمير كبير للنشر - طهران ، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ .

- ٥٣- البيان والتبيين : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٤٢٣ هـ .
- ٥٤- تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية.
- ٥٥- تأويل مشكل القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٥٦- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ) ، المحقق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٥٧- التبيان في تصريف الأسماء: أحمد حسن كحيل ، جامعة الأزهر ، الطبعة: السادسة .
- ٥٨- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدوانى، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي .
- ٥٩- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ .
- ٦٠- تصحيح الفصيح وشرحه: أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ت: ٣٤٧هـ) ، المحقق: د. محمد بدوي المختون ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة] ، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٦١- تصنيف نهج البلاغة : الدكتور ألبيب بيضون ، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي - قم ، الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ .
- ٦٢- التصور الفني في القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) ، الناشر: دار الشروق ، الطبعة: الطبقة الشرعية السابعة عشرة .
- ٦٣- تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة: شريط أحمد شريط ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب : ١٩٩٨م .

- ٦٤- تعجيل الندى بشرح قطر الندى: عبد الله بن صالح بن عبد الله الفوزان ، مطبعة : دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية ١٤٣١ هـ .
- ٦٥- التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٦٦- تفسير الأحلام: سيجموند فرويد ، ترجمة: د. مصطفى صفوان ، راجعه : د. مصطفى زيور ، الناشر: دار المعارف - القاهرة .
- ٦٧- التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ) ، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ، الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ.
- ٦٨- التفسير الحديث : دروزة محمد عزت ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، الطبعة: ١٣٨٣ هـ .
- ٦٩- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٧٠- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨ هـ) ، الناشر: مطابع أخبار اليوم .
- ٧١- تفسير الصافي : المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) ، صححه وقدم له وعلق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر - طهران - الطبعة: الثانية ١٤١٦ هـ .
- ٧٢- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) ، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ .
- ٧٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٧٤- التفسير الموضوعي: مناهج جامعة المدينة العالمية ، الناشر: جامعة المدينة العالمية ، كود المادة: IUQR4093 ، المرحلة: بكالوريوس .

٧٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، الطبعة: الأولى ، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧ ، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧ ، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧ ، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨ ، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨ ، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨ م .

٧٦- التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة: حسن غريب أحمد .

٧٧- التكرير بين المثير و التأثير: الدكتور عز الدين علي السيد ، الناشر: عالم الكتب - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، و الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م .

٧٨- تكملة المعاجم العربية : رينهارت بيتر آن دُوزي (ت: ١٣٠٠هـ) ، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي ، ج ٩ ، ١٠: جمال الخياط ، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ، الطبعة: الأولى من ١٩٧٩م - ٢٠٠٠م .

٧٩- التَّلْخِيسُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) ، عني بَتَحْقِيقِهِ: الدكتور عزة حسن ، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق ، الطبعة: الثانية ١٩٩٦ م .

٨٠- تهذيب اللغة : أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٨١- التوجيه الأدبي: طه حسين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة: ١٩٥٢م .

٨٢- توضيح نهج البلاغة : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار تراث الشيعة - طهران - إيران .

٨٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٨٤- ثلاثة كتب في الأضداد( للأصمعي و للسجستاني و لابن السكيت ) : نشرها الدكتور اوغست هفتر استاذ العربية في كلية نسيروك ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت : ١٩١٢م .

- ٨٥- ثلاثة يشكون شكوى القرآن شكوى المسجد شكوى الإمام: الشيخ محمد اليعقوبي ، الناشر: عاشوراء - قم المقدسة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ٨٦- جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ) ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، الطبعة: الثامنة والعشرون ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٨٧- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، المحقق: مصطفى جواد ، الناشر: مطبعة المجمع العلمي ، عام النشر: ١٣٧٥هـ .
- ٨٨- الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر - المملكة الأردنية الهاشمية - عمان ، الطبعة: الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- ٨٩- جمهرة اللغة : ابن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م .
- ٩٠- الجنى الداني في حروف المعاني : أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق : د فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٩١- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت .
- ٩٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
- ٩٣- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
- ٩٤- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة : قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيزري (ت بعد ٦١٠هـ) ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، مؤسسة نهج البلاغة ، نشر عطاردي - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .

٩٥- الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ) ، المحقق: د. مازن المبارك ، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ .

٩٦- الحدود في علم النحو: أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأبيدي، شهاب الدين الأندلسي (ت: ٨٦٠هـ) ، المحقق: نجاه حسن عبد الله نولي ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٩٧- حركية الحداثة في الشعر العربي: د. كمال خير بك ، قام بالترجمة لجنة من اصداقاء المؤلف ، الناشر: دار الفكر - دمشق ، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٩٨- حروف المعاني والصفات : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي ، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٩٨٤م .

٩٩- الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية: سليمان فياض ، دار المريخ للنشر - الرياض .

١٠٠- الحيوان : عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ .

١٠١- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي (ت: ٨٣٧هـ) ، المحقق: عصام شقيو ، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت ، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م .

١٠٢- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلبي (ت: ٣٩٢هـ) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة .

١٠٣- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ) ، الناشر: مكتبة وهبة ، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٠٤- خصائص الحروف العربية ومعانيها: حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م .

١٠٥- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: ١٤٠٧هـ) ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

١٠٦- دراسات في علم اللغة: كمال بشر ، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

- ١٠٧- درة الغواص في أوهام الخواص : القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أبو محمد الحريري البصري (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : عرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ١٠٨- الدرّة النجفية : إبراهيم بن حسين الخوئي ، (د.ت) .
- ١٠٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، الناشر: دار الفكر - بيروت .
- ١١٠- دروس التصريف: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - مصر ، الطبعة الثالثة: ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .
- ١١١- دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي المصباح اليزدي ، الناشر: دار الرسول الأكرم - بيروت ، الطبعة: الثامنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- ١١٢- دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) ، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١١٣- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه: دكتور كمال محمد بشر ، الناشر: مكتبة الشباب .
- ١١٤- ديوان عمر بن ابي ربيعة: وقف على طبعه و صححه : بشير يموت ، المطبعة الوطنية - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٩٣٤م .
- ١١٥- رسائل الإمام علي ( عليه السلام ) دراسة أدبية نقدية: كامل حسين البصير ، الناشر: دار المعارف بيروت- لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
- ١١٦- رسائل الامام علي ( عليه السلام ) دراسة لغوية ؛ رملة خضير البديري ، جامعة الكوفة - الآداب : ٢٠٠٩م .
- ١١٧- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، الناشر: دار الفكر - بيروت .



١١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ .

١١٩- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) ، المحقق: د. حاتم صالح الضامن ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م .

١٢٠- الزهرة : أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني (ت: ٢٩٧هـ) ، راجعه: ابراهيم السامرائي ، الناشر: مكتبة المنار – الاردن ، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥ م .

١٢١- سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢هـ — ٢٠٠٠ م .

١٢٢- السنن الصغير للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، المحقق: عبد المعطي أمين قلجعي ، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان ، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م .

١٢٣- سورة آل عمران دراسة لغوية تحليلية : أياد محمد علي ، كلية التربية ( ابن رشد ) - جامعة بغداد: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .

١٢٤- سوسيولسانيات نهج البلاغة : الدكتور نعمة دهش فرحان الطائي ، تقديم العلامة: أ. د نعمة رحيم العزاوي ( رحمه الله ) ، دار المرتضى – بغداد : ٢٠١٣ م.

١٢٥- سيكلوجية لغة الاطفال ، صباح حنا هرمز- بغداد، الطبعة: الأولى ١٩٨٩ م.

١٢٦- السيناريو الصناعة الخطرة من التحليل للبناء- السينارست ناصر عبد الرحمن ، نموذجا : د. حمدي النورج ، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي – مصر ، الطبعة: الأولى ٢٠١٤ م.

١٢٧- الشافية في علمي التصريف والخط : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ) ، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة: الأولى ٢٠١٠ م .

١٢٨- شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١هـ) ، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، الناشر: مكتبة الرشد الرياض .

- ١٢٩- شرح أبيات مغني اللبيب : عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ) ، المحقق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق ، الناشر: دار المأمون للتراث - بيروت ، الطبعة: (ج ١ - ٤) الثانية، (ج ٥ - ٨ الأولى) ، عام النشر: عدة سنوات (١٣٩٣ - ١٤١٤ هـ).
- ١٣٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى ، الأشموني (ت ٩٠٠ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ١٣١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت : ٧٦٩ هـ) ، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار التراث - القاهرة - دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ١٣٢- شرح تسهيل الفوائد : محمد بن عبد الله بن مالك ، جمال الدين (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن السيد ، والدكتور محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ١٣٣- شرح التصريح على التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح في النحو) : خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهرى ، وكان يعرف بالوقاد (ت ٩٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ١٣٤- شرح حكم نهج البلاغة : الشيخ عباس القمي ، الناشر: مؤسسة نهج البلاغة - طهران ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ .
- ١٣٥- شرح الرضي على الكافية : رضى الدين الأسترابادي ( ٦٨٦ هـ ) ، تصحيح و تعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قان يونس - بنغازي ، الطبعة: الثانية ١٩٩٦ م.
- ١٣٦- شرح شافية ابن الحاجب : محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي ، نجم الدين (ت ٦٨٦ هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ١٣٧- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ) ، المحقق: عبد الغني الدقر ، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا .

- ١٣٨- شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي ، حققه  
وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي ، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ١٣٩- شرح المفصل للزمخشري : يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء،  
موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ) ، قدم له: الدكتور إميل  
بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٤٠- شرح نهج البلاغة : السيد عباس علي الموسوي ، دار الرسول الأكرم ، و دار المحجة البيضاء -  
بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ .
- ١٤١- شرح نهج البلاغة : شارح من القرن الثامن ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، مؤسسة نهج البلاغة ،  
نشر عطاردي - قم ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ .
- ١٤٢- شرح نهج البلاغة : عز الدين أبو حامد عبد الحميد ابن أبي الحديد ( ت ٦٥٦ هـ) ، المصحح :  
محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة - قم - إيران ، الطبعة: الأولى ١٣٧٨ هـ .
- ١٤٣- شرح نهج البلاغة : محمد كاظم القزويني ، النعمان - النجف الأشرف ١٣٧١هـ - ١٩٥٩ م .
- ١٤٤- شرح نهج البلاغة : محمد عبده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة -  
القاهرة .
- ١٤٥- شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار : علي أنصاريان ، تحقيق : مرتضى حاج علي فرد ،  
مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي - طهران ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ١٤٦- شرح نهج البلاغة : ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، دفتر نشر الكتاب ، الطبعة:  
الثانية ١٤٠٤ هـ .
- ١٤٧- الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرّي البغدادي (ت: ٣٦٠هـ) ، المحقق: الدكتور  
عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي ، الناشر: دار الوطن - الرياض - السعودية ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ -  
١٩٩٩ م .

- ١٤٨- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ) ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ١٤٩- الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس القزوينى الرازى ، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ، محمد علي بيضون ، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- ١٥٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر الفارابى (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ١٥١- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمى السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: ٩٧٤هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ١٥٢- الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد - بغداد ١٩٨١م.
- ١٥٣- الصورة والبناء الشعري: الدكتور محمد حسن عبد الله ، الناشر: دار المعارف - القاهرة .
- ١٥٤- الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة اشتقاقا ودلالة: الدكتور ناصر حسين علي ، المطبعة التعاونية - دمشق ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ١٥٥- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبى الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ) ، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ .
- ١٥٦- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ١٩٩٨م .
- ١٥٧- العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت: ٦٥٠هـ) .

١٥٨- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ) ، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٥٩- عقود الجمان في علم المعاني والبيان : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ، تحقيق وضبط: عبد الحميد ضحا ، الناشر: دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة ، الطبعة: الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٦٠- علم الأصوات: د. كمال بشر ، الناشر : دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة : ٢٠٠٠ م.

١٦١- علم البديع : عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ) ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

١٦٢- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع- الكويت ، الطبعة: الأولى ١٩٨٢ م.

١٦٣- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: محمود السعران ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة: الثانية ١٩٩٧ م.

١٦٤- علم نفس النمو: حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي ، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ابو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل ، الطبعة: الخامسة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٦٦- الفائق في غريب الحديث : الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ) ، المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة – لبنان ، الطبعة: الثانية.

١٦٧- فقه اللغات السامية: كارل بروكلمان ، ترجمة: د. رمضان عبد التواب ، الناشر : جامعة عين شمس ١٩٧٧ م.

١٦٨- فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ) ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

- ١٦٩- الفلك الدائر على المثل السائر : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: ٦٥٦هـ) ، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة .
- ١٧٠- فن الجناس: علي الجندي ، الناشر : دار الفكر العربي - القاهرة .
- ١٧١- فن القصة القصيرة : د. رشاد رشدي ، مكتبة الإنجلو المصرية .
- ١٧٢- فن كتابة القصة : فؤاد قنديل ، شركة الأمل للطباعة والنشر ٢٠٠٢ م .
- ١٧٣- فن كتابة القصة القصيرة : علي عبد الجليل ، دار أسامة للنشر والتوزيع الاردن .
- ١٧٤- الفن والأدب: لويس هارتيك، تعريب: الدكتور بدر الدين قاسم الرفاعي، مراجعة: الدكتور عمر شخاشيرو، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق: ١٩٦٥م.
- ١٧٥- الفن ومذاهبه في النثر العربي : أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت: ١٤٢٦هـ) ، الناشر: دار المعارف ، الطبعة: الثالثة عشرة.
- ١٧٦- فنون الأدب أصول نصوص قراءات: الدكتور محمد حسن عبد الله ، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت ، الطبعة: الثانية ١٩٧٨م .
- ١٧٧- في البحث الصوتي عند العرب: د. خليل ابراهيم العطية ، الناشر: دار الجاحظ - بغداد ١٩٨٣م.
- ١٧٨- في تاريخ الأدب الجاهلي: علي الجندي ، الناشر: مكتبة دار التراث ، الطبعة: طبعة دار التراث الأول ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ١٧٩- في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) ، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .
- ١٨٠- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد : محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٠هـ .
- ١٨١- في النحو العربي نقد وتوجيه : الدكتور مهدي المخزومي (ت ١٩٩٣م) ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ، الطبعة: الثانية ٢٠٠٥م .

١٨٢- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

١٨٣- القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة.

١٨٤- القصة القصيرة مقارنة تحليلية : د. أحمد جاسم الحسين ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق - سوريا ٢٠١٠ م .

١٨٥- قواعد النقد الأدبي : لاسل ابر كرمبي ، ترجمة : محمد عوض محمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة: الثالثة ١٩٥٤ م .

١٨٦- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٨٧- الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٨٨- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٨٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ .

١٩٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى ، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ) ، تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

١٩١- الألامات: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧ هـ) ، المحقق: مازن المبارك ، الناشر: دار الفكر - دمشق ، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٩٢- اللباب في علل البناء و الإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦ هـ) ، تحقيق : د. عبد الإله النبهان ، دار الفكر - دمشق ، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

١٩٣- لسان العرب: ابن منظور(ت: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٩٤- اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء: أحمد بن مصطفى اللبائدي الدمشقي (ت: ١٣١٨هـ) ، الناشر: دار الفضيلة - القاهرة .

١٩٥- اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان عمر ، عالم الكتب ، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٩٦- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : فاضل بن صالح البدري السامرائي ، دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن ، الطبعة: الثالثة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٩٧- اللمع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية - الكويت .

١٩٨- ليس في كلام العرب: الحسين بن أحمد بن خالويه ت ٣٧٠هـ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة : الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٩٩- مبادئ اللسانيات : د. احمد محمد قدور ، دار الفكر- دمشق ، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٨ م.

٢٠٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :نصر الله بن محمد بن محمد ، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت ١٤٢٠ هـ .

٢٠١- المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية : عبد الهادي الشاوي ، جامعة الكوفة - الآداب : ٢٠٠٧ م.

٢٠٢- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَنِّي الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ) ، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة: الثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٢٠٣- المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .



- ٢٠٤- المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٢٠٥- مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعراب: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ .
- ٢٠٦- المخصص: أبو الحسن بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٠٧- مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م - ٢٠٠٨م .
- ٢٠٨- المدخل الصرفي في تطبيق وتدريب في الصرف العربي: الدكتور علي بهاء الدين بخود، الناشر: المؤسسة الجامعية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٠٩- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: للعلامة المجلسي، دار الكتب الإسلامية لصاحبها الشيخ محمد الأخوندي، تهران - بازار سلطاني .
- ٢١٠- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ٢١١- المسائل التطبيقية على الخطبة الشقشقية للتبريزي: الشيخ علي التبريزي الرهبر سعادي .
- ٢١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- ٢١٣- المشترك اللفظي في الحقل القرآني: عبد العال سالم مكرم، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ .
- ٢١٤- المشتق عند الأصوليين: آية الله الشيخ محمد اليعقوبي، مؤسسة عاشوراء - إيران - قم، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م .
- ٢١٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

- ٢١٦- معارج نهج البلاغة : علي بن زيد البيهقي فريد خراسان (ت ٥٦٥هـ) ، تحقيق : محمد تقي داش ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة - قم ، الطبعة: الأولى ١٤٠٩ هـ .
- ٢١٧- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، الناشر : جامعة الكويت - كلية الآداب .
- ٢١٨- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ) ، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، الطبعة: الأولى.
- ٢١٩- معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٢٠- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٢١- معجم تصحيح لغة الإعلام العربي: عبد الهادي أبو طالب ، الناشر: مكتبة لبنان .
- ٢٢٢- معجم علم اللغة النظري، الدكتور محمد علي الخولي - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٩٨٢ م.
- ٢٢٣- معجم الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ .
- ٢٢٤- معجم القواعد العربية في النحو و التصريف: عبد الغني الدقر ، دار القلم - دمشق ، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٢٢٥- معجم اللغة العربية المعاصرة: د . أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- ٢٢٦- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٥٨ م.
- ٢٢٧- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: مهدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان - بيروت ، الطبعة: الثانية ١٩٨٤ م.

- ٢٢٨- المعجم المفصل في الأضداد : الدكتور انطونيوس بطرس ، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .
- ٢٢٩- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٣٠- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة.
- ٢٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: عبد الله ابن هشام الانصاري (ت: ٧٦١هـ) ، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، الناشر: دار الفكر - دمشق ، الطبعة: السادسة ١٩٨٥م .
- ٢٣٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ .
- ٢٣٣- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : محمد تقي النقوي القائني الخراساني ، مكتبة المصطفوي - طهران - إيران .
- ٢٣٤- مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٣٥- المفتاح في الصرف : أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل ، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق : الدكتور علي توفيق الحمّد، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٣٦- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم - بيروت ، الدار الشامية - دمشق ، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ .
- ٢٣٧- المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : الدكتور علي أبو ملحم ، مكتبة الهلال - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٩٩٣م .
- ٢٣٨- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥هـ) ، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق

السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر ، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، الطبعة: الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

٢٣٩- المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس، المعروف بالميرد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب - بيروت .

٢٤٠- المقرب : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور ( ت ٦٦٩ هـ ) ، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري ، و عبد الله الجبوري ، الناشر : رفع المساهم ، الطبعة: الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٢٤١- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : د. نعمة رحيم العزاوي: منشورات المجمع العلمي ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٤٢- مناهل النور في شهر رمضان المبارك : إعداد ونشر : جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ، الطبعة : الأولى ٢٠٠١ م .

٢٤٣- من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البديوي (ت: ١٣٨٤هـ) ، الناشر: نهضة مصر - القاهرة ، عام النشر: ٢٠٠٥ م .

٢٤٤- المنطق : الشيخ محمد رضا المظفر ، الناشر : دار الغدير ، الطبعة : التاسعة ١٤٣٤هـ .

٢٤٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : حبيب الله بن محمد الخوئي (ت ١٣٢٤هـ) ، تصحيح : السيد إبراهيم الميانجي ، المكتبة الإسلامية - طهران - إيران ، الطبعة: الرابعة ، ١٤٠٠هـ .

٢٤٦- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : قطب الدين سعيد بن هبة الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ) ، تحقيق : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة - قم ١٤٠٦ هـ .

٢٤٧- المنجد في اللغة : علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت: بعد ٣٠٩هـ) ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، الناشر: عالم الكتب- القاهرة ، الطبعة: الثانية ١٩٨٨ م .

٢٤٨- المنهاج الواضح للبلاغة : حامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث ، (د.ت) .

٢٤٩- منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة : المولى عبد الباقي الصوفي التبريزي ( من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) ، تحقيق : حبيب الله العظيمي ، آينة ميراث - طهران ، الطبعة : الأولى ١٤٢٠ هـ .

- ٢٥٠- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت ١٤١٤هـ) مطبعة الديواني - بغداد - الطبعة: الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٥١- الموجز في قواعد اللغة العربية: سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: ١٤١٧هـ) ، الناشر : دار الفكر - بيروت - لبنان ، الطبعة : ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- ٢٥٢- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: محمد راتب النابلسي ، الناشر: دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا. ، الطبعة: الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- ٢٥٣- نحو الفعل : أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ٢٥٤- النحو المصفى: محمد عيد ، الناشر: مكتبة الشباب ، ( دبت) .
- ٢٥٥- النحو الوافي: عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ) ، الناشر: دار المعارف ، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة .
- ٢٥٦- النص والاجتهاد: الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، المحقق : أبو مجتبي ، الناشر : أبو مجتبي ، مطبعة سيد الشهداء ( عليه السلام ) - قم ، الطبعة : الأولى ١٤٠٤هـ .
- ٢٥٧- نحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: آية الله العظمى مكارم الشيرازي بمساعدة مجموعة من الفضلاء ، إعداد: عبد الرحيم الحمراني ، الناشر: دار النشر الامام علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) ، مطبعة: سليمانزاده ، الطبعة: الثالثة ١٤٣٠هـ .
- ٢٥٨- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، نعمة رحيم العزاوي، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة- بغداد ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- ٢٥٩- النكت في إعجاز القرآن: مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ) ، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف - مصر ، الطبعة: الثالثة ١٩٧٦م.
- ٢٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

٢٦١- نهج البلاغة : الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٦هـ) ، تحقيق : الدكتور صبحي الصالح ، قم - إيران .

٢٦٢- نهج الحياة: حامد حفني داود ، محمد باقر البهودي ، عبده حسن الزيات ، لييد بيضون ، الناشر: مؤسسة نهج البلاغة - طهران ، الطبعة: الأولى .

٢٦٣- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة : محمد باقر المحمودي ، تصحيح : عزيز آل طالب ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

٢٦٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) ، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٦٥- وسائل الشيعة: الشيخ مُحَمَّدُ بن الحسن الحُر العاملي ت سنة ١١٠٤ هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسة .

٢٦٧- الوساطة بين المتنبي وخصومه : أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ) ، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

### ثانيا: الرسائل و الأطروحات الجامعية:

١- أبنية المصادر في نهج البلاغة ( رسالة ماجستير ) : فائزة عبد الأمير شمran الخاقاني ، إشراف: الدكتور علي ناصر غالب ، جامعة الكوفة - كلية التربية بنات : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م .

٢- اتساع الدلالة اللغوية في صحيح البخاري ( اطروحة دكتوراه ) : عاطف عبد المجيد عبد النبي أبو جاجة ، إشراف: الدكتور محمود عبد الله جفال الحديد ، الجامعة الأردنية - كلية الدراسات العليا : ٢٠١٠م

٣- الاتساع في المعنى في تفسير ابي السعود ( رسالة ماجستير ) : سوسن خلدون عبد اللطيف الدليشي ، إشراف: الدكتور رافع اسعد عبد الحليم ، الجامعة الإسلامية - كلية الآداب - بغداد : ٢٠١٠م.

- ٤- الاتساع وأثره في اللغة ( رسالة ماجستير ) : نايف سليمان محمد العثمان ، إشراف : د. فارس فندي  
البرطانية ، كلية الآداب – جامعة اليرموك : ٢٠٠٣م- ٢٠٠٤م .
- ٥- الاختزال في النص القرآني دراسة تفسيرية ( أطروحة دكتوراه ) : أحمد حسن بنيان ، إشراف :  
الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي ، كلية الفقه – جامعة الكوفة : ٢٠١٦م .
- ٦- أدب الإمام الحسين ( عليه السلام ) قضاياها الفنية والمعنوية ( رسالة ماجستير ) : موسى خابط عبود  
، كلية التربية - جامعة بابل : ١٤٣٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- ٧- أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية (أطروحة دكتوراه) : خالد كاظم  
حميدي الحميداوي ، كلية الآداب - جامعة الكوفة : ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
- ٨- الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره في العربية ( رسالة ماجستير ) : ليث محمد لآل محمد ، إشراف:  
الدكتور عبد الرحمن محمد اسماعيل ، جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية و آدابها – المملكة العربية  
السعودية : ١٤١٥هـ .
- ٩- بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو في الخطابة ( رسالة ماجستير ) : طارق  
محمد حسن مطر ، إشراف: أ.م. ماجد عبد الحميد الكعبي ، كلية الآداب – جامعة البصرة : ٢٠٠٨م .
- ١٠- البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية ( رسالة ماجستير ) : وسام جمعة  
لفته المالكي ، إشراف: الدكتورة سليمة جبار غانم ، جامعة البصرة – كلية التربية: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
- ١١- التأويل الدلالي عند المعتزلة ( رسالة ماجستير ) : هيثم محمد ابراهيم سرحان ، إشراف: أ. د. نهاد  
ياسين موسى ، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية : ٢٠٠٢م .
- ١٢- التغير الصوتي في الفواصل القرآنية ودلالاته ( أطروحة دكتوراه ) : إبتسام عبد الحسين سلطان  
القصير ، إشراف: الدكتورة خولة تقي الدين الهلالي ، كلية الآداب – جامعة بغداد ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- ١٣- التكرار مظهره و أسرارها ( رسالة ماجستير ) : عبد الرحمن محمد الشهراني ، إشراف: الدكتور  
محمد علي حسن العماري ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية : ١٤٠٤هـ -  
١٩٨٣م .
- ١٤- التكتيف في النص القرآني دراسة تفسيرية ( رسالة ماجستير ) : سهام حسين عبد الرضا ، إشراف:  
د. قاسم كتاب عطا الله ، كلية الفقه – جامعة الكوفة : ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م .

١٥- التكتيف الموسيقي في أنشودة المطر ( رسالة ماجستير ) : خليل بالقط ، إشراف : الدكتور قدور رحمانى ، جامعة محمد بوضياف ، كلية الآداب واللغات – المسيلة : ٢٠١٥ م .

١٦- الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية ( رسالة ماجستير ) : علي عبد الفتاح محيي الشمري ، إشراف: الدكتور علي ناصر غالب ، كلية التربية – جامعة بابل: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .

١٧- الحذف صورته ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للامام علي ( عليه السلام ) ( رسالة ماجستير ) : هادي شندوخ حميد السعدي ، إشراف: الدكتورة عواطف كنوش مصطفى التميمي ، كلية الآداب – جامعة البصرة : ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م .

١٨- خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة(ماجستير):أحمد هادي زيدان نصيف ، إشراف: الدكتور صباح عباس السالم، كلية التربية - جامعة بابل: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م .

١٩- الدراسات اللغوية في نهج البلاغة في رسائل الجامعات العراقية وأطاريحها دراسة في المنهج والتقويم ١٩٦٥م - ٢٠١١م ( أطروحة دكتوراه ) : أحمد حسين عبد السادة الجحيشي ، إشراف: الأستاذ الدكتور سامي علي جبار المنصوري ، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

٢٠- المسكوت عنه في نهج البلاغة دراسة في ضوء تحليل الخطاب ( أطروحة دكتوراه ) : فراس تركي عبد العزيز ، إشراف: أ.د نجاح فاهم صابر العبيدي ، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء: ٢٠١٧م - ١٤٣٩هـ .

### ثالثاً: البحوث والمقالات:

١- أنظمة التكتيف الدلالي في جوامع الكلم للرسول: م . حكيم موحان عواد الموسوي ، الناشر: مجلة جامعة ذي قار ، السنة الثامنة ، العدد : التاسع و العشرون .

٢- البنية الصوتية الأمد و الكثافة للخطبة العلوية في نهج البلاغة : الدكتور أرشد الشيخ علي البهادلي ، الناشر : كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، بحث منشور في الموقع الإلكتروني: في رحاب نهج البلاغة.

٣- التشاكل الصوتي القرآني وأثره في تكتيف الدلالات : د. سعاد كريم ، مجلة جامعة ذي قار / العدد: الثاني / المجلد: ٦ ، آذار ٢٠١١م .



- ٤- التكتيف في القصة القصيرة جدا : جاسم خلف الياس ٢٨/١٠/٢٠٠٨ : مقال منشور في الموقع الإلكتروني: مركز النور .
- ٥- التكتيف اللغوي أساس بناء هذا الفن وآلة ضبطه التي تخلصه من الكولسترول : جبير ، المليحان ، الرياض ، نشر بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٥م <http://www.alriyadh.com>
- ٦- التكتيف هويّة القصة القصيرة جداً (ق. ق. ج) : عبد المجيد محمد خلف ، نشر في: يوليو ٢٠١٧م ، في مجلة : ثقافة وفن.
- ٧- التكتيف وتجلياته في دوائر الدهشة للقاص حسن بواريق - مصطفى لغثيري: ٢٩/١١/٢٠١٥ (الرأي برس (خاص) - أدب وثقافة): مقال.
- ٨- الاختزال و التكتيف في القص إلى أين ؟ : عماد نوير ، مقال منشور في الموقع الإلكتروني : الحوار المتمدن-العدد: ٥٨٢٢ - ٢٠١٨ / ٣ / ٢١ - ٠٠:٠٥ .
- ٩- فن التكتيف بين الأدب العربي والتقنية الحديثة : جعفر الوردى ، عالم التقنية ، نشر ٢٦ أغسطس ٢٠١٥م <https://www.tech-wd.com>
- ١٠- ظاهرة الجناس في خطب الامام علي (ع) ورسائله دراسة بلاغية: الدكتور حسن عبد العال اللهيبي ، الناشر: جامعة الكوفة – مركز دراسات الكوفة .
- ١١- القصة القصيرة جدا قراءة نقدية ، د. جودي فارس ، مجلة التربية والعلم ، المجلد ( ٢ ) ، العدد (١) لسنة: ٢٠١١م .
- ١٢- واو السبّيق في القرآن الكريم : الدكتور علي عبد الفتاح الحاج فرهود ، بحث منشور: <http://www.uobabylon.edu.iq> .

## Abstract

Studying the linguistic texts that occupied the highest rank in rhetoric and eloquence requires certain terms that are fit with it, to reveal the language figurative speech and its amazing usage. So, the researcher paid a great deal of attention to study the holy Qur`an as a solid and firm connected text. The same attributes are held by the Allawiy in *Nahjul-Balagha* as it is issued by the equivalent of Qur`an who had been taught by the prophet.

*Nahjul-Balagha* is not restricted to certain study or term; it is a renewal text fits for all the new topics of the linguistic studies due to the wide experience of the writer or author. The Qur`anic expression had been absorbed in the speech of Imam Ali(P.U.H.).

This study attempts to throw light on one of the semantic features of the texts of *Nahjul-Balagha* which is known as ( concentration), hence it is entitled(Semantic Concentration in Nahjul-Balagha).